جامعة آل البيت
معهد بيت الحكمة
قسم العلوم السياسية

القومية العربية وآثارها على الدولة القطرية العربية

The Impact of Arab Nationalism on the Arab Nation-State

إعداد الطالب

أحمد حسن عقلة عضيبات

الرقم الجامعي: (١٤٢٠٦٠٠٠٠٧)

إشراف

الأستاذ الدكتور: محمد عوض الهزايمة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية

العام الدراسي(٢٠١٥/٢٠١٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرار لجنة المناقشة

قدمت هذه الرسالة "القومية العربية وآثارها على الدولة القطرية العربية" (٢٠١٥-٢٠١٦) استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية في معهد بيت الحكمة في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ ١٧ / ٤ /٢٠١٦

إعداد

أحمد حسن عقلة عضيبات

إشراف

الأستاذ الدكتور: محمد عوض الهزايمة

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور: محمد عوض الهزايمة..... مشرفاً رئيساً

الدكتور: علي عواد الشرعة..... عضواً

الدكتور: أمين علي العزام..... عضواً

الدكتور: عبدالحليم مناع العدوان.. عضواً ومحكما خارجيا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تفويض

أنا الموقع اسمي أدناه (أحمد حسن عقلة عضيبات) أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات الجامعية أو الهيئات أو المؤسسات أو الأشخاص المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها حسب التعليمات النافذة في الجامعة

الاسم: أحمد حسن عقلة عضيبات.

التوقيع:

التاريخ: ١٧ / 4 /٢٠١٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

إلى أبنائي وأفراد أسرتي جميعا، وإلى كل من قدم لي الدعم والمساندة في هذه المسيرة العلمية الميمونة، وإلى أحفادي جميعاً ليأخذوا من ذلك عبرة لهم أن العلم لا يقف عند عمر معين، وأن جدهم الذي بلغ من العمر عتياً لم تفت في عضده السنون عن بلوغ هذا الأمر الرائع، وإلى كل الأصدقاء والأنسباء الذين دعموني بهذه المسيرة المباركة، إذ أرسل هذا الاهداء إلى كل المحبين مما فاتني ذكر أسمائهم، وإلى كل من يظن أن الأمر عسير أقول إنه لا توجد كلمة مستحيل؛ فمن جد وجد ومن سار على الدرب وصل. إلى الجميع أهدي هذا الجهد المتواضع .

الباحث

أحمد حسن عضيبات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر والتقدير

اعترافا مني بالفضل والجميل وقد انتهيت من كتابة رسالتي هذه أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان للأستاذ الفاضل الدكتور (محمد عوض الهزايمة) على قبوله الإشراف على رسالتي، وعلى تخصيصه لي الكثير من وقته الثمين رغم مشاغله الكثيرة والكبيرة وجهده المميز الذي أضفاه على تنقيح وإخراج هذه الرسالة بثوبها الحالي.

وأتقدم بالشكر الجزيل لرئيس وأعضاء لجنة المناقشة (الدكتور علي عواد الشرعة)، و(الدكتور أمين علي العزام)، و(الدكتور عبدالحليم مناع العدوان)من الجامعة الإسلامية لملاحظاتهم وتوجيهاتهم وأعدهم بأخذها على أكمل وجه.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى كل الأساتذة الكرام الأفاضل من اساتذة معهد بيت الحكمة للعلوم السياسية الذين تشرفت بأن أكون طالبا عند حضراتهم.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الكريم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المحتويــات

الموضوع **رقم الصفحة**

قرار لجنة المناقشة .....ب
التفويض .....ج
الإهداء .....د
الشكر والتقدير.....ه
قائمة المحتويات .....و
الملخص باللغة العربية .....ح
المقدمة ١
أهمية الدراسة ٢
أهداف الدراسة ٣
مشكلة الدراسة ٣
فرضية الدراسة.....٣
حدود ومحددات الدراسة ٤
منهجية الدراسة.....٤
المتغيرات والمفاهيم الأساسية ٦
الدراسات السابقة ٧
الفصل الأول: القومية والدولة القطرية العربية.....١٠
المبحث الأول: القومية العربية ١٠
المطلب الأول: القومية العربية المفهوم والنشأة ١١
المطلب الثاني: الظاهرة القومية العوامل والمضمون ١٦
المبحث الثاني: الدولة القطرية العربية ٢٣
المطلب الأول: الدولة القطرية المفهوم والنشأة ٢٣
المطلب الثاني: الدولة القطرية: السمات والهوية الوطنية ٣٠
الفصل الثاني: آثار القومية في استنهاض التيارات الإسلامية.....٣٨
المبحث الأول: المواجهة الفكرية بين القومية والإسلام ٣٩
المطلب الأول: النظرة القومية للإسلام ٣٩
المطلب الثاني: النظرة الإسلامية للقومية ٤٤
المبحث الثاني: توجهات الأقليات بين القومية والدين.....٥٠
المطلب الأول: الأقليات في الوطن العربي ٥١
المطلب الثاني: الأقليات العربية بين فكرين القومي والإسلامي.....٥٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث: أثر القومية على الدولة القطرية العربية (العراق نموذجا) ٦٢

المبحث الأول: الدولة القومية العربية وعدم التوافق القومي ٦٣

المطلب الأول: المشكلات الداخلية في ذاتية الدولة ٦٤

المطلب الثاني: المشكلات الخارجية الضاغطة على الدولة.....٦٩

المبحث الثاني: تثوير القوميات الإثنية وانهيار النظام القومي(العراق نموذجا).....٨٥

المطلب الأول: القومية العربية واستنهاض القوميات العراقية ٨٦

المطلب الثاني: ذهاب القومية العربية بسقوط النظام الداعي لها ٩٤

الخاتمة ١٠٤

الاستنتاجات ١٠٥

التوصيات ١٠٦

الملحق(أ) إحتلال وإستقلال الدول العربية.....١٠٧

الجدول(١) القرارات التي أصدرها مجلس الأمن الدولي بأزمة الخليج العربي.....١٠٨

المصادر والمراجع.....١٠٩

الملخص باللغة الإنجليزية ١١٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملخص

القومية العربية وآثارها على الدولة القطرية العربية

إعداد الطالب: أحمد حسن عضيبات

إشراف: الأستاذ الدكتور محمد عوض الهزايمة

هدفت هذه الدراسة إلى بيان الأثر الذي تركته القومية على الدولة القطرية العربية (العراق)، وقد قامت هذه الدراسة على فرضية مفادها: أن هناك علاقة ارتباطية بين التوجهات القومية وعدم استقرار الدولة القطرية، في حين تمحورت إشكالية الدراسة بسؤال محوري مفاده: ما الآثار التي تركتها القومية العربية على الدولة القطرية (العراق) على وجه الخصوص، ولتحقيق أهداف الدراسة والتأكد من صحة فرضيتها، والإجابة على سؤالها المحوري، فقد إعتمدت على منهج تحليل المضمون.

هذا وقد أوصلتنا الدراسة إلى صحة الفرضية، كما أوصلتنا إلى عدة استنتاجات أهمها:

إن القومية تيار فكري جاء من التيارات الفكرية الغربية ونقلها من درس في تلك البلدان، حيث إن النشأة جاءت من خارج الوطن العربي، وأن الدولة القطرية العربية دولة لا تستطيع العيش بإمكانياتها الذاتية، وبالتالي فهي تعيش بمساعدة الدول التي أوجدتها لأنها تمثل كيانا سياسيا لتحقيق أهداف الدول الكبرى بالمنطقة، كما أن الفكر القومي لاقى مواجهة عنيفة داخل المنطقة العربية وخصوصا من الفكر الإسلامي الذي يرى بالقومية مخالفة للدين ولا تتماشى معه، إن الدولة القومية العربية(العراق) لم يستطع التوفيق بين الدعوة القومية وعناصرها ومتطلبات الأقليات الإثنية التي تعيش على أرضها، كما أن الدولتين الإقليميتين مثل(إيران وتركيا) كانتا تريان بالدعوة القومية انحسارا لنفوذهما في المنطقة العربية وبذلك تمت معاداة العراق بكل ما أوتيت من قوة.

إن الدول الكبرى(الولايات المتحدة وبريطانيا) لا ترغب بإقامة دولة وفق توجهات قومية لأن ذلك يؤثر على مصالحها في المنطقة، وقد تكالبت كل القوى على العراق لإنهاء الحكم فيه، حتى يتسنى لهم المجال في إبقاء المنطقة العربية ضعيفة ومقسمة حتى يسهل عليهم استغلال ثرواتها وجعلها سوقا استهلاكية لمنتجاتهم.

وقد استوجبت الإستنتاجات عدة توصيات منها: ضرورة عدم تهميش الأقليات في الوطن العربي حتى لا يصبحوا عونا للأجنبي إذا ما أراد سوءا بأي دولة عربية، وضرورة الأخذ بتوجهات وحدوية لا تغفل عنصر الدين الذي يجمع العرب وغيرهم من الأقليات وهذا يسهل بناء هذه الوحدة العربية الهدف البعيد للأمة العربية، وضرورة وضع مخطط عربي شامل يقوم بداية على الوحدة الاقتصادية كسوق عربي مشترك وصولا إلى وحدة كاملة كالوحدة التي جمعت الأطياف الأوروبية اليوم.

المفاتيح الدالة: القومية، الآثار، الدولة القطرية.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

القومية العربية وأثارها على الدولة القطرية العربية

المقدمة :

يدرك العرب غريزيا أن رسالتهم الحضارية إلى الإنسانية تتمثل بالإسلام ويؤمنون بأنهم يستوحون من الإسلام كل نشاطاتهم الفكرية والتطبيقية؛ وذلك لإيمانهم المطلق بأن الإسلام محاولة جدية للتوفيق بين الإنسان كروح والإنسان كجسد، وأنه قوة جبارة في دفع موكب الإنسانية نحو إنشاء الدولة العالمية .

إن الإسلام الذي كان له الفضل في إيقاظ العرب كأمة كان بالوقت نفسه أول تنظيم أممي عرفه التاريخ، لذلك كانت العاطفة الإسلامية تزيد من صبر العرب على طغيان جماعة الاتحاد والترقي العلمانية ومظالمهم، وكان العرب يأملون بأن تبعد هذه الجماعة عن غيهم ويعودوا إلى الحق والصواب، ولكنهم بقوا في غيهم سادرين، فالنظام الاجتماعي كان يزداد فسادا يوما بعد الآخر والخليفة أمسى قيصرا، وغدت الطبقة الاجتماعية التي تسنده فاسدة ومنحلة، وأخذت المركزية في الحكم والإدارة تضيق من حلقاتها، وانطلقت الحركة القومية التركية لتغدو قومية طورانية عدوانية يؤمن أبطالها بالعنصرية الضيقة، ويدينون بالداروينية (نسبة لداروين) دون الإسلام كنظرة في نشوء الإسلام وارتقائه، وكان عنادهم يمنعهم من التمييز بين مطالب العرب الإصلاحية وبين الانتفاضات الأوروبية العثمانية .

ساهم طغيان وفساد الإتحاد والترقي بإرغام الأمة العربية على سلوك الطريق القومي، ومن ثم على الثورة على تركيا، وأخيرا الانفصال عن الأمة التركية انفصالا نهائيا، واضطرت الأمة العربية أخيرا للانسجام وروح العصر، عصر البعث القومي في آسيا، وأجبرت على فتح أبواب حضارتها لأبناء العصر، ولسلوك الطريق ذاتها التي سلكتها الشعوب الأوروبية لتجسيد الدولة القومية، ولقد أدركت الأمة التي أرادت أن تحافظ على وحدة الإمبراطورية العثمانية، وأرادت في كل مناسبة أن تفرض الإسلام نصا وروحا على الإمبراطورية لعلمها أن كل إمبراطورية ذات قوميات متعددة بأمس الحاجة إلى مذهب يتسامى فوق القوميات ليقيم تعاونا أخويا بينها.

ويدور حوار ساخن باستمرار بين فريقين وهما: الجماعات الدينية الإسلامية والقوى القومية من أبناء الأمة العربية، حيث يذهب الفريق الأول إلى أن القومية العربية عقيدة سياسية وافدة من الغرب وأن الهدف منها الكيد للإسلام، والقضاء على نظام الحكم الإسلامي (الخلافة)، ويذهبون إلى أبعد من ذلك، إلى أن القومية العربية قومية ملحدة علمانية وأنها تناقظ الإسلام وتعمل على إبعاده عن أن يكون الأساس في بناء الدولة، وأن الإنسان العربي يجب أن ينادي بالوحدة الإسلامية وإقامة الدولة الإسلامية وليس الدولة القومية. ويذهب الفريق الثاني إلى القول بأن هذه الأقوال التي ذكرت بعيدة عن الحق وقريبة من الباطل، فالقومية العربية لا يمكن أن تناقظ الإسلام وتكيد له لأن الإسلام ليس إلا الجانب الديني من العروبة، الجانب الذي ارتفع بالعروبة من مستوى الحياة الجاهلية إلى المستوى الأفضل وهو مستوى الحياة الإسلامية، والعلاقة بينها هي علاقة عضوية وليست تناقضية، والقومية العربية ليست علمانية لأن العلمانية قضية مسيحية كاثوليكية وليست إسلامية، وأن نظام الحكم الإسلامي (الخلافة) هو نظام مدني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وليس نظاما دينيا نظاما صنعه المسلون ولم يقم على أساس من وضع إلهي، من هنا نجد من الصعوبة بمكان فصل الإسلام عن العروبة أو العروبة عن الإسلام.

إن للقومية العربية تأثيرا كبيرا على الدولة القطرية العربية التي استأسدت في سبيل الدفاع عن قطريتها، حيث فشلت جميع محاولات الوحدة أو التعاون بين هذه الأقطار بشكل يرقى حتى إلى سوق اقتصادية مشتركة أو وحدة سياسية كالوحدة الأوروبية مثلا، التي تتألف من عدة قوميات وعدة لغات، ولكن جمعتهم المصلحة المشتركة في هذه الوحدة، ونتج عن تقطير المنطقة العربية أن ظهرت دول قطرية لها مشكلات إثنية ودينية-في هذه الأقطار سببت لها الكثير من المشاكل كالمشكلة الكردية في العراق، والأمازيغية في الشمال الإفريقي، العربي والزنوجة في الجنوب السوداني مثلا.

لقد كان مباحا للقوميين الإنكليز مثلا: أن يؤكدوا في النشيد القومي البريطاني الذي وضعت كلماته عام(١٧٤٠): " إن الأمم ليست مقدسة مثلك، فهذه الأمم ستخضع للطغاة، بينما تبقين أنت حرة سائرة في طريق الفلاح، ستبقين شوكة في أعينهم، وموضعا لحسدهم" (شيفر، ١٩٦٦: ٣٦٣).

ولقد كان مباحا(لفيخته) أن يغالي أكثر في تمجيد الأمة الألمانية وأن يؤكد أنه: " إذا سقطت الأمة الألمانية سقط معها الجنس البشري بأجمعه، وأن نهوض العالم متوقف على نهضة ألمانيا، وإن لم يبق على الكرة الأرضية أمة قادرة على إنهاض العالم غير الأمة الألمانية" (الحصري،١٩٥٩: ٧٩)

إن القومية والحالة هذه ذات قيمة إن أحسن القوم الذين تتجسد فيهم روح القومية وعناصرها، ولكن إذا وجدت العناصر ولم يستفيد القوم من تجسيدها على أرض الواقع كانت القومية سراب في قيعان صحراء، ويتناثر القوم ويتشعبوا وتستأسد عليهم ضعاف الأمم.

أولا : أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من عدة اعتبارات هي:

١-ضرورة المساواة بين مواطني الدولة الواحدة بغض النظر عن أديانهم أو أجناسهم وأية فروقات أخرى، لضمان وحدة الشعب ليكون قوة الوحدة في مواجهة الأعداء.

٢-أن هناك إختلافا في وجهات النظر حول ما هو قومي وما هو إسلامي، لذا لا بد من التعرف على وجهتي النظر، وذلك للقيام بعمليات توفيق بينهما إن أمكن حتى لا يبقى الاختلاف يطغى على السطح في عقلية أهل الفكر وخصوصا السياسيين منهم.

٣-ضرورة وضع حد لأسباب الفرقة بين سكان البلد الواحد داخل الدولة القطرية والذي يؤدي إلى إضعافها، والذهاب بهيبة الدولة، ويثير الحساسيات التي قد تؤدي إلى حروب أهلية تأكل الأخضر واليابس، تلك الأسباب التي منبعها هذا عربي وذاك ليس بالعربي، على اعتبار أن العروبة مقوم من مقومات القومية العربية.

٤-ضرورة إغلاق المنافذ أمام كل من تسول له نفسه بسوء لاستغلال الثغرات التي تفسر على غير محملها، وذلك بفكر نير يؤدي إلى إقناع كل الفئات والإثنيات داخل الدولة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القطرية، على أن القومية العربية تستند إلى الإسلام الذي عرب الجميع من عجم وغيرهم.

ثانيا : أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية :

١- التعرف على مفهوم القومية العربية.
٢- توضيح مفهوم الدولة القطرية العربية.
٣- إبراز الإشكاليات التي تعارضت مع الفكر القومي العربي واستنهضت كالتيارات الإسلامية مثلا.
٤- بيان آثار القومية على الدولة القطرية(العراق نموذجا).

ثالثا : مشكلة الدراسة :

تكمن مشكلة الدراسة في مدى ما تركته القومية العربية من آثار على الدولة القطرية، وبالتالي تتمحور المشكلة في السؤال الرئيس التالي: ما الآثار التي تركتها القومية العربية على الدولة القطرية العربية ؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية هي:

١- ما مفهوم القومية العربية ؟
٢- ما مفهوم الدولة القطرية العربية ؟
٣- ما الإشكاليات التي تعارضت مع الفكر القومي العربي وإستنهضت التيارات الأخرى كالتيارات الإسلامية مثلا؟
٤- ما الآثار التي تركتها القومية العربية على الدولة القطرية العربية ؟

رابعا : فرضية الدراسة:

بناء على مشكلة الدراسة وتساؤلاتها تقوم الدراسة على فرضية أساس مفادها: أن هناك علاقة ارتباطية بين التوجهات القومية واستقرار أو عدم استقرار الدولة القطرية العربية، وينبثق عن هذه الفرضية الفرضيات الفرعية التالية:

١-هناك علاقة إرتباطية بين القومية العربية والدولة القطرية العربية.

٢- هناك علاقة طردية بين القومية العربية والإستقرار السياسي.

٣-هناك علاقة عكسية بين القومية والقطرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسا: حدود ومحددات الدراسة:

أ.حدود الدراسة: تتحدد الدراسة لتغطي الفترة الواقعة من(٢٠٠٠-٢٠١٥) حيث تم إختيار عام(٢٠٠٠) على إعتبار أن الاقليات العراقية تأخذ بتوجهات قومية أكثر من أي وقت مضى بسبب ضعف العراق وتكالب الدول الغربية على إضعافه قصدا، مستغلة بذلك الأقليات الاثنية داخل هذه الدولة، ولكن اختيار عام(٢٠١٥) كنهاية لفترة الدراسة، فلأن هذا التاريخ الذي يمكن التوقف عنده للحصول على البيانات والمعطيات التي يمكن إنجازها وتحليلها، وبالتالي التوصل إلى نتائج أكثر دقة وموضوعية، وخاصة أن هذه الفترة تشهد إرهاصات كبيرة على القومية العربية وأثرها على الدولة القطرية.

ب.محددات الدراسة: إن هذه الدراسة تتحدد ببيان القومية ما لها وما عليها تجاه الدولة القطرية العربية، والعصف الفكري الذي طال القومية مع اختيار دولة عربية، أدت هبوب رياح القومية إلى وجود نزاع عرقي على اعتبار أنهم ليسوا من هذه الدولة القطرية العربية أو تلك، بسبب عرقهم (جنسهم)على اعتبار أنهم ليسوا بعرب، والقومية العربية تستند إلى العرق كأحد مقومات القومية، وليكن محل المثال الذي نحن بصدده دولة العراق والإثنية الكردية وللأسباب التالية:

١. إن العراق من أكثر الدول العربية تحمسا للسير وفق النهج القومي العربي.

٢.إن العراق بقي القطر العربي الوحيد الذي ينادي بالقومية بعد أن تراجعت الصيحات القومية عند خروج مصر من حلبة الصراع العربي-الإسرائيلي بعد إتفاقية "كامب ديفيد" عام(١٩٧٩).

٣.إن العراق لم يساوم على الحق العربي ولا أدل على ذلك من كونه رفض الصلح أو التصالح مع دولة الكيان الصهيوني وفق إتفاقيات كإتفاقية"كامب ديفيد" وإتفاقية "وادي عربة" عام(١٩٩٤).

٤.إن العراق هو الدولة الوحيدة التي باتت تمتلك جيشا قويا تخشاه الدول الإقليمية، وكذلك دولة الكيان الصهيوني، لهذه الأسباب كان العراق موضوع الدراسة التي نحن بصددها.

سادسا : منهجية الدراسة :

استنادا إلى طبيعة الموضوع ومشكلته البحثية التي يسعى للإجابة على تساؤلاتها، والأهداف التي يتوخى تحقيقها، والفروض التي ينوي اختبارها، فإن المنهج الأنسب لهذه الدراسة هومنهج تحليل المضمون، كما أنه سيتم الإستعانة بالمنهج التاريخي، وسوف نعرض هذه المناهج وبصورة موجزة على النحو التالي:

١.منهج تحليل المضمون :

أ.مفهوم ورواد منهج تحليل المضمون :

يقصد بتحليل المضمون أو التحليل الكيفي، القيام بدراسة موضوعية لكمية المحتويات أو المحتوى، مع تصنيف الدلالات الموضوعية ضمن فئات رئيسة أو فرعية، أو ضمن مقولات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تصنيفية، وتجميعها تحت قيمة أو فكرة معينة. وهناك من يعرف تحليل المضمون بأنه منهج يتيح:"بصفة عامة تحليل سلوك الأفراد والشخصيات، ومواقفهم من خلال المواد التي يكتبونها أو يقولونها، كما يتيح دراسة موقف وسلوك الهيئات والمؤسسات كتحليل توجهات ومواقف حزب سياسي-مثلا-من خلال افتتاحية الجريدة التابعة له" (عبدالفتاح، وآخرون،٢٠١٠-٢٠١١ :٢٧-٢٨).

ومن جهة أخرى، هناك من يعرف تحليل المضمون بأنه دراسة إحصائية وكمية ورمزية للمعاني والمضامين التي تتضمنها المادة الأساس. ويمكن القول: إن تحليل المضمون هو تصنيف المحتويات والمواد الدلالية ضمن فئات محددة، بل إنه بمثابة تحليل علمي دقيق وممنهج للمادة المضمنة في مختلف الحقول والمعارف والعلوم. وقد ارتبط تحليل المضمون في البداية بعلوم الإعلام والسياسة، ويمكن القول أيضا: إن تحليل المضمون هو الذي يهتم بدراسة الرسائل الإعلامية والخطابات الاجتماعية، وتحويلها إلى فئات وعينات قابلة للتلخيص، والمقارنة، والتحليل، والمعالجة، والاستنتاج، والتأويل، مع استخلاص العلاقات الارتباطية بين الخصائص المعبر عنها في أي مادة اتصالية. ويعني هذا أن تحليل المضمون يعمل على استكشاف المميزات التي تتميز بها المواد الإعلامية، مع تبيان خصائصها الموضوعية والشكلية والسياقية. ويضاف إلى هذا أن تحليل المضمون يدرس الإرساليات الإعلامية في سياقها الزماني والمكاني، ومن ثم فتحليل المضمون هو وصف علمي لما يقال في موضوع معين وفي زمان ومكان معينين

ويعد كلا من "بنيامين بودون" وهو أحد الأساتذة الجامعيين بجامعة "رين" بفرنسا، و(لاسويل) و(هارولد دويت) من الولايات المتحدة الأمريكية من أبرز رواد أداة تحليل المضمون.(Norton:1957:3).

ب.خصائص أداة تحليل المضمون :

١.يسعى تحليل المضمون عن طريق تصنيف البيانات وتبويبها إلى وصف المحتوى الظاهر والصريح للمادة قيد التحليل، ولا يقتصر على الجوانب الموضوعية وإنما الشكلية أيضا.

٢.يعتمد على تكرارات وردت أو ظهور جمل أو كلمات أو مصطلحات أو رموز أو أشكال المعاني المتضمنة في مادة التحليل بناء على ما يقوم به الباحث من تحديد موضوعي لفئات التحليل ووحداته .

٣.يجب أن يتميز بالموضوعية ويخضع للمتطلبات المنهجية (كالصدق والثبات)، حتى يمكن الآخذ بأحكام نتائجه على أنها قابلة للتعميم .

٤.ينبغي أن يكون التحليل منتظما، وأن يعتمد أساسا الأسلوب الكمي في عمليات التحليل، بهدف القيام بالتحليل الكيفي على أسس موضوعية .

٥.يجب أن تكون نتائج تحليل المضمون مطابقة في حالة إعادة الدراسة التحليلية لذات الأداة وللمادة (قيد التحليل)، لضمان ثبات النتائج -الاتساق عبر الزمن- أو عبر تطبيقها واقتراب نتائجها من قبل محللين آخرين (التحكيم الخارجي) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦.ترتبط نتائج تحليل المضمون مع ما ورد من نتائج وصفية وتحليلية ونظرية، بإطار عام وشامل، ليتم وفقها تفسير الظاهرة أو المشكلة، أي أنه في هذه الحالة يعد مكملا لإجراءات منهجية أخرى تسبقه أو تلحقه في إطار الدراسة الشاملة (الرمضاني، ١٩٩١: ١١٨).

سابعا : المتغيرات والمفاهيم السياسية :

يبرز في هذه الدراسة المتغيران الرئيسان التاليان :

١.المتغير المستقل : القومية العربية .

٢.المتغير التابع : الدولة القطرية العربية .

ثامنا: مصطلحات الدراسة:

هناك مصطلحات في هذه الدراسة لا بد من التعريف بهما لكي يكون لدى الآخر معرفة مسبقة قبل النظر في هذه الدراسة وهما:

١.القومية العربية :

أ.التعريف الاسمي (التعريف اللغوي) : تعود كلمة القومية إلى مصدر (قام) وتنسب إلى قوم فجاءت كلمة القومي، ويعرف الرجل القومي: (من يؤمن بوجوب معاونته لقومه ومساعدتهم على جلب المنافع ودفع المضار)(معجم المعاني الجامع، ١٩٨٥: ق) ومن القومي تأتي كلمة القومية وهي إسم مؤنث منسوب إلى قوم، وتأتي وفق هذا السياق بأنها: (صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن واللغة ووحدة التاريخ والأهداف).

ومعناها السياسي: (فهي مبدأ سياسي اجتماعي يفضل معه صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه مما يتعلق بغيرها(قاموس المعاني، ٢٠٠١: ق) والقومية بمعناها الشمولي فهي(مجموعة من الروابط الثقافية التي تطال كافة جوانب الحياة الناجمة عن تعايش مجموعة بشرية في مكان واحد لها تاريخ واحد ومصالح مشتركة(خلف الله، ١٩٨٨: ٢٠) .

ب.التعريف الإجرائي :

هناك مؤشرات تقود إلى اعتبار القومية خطا عقائديا يجتمع حوله الناس، وهذا الخط يتجلى في عدة صفات للذين يؤمنون بهذا الخط، كاللغة والأرض والجنس والمشيئة المشتركة والروابط التاريخية وغيرها، وبالتالي فهي تعرف من الناحية الإجرائية وفقا لخطها العقائدي بأنها: (تعني مجتمع طبيعي من البشر يرتبط ببعضه البعض بوحدة الأرض والأصل والعادات واللغة من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي وجغرافية مشتركة، ومصير مشترك ومصلحة اقتصادية مادية مشتركة، وثقافة مشتركة ونفسية مشتركة (السلفاوي، ١٩٩٢: ٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢.الدولة القطرية العربية :

أ.التعريف الاسمي (اللغوي) : تعود هذه الكلمة القطرية(إلى مصدر قطر) والجمع (أقطار)، والقطر يعود إلى معنى ناحية أو جهة أو جانب، وإذا ما سحبنا التعريف على الأقطار العربية: أي البلدان العربية من جهة أن كل بلد يعتبر قطر ويشكل إقليما أو جهة(معجم المعاني الجامع، ١٩٨٥: ق).

الدولة القطرية: يشير مفهوم القطرية إلى الجزء المقتطع من الكل، فكل دولة عربية تعتبر قطرا، ومجموعها هي الأقطار وهي تقابل الوطنية كمصطلح شائع بين الناس.

ب.التعريف الإجرائي:

إن مؤشرات الدولة القطرية العربية هي التي تنتج عن تمسك كل قطر بكيانه المستقل وسياسته الداخلية والخارجية ، واعتبار أن القومية العربية إطارا عاما يجمع دولهم في منظمة اتحادية فضفاضة لا تلزم أقطارهم بشيء إلا إذا كان ذلك بموافقتهم التامة ويستطيعون التنصل من هذه الاتفاقيات متى شاؤوا، مثل قرارات الجامعة العربية، ويعتبر مواطنو كل دولة قطرية أجانب بالنسبة للقطر الآخر، وإذا نشبت حرب بين دولتين قطريتين تعتبر حربا دولية، وإذا نشأ خلاف بين دولتين قطريتين فتخضع للتحكيم الدولي وهيئات الأمم المتحدة، لأن الجامعة العربية تعتبر منظمة ذات شخصية قانونية دولية، ولكنه لا يأتمر بها أحد.

وإن جاز لنا وفقا لما سبق في الوقوف على القطرية فإنها جاءت بمعنى (الوطنية)، وتعرف بأنها : (ذلك المعنى المشتق من مصطلح الوطن والذي يحتكم لنظام سياسي معين، يقوم جميع أبناء ذلك الوطن بالالتفاف حوله من أجل رفعته وإدامة بقائه). (الهزايمة ،٢٠٠٥: ٧٧) .

في حين عرفت القطرية بأنها: (ذلك المصطلح الذي يشير إلى قطر بعينه على إعتباره نظام سياسي قائم بذاته ويدخل ضمن ما تم التعارف عليه بالدولة) .(بركات، ١٩٩٦ :٤٣) .

وبدورنا ومن خلال ما سبق نرى بالدولة القطرية هي : ذلك البناء السياسي الذي يحتكم إلى قواعد دستورية خاصة لا تندرج على غيره وهذا ما تم تسميته بالدولة.

تاسعا : الدراسات السابقة :

-دراسة: الشايجي، (٢٠٠٨) والموسومة ب: (**القومية العربية**)، وقد هدفت الدراسة إلى بيان مكانة القومية العربية في الفكر العربي وأبرز إتجاهاتها، وقد إستخدم الباحث المنهج الوصفي لتحقيق أهداف الدراسة وخلصت الدراسة إلى عدة استنتاجات منها: أن القومية العربية تحتل مكانة ثابتة في نفسية معظم الجيل العربي لكونهم يرغبون في تحقيق الهدف الأكبر لهذه القومية المتمثلة بالوحدة العربية، في حين كانت أهم توصيات البحث: إعتماد مناهج دراسية واحدة في كل الأقطار العربية، لأنها تنشئ أفكارا موحدة غير متقاطعة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-دراسة الشويري، (٢٠٠٢) والموسومة ب: (**القومية العربية الأمة والدولة في الوطن العربي**)، وإستهدفت الدراسة بيان مكانة القومية في عقلية أبناء الدولة القطرية معممة على أبناء الأمة العربية كاملة، وقد قامت الدراسة على فرضية أن القومية العربية هدف سام يسعى إليه أبناء الأمة العربية فرادى وجماعات، وقد إستند الباحث على المنهج الوصفي التحليلي للتحقق من صحة الفرضية وتحقيق أهداف الدراسة، وقد توصل إلى صحة الفرضية كما توصل إلى عدة إستنتاجات أهمها: جهل الكثير من أبناء الأمة العربية بمضمون ومحتويات مصطلح القومية العربية، في حين كانت أهم التوصيات: إستخدام المناظرات والندوات في وسائل الإعلام المرئية والتي تتحدث عن القومية بصورة صحيحة لتصل إلى كل أبناء الوطن العربي أينما كانوا.

-دراسة العساف، (٢٠١٠) والموسومة ب: (**القوميات في الوطن العربي، العراق نموذجا**)، وقد إستهدفت الدراسة بيان دور الأقليات في إضعاف الدولة القطرية العربية، حيث برزت الأقلية الكردية في توجهات قومية ندية للقومية العربية، وقد قامت الدراسة على فرضية أن للاقليات دور كبير في إضعاف الدولة القطرية، وتوصلت الدراسة إلى عدة إستنتاجات أهمها: أن الاقليات يتعاظم دورها وأنشطتها كلما بدى على الدولة التي تتبع لها الوهن والضعف، في حين كانت أهم التوصيات ضرورة إعطاء الاقليات كامل حقوقها لتبقى تحت مظلة الدولة القطرية.

-دراسة: الحصري، (١٩٨٥)والموسومة ب: (**حول القومية العربية**)، هدفت الدراسة إلى الجهود التي تبذل لتحقيق حلم الوحدة العربية ، هذا وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن الإيمان بوحدة الأمة العربية في ظروفنا الحالية يتطلب بذل الجهود الكثيرة لاستئصال جذور الآراء والمعتقدات المخالفة التي تسلطت على أذهان الكثيرين، مع مواصلة الجهود لوقاية هذا الإيمان من تأثير التيارات التي تعمل لزعزعته وإضعافه بوسائل شتى، وتطرق الباحث إلى محاولات الوحدة العربية بين سوريا ومصر، وكيف أن ساسة العراق كانوا يودون أن يضموا سوريا لهم، وعارضوا وحدة سوريا ومصر، وحث الباحث على الاستفادة من تجارب الأمم السابقة في ميدان التحرر والنهوض، بحيث تدرس هذه التجارب وتتوصل إلى نتائج صحيحة، وشدد على أن التاريخ مهم جدا في تكوين القومية .

-دراسة: خلف الله،(١٩٨٨) والموسمة ب: (**القومية العربية والإسلام**)، هدفت الدراسة إلى بيان موقع الإسلام في القومية العربية، هذا وقد خلصت هذه الدراسة في مجملها إلى: أن مفهوم مصطلح القومية العربية يشمل الفكرة والحركة، وهذه الفكرة تقوم على الفكر العربي القومي، والذي يعرف بأنه فكر ينطلق من الإيمان بحقيقة الانتماء القومي بأمة عربية واحدة، وينشغل بدراسة واقع هذه الأمة ويبحث من ثم في الدلالة على وجودها كوحدة، وفي توحيد الوطن العربي، وفي تحرير الأجزاء المحتلة منه، وفي التقدم به وفي تحديد مكانه في العالم، كما أن الحركة هي العمل على تجسيد هذه الفكرة من خلال تفاعل الإنسان مع بعدي الزمان والمكان وصولا إلى الهدف، أما مفهوم الإسلام فهو دين سماوي نزل على الرسول العربي (صلى الله عليه وسلم) يرى فيه المؤمنون عقيدة ونظاما للحياة في شتى مجالاته .

-دراسة: البياتي، (٢٠٠٥)، والموسومة ب: (**العروبة في قنوات مفتوحة**)، وقد هدفت الدراسة إلى بيان مقومات القومية العربية وركز الباحث على العروبة كعنصر بارز في تشكيل القومية العربية، وقد إستخدم منهج تحليل المضمون في دراسته بالإضافة إلى المنهج التاريخي، وتوصل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى عدة إستنتاجات أهمها: أن العروبة تشكل عنصرا بارزا وهاما في تشكيل الفكر القومي، وأن العروبة أصبحت تشكل مصدر خلاف لأن الكثير لا يعرفون معنى العروبة وينادون بالجنس ليعلو نداء العربية .

إن ما يميز دراستنا الموسومة ب: (القومية العربية وآثارها على الدولة القطرية العربية)، هذه عن الدراسات السابقة ما يلي: أن هذه الدراسة تناولت القومية بصورة مغايرة للدراسات السابقة، حيث لم نجد دراسة تناولت مدى أثر إعتناق القومية كخط فكري على الدولة القطرية وخصوصا أن الدول العربية(الأقطار العربية) تعيش في حالة صراع مع الإثنيات الموجودة داخل حدودها، رغم إعتناق هذه الإثنيات في معظمها الإسلام كدين، من هنا تبرز سمة التميز لهذه الدراسة عن سابقتها من الدراسات، وخصوصا ونحن نرى في عالم اليوم قيام هذه الإثنيات بمعاداة الدولة الأم والجنوح نحو الانفصال، لتشكيل كيان سياسي جديد على الساحة الدولية، كما أن هذه الدراسة تتميز بأنها أخذت لونا تطبيقيا على دولة عربية ذات توجهات فكرية قومية ألا وهي دولة (العراق) لبيان الآثار التي تركتها القومية على هذا البلد، وبيان أثر الأقليات التي تعتنق قوميات مغايرة عن قومية الدولة القطرية العربية في إضعافها نتيجة إستنادها على دعم قوى خارجية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

القومية والدولة القطرية العربية

عند الحديث عن القومية نرى بأنها تشكل خطا عقائديا تأصل في عقول كل اللذين يفكرون بهذا المبدأ، ولما كان الأمر كذلك فإن القومية ما هي إلا جامعة تجمع كل المؤمنين بها، كما أنها مؤشر لهؤلاء توجههم نحو مصلحة الأمة ومصلحة ناسها جميعا مهما تعددت أشكالهم وألوانهم، وهي بذلك تشكل البوصلة التي تشير إلى المصلحة العامة للناس، وما على الذين يعتنقون خطاها إلا السير نحو ذلك الهدف الذي يحقق مصالحهم وتسعد عندها أحوالهم، إن معظم الناس يعترفون دون تردد بانتمائهم إلى قومية ما، ويقصدون بذلك أن ثمة قاسما مشتركا يجمعهم مع غيرهم من مواطنيهم، وليس الحكم بصحة وجود هذا القاسم المشترك أو وهمية هذا القاسم المزعوم إلا أن الاقتناع به سواء كان بشكل مطلق أو نسبي فهو يشكل صورة تعني أن هناك حدود لهذه الجماعة تجمعها وتميزها عن غيرها.

وأما ما يتعلق بالدولة القطرية، فإن البلاد العربية كانت بالأمس خلافا على ما هو عليه الواقع، حيث لم يكن هناك مصطلح يعرف بالأقطار العربية أو البلدان العربية، حيث كانت الصيغة المعروفة باسم الوطن العربي، فهذا مصطلح جامع لكل بقعة تمتد من المحيط إلى الخليج، وأما ما بعد فترة الإستعمار قسم هذا الوطن وفقا لمصالح الدول الإستعمارية إلى قطع وجهات عرفت كل قطعة بإسم الدولة القطرية العربية، وأما ما يتعلق بالقومية والدولة القطرية فإن الدولة القطرية العربية تعيش فيها إثنيات(أقليات) منذ سنين طويلة، وهذه الأقليات لها مكانتها في الدولة، وبعد أن نادى أهل الفكر بالقومية وحددت لها أسسا فإن هذه الأقليات ثارت على إعتبارها ليست جزءا من هذه القومية وأخذت تنادي بالاستقلال تارة وبالحكم الذاتي تارة وبالمركزية تارة أخرى، ولتحقيق أهداف هذا الفصل فإننا سنتناوله في مبحثين هنا:

المبحث الأول: القومية العربية.

المبحث الثاني: الدولة القطرية العربية.

المبحث الأول:

القومية العربية

اضطرت الأمة العربية للانسجام وروح العصر، وروح البعث القومي، ولسلوك الطريق ذاتها التي سلكتها الشعوب الأوروبية لتجسيد الدولة القومية كان المسيحيون العرب وخاصة اللبنانيين منهم حقا رواد القومية العربية في دنيا العرب.

لقد أدرك الشباب العربي المسلم والمسيحي أن الطريق إلى التحرر والاستقلال، ومن ثم الإسهام في بناء الحضارة الإنسانية وصيانتها إنما يبدأ أول ما يبدأ في السعي إلى إيقاظ العرب كأمة، أمة تعيد جمع شتاتها وتنظم بيتها لتنطلق من جديد برسالة الإخاء والمحبة إلى الشعوب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأمم الأخرى، فوقف عام(١٨٥٩) (بطرس البستاني) في مدينة بيروت محاضرا في الأدب العربي، وأنحى باللائمة على العرب مقارنا بين ماضيهم المشرق، وحاضرهم القاتم الأسود، وكان(بطرس)أول من استعمل إصطلاح(أبناء العرب)، وكان اهتمامه بالأدب الذي أراد له أن يكون الرابط الأساس بين أبناء الشعوب العربية، وإذا عزمت الأمة على النهوض، فإن خطها في التقدم لا تجول فقط في ميدان الأدب، وإنما يتجول حتما في ميادين الاقتصاد والاجتماع والسياسة، لذلك لم تكد تمضي بضع سنوات حتى أقدم عدد من الشباب اللبنانيين على تأسيس أول حركة سياسية سرية في تاريخ البعث القومي، وقد لاقت هذه الحركة السرية نجاحا منقطع النظير، فأنشأت لها فروعا في كل من طرابلس ودمشق وصيدا، وقد انتقلت عدوى تأسيس هذه الجمعية إلى معظم البلاد العربية الأخرى فيما بعد.

لذا ولبلوغ أهداف هذا المبحث فإننا سنتناول ذلك في مطلبين أساسيين:

المطلب الأول : القومية العربية: المفهوم والنشأة.

المطلب الثاني: الظاهرة القومية: العوامل والمضمون.

المطلب الأول:

القومية العربية: المفهوم والنشأة

يقوم مفهوم القومية على تناقض جوهري داخلي له، شأنه في ذلك شأن جميع المفاهيم المحددة لمجموعات إنسانية، هذا النتاقض يتجلى هنا من ناحية بين العمومية الإنسانية: (أي الطابع المشترك للبشر بأجمعه سواء كان من حيث المميزات البيولوجية والنفسية والذهنية)، الأمر الذي ينكر تماما النظريات العرقية التي تتدعي أن الخصوصيات في هذه المجالات تتفوق على ما هو عام ومشترك، أما من حيث مغزى المشروعات المجتمعية المستقبلية وبين الذاتية الخصوصية التي تتجلى في واقع تاريخ المجموعات الإنسانية تجليا واضحا في الناحية الثانية، الأمر الذي يبدو الإهتمام بتناول مفهوم القومية على إعتبار هذا المفهوم حمل ولا يزال يحمل في ثناياه جدلا واسعا.

كان ما سبق يتعلق بمفهوم القومية، وأما ما يتعلق بنشأة هذه الظاهرة التي تعتبر بحق ظاهرة عقائدية عند البعض، فقد كان الاختلاف حول نشأة الظاهرة هذه، بمعنى لا يوجد اتفاق حول تحديد نشأة الظاهرة، وإن ذهب البعض إلى تحديدات معينة، إلا أن ذلك لا يرتقي ومستوى اليقين، ويبقى هناك جدلا محتدما حول نشأة ظاهرة القومية هل هي ما قبل فترة الاستعمار أم أن الظروف الاستعمارية هي التي دفعت بها للظهور أم بعد الاستعمار ألا وهي فترة الاستقلال، كان المناداة بالقومية لتوحيد ما جزأه الإستعمار، وتحقيقا لأهداف هذا المطلب فإننا سنتناوله في فقرتين رئيسيتين هما:

أولا: مفهوم القومية العربية.

ثانيا: نشأة القومية العربية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: مفهوم القومية :

الناظر في مفهوم القومية يجد أنها تحمل أكثر من معنى، وهذه المعاني تتناول جوانب مختلفة، فمنها ما يذهب إلى معنى القوة الدافعة لبناء أمة من الأمم ينتمون إلى سلالة بشرية واحدة لها طبائعها التي تميزها عن السلالة الأخرى، وتأتي بمعنى مفهوم اجتماعي يعبر عن هذا الرابط أفراد الأمة الواحدة، فتأتي هنا القومية مجرد علاقة تربط بين جماعة معينة زاد عددها أو كثر، والملاحظة أن المعنيين على الإختلاف الأساس بينهم، لأنهم سرعان ما يلتقون بمعنى أحدهما لا يفترق عن الآخر، وإذا ما تبصرنا في المعنيين نجد ذلك عند الوقوف على مضمونها (عبيدات، ٢٠١٣: ٤).

فالقومية من الناحية الاجتماعية هي الرابطة التي تربط أبناء الأمة الواحدة في الوطن الواحد، وأساس القومية هنا هو الوحدة الحضارية التي تصنعها إرادة أبناء الأمة تعبيرا عن مجموعة عوامل موجودة وتحسها، إذن فالقومية مفهوم اجتماعي يصعب تعريفه لأنه يصعب تحديد العوامل التي دفعت بإرادة الأمة لبنائها، ولكنه لا يصعب الإشارة إلى القومية ولا الحديث عنها. إن القومية موجودة وقائمة مهما إختلفت أسباب قيامها فشعور أبناء الأمة الواحدة أن هناك شيئا ما يجمعهم إلى بعض ليكونوا وحدة متجانسة متفاهمة يتميزون عن غيرهم سواء كانت هذه المميزات حضارية أو تاريخية أو اقتصادية (هزاع، ٢٠٠٥: ٣٣) .

إذن القومية ما هي إلا صلة اجتماعية تنشأ من الاشتراك بعدة سمات تميز جماعة عن الأخرى، إن دعاة القومية اختلفوا في المفهوم الصحيح لها هل هي بمعنى تجمع أمة من الناس وإرتباط بعضهم ببعض هدفا وسلوكا وغاية، أم لإنتمائهم إلى لغة واحدة – كما يرى القوميون الألمان – وإما لانضوائهم في عيشة مشتركة – كما يرى القوميون الفرنسيون- أم أنها لكليهما، أو أنها لغير ذلك من أمور سياسية واقتصادية كالاشتراك في المعيشة الاقتصادية – كما يرى الماركسيون- أو الاشتراك في اللغة والتاريخ في البلد الواحدة كما يرى الكثير من دعاة القومية العربية كساطع الحصري ومن سلك مسلكه، بحيث يحسون جميعا كأنهم كتلة مشتركة واحدة وأن ما يجري على البعض من آلام وآمال هو يجري على الكل فتقوم قوميتهم على هذا المفهوم (الدرر السنية، ١٤٣٦: ٣٧).

إن هناك خلافا كبيرا بين القوميين على تعريف القومية ولكن الأكثرية منهم متفقون على أن إبعاد الدين خصوصا الإسلامي أمر حتمي لانتعاش القومية وتقوية أواصرها وروابطها، وما نخص به القوميون العرب أنهم دائما يصرحون بأن الدعوة إلى القومية ليس معناها الدعوة إلى الدين، لأن كل الناس عباد الله تعالى ولكنهم يريدون الحياة السعيدة في الحياة الدنيا، وهذا لا شأن للقومية به، بل يعتبرن الدعوة إلى الدين دعوى ناقصة عن تحقيق طموحات القوميين بل أنها رجعية في نظرهم ويجب فصله عن الدولة أيضا، انسياقا مع مفاهيم الحركات الأوروبية التي قامت في البداية على القومية وحرب الدين بل وصل طمع دعاة القومية أن تكون بديلا عن النبوات وأن نبوة القومية يجب أن يبذل لها كل غال ورخيص، وأن يكون الإيمان بها أقوى من كل الروابط، وجعلوها في الكفة الأخرى مع الإيمان بالله تعالى، وأنها يجب أن تكون هي الديانة لكل عربي، وأخذوا يتباكون على مصير العرب حينما لا يتم تحقيق هذا الدين الجديد الذي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيخلص العرب من كل سيطرة أجنبية، ويرفعون رؤوسهم عالية أمام كل أجنبي، إن القومية في نظر غيرهم من القوميين ما هي إلا دعوى جاهلية ليس وراءها إلا الخراب سواء كانت الدعوة إلى القومية أم إلى الوطنية، فلا عز للعرب وفق رؤية هؤلاء ولا إسترجاع لحقوقهم أيا كانت وفي أي مكان كانت إلا بالتمسك بالدين الحنيف، وكلما إبتعد العرب عن دينهم ازدادوا ذلا، وكلما أخذوا به إزدادوا عزا (عمارة، ٢٠٠٥: ١٧).

لقد تعددت مفاهيم القومية كما أسلفنا إلا أن الإسهامات في الإفصاح عنها يبقى محفوفا بمخاطر النقد والتجريح لأن مفهومها مصطلحا له عدة جوانب فما يراه أحد لا يراه آخر لهذا يبقى المصطلح سجين دائرة التحسب، رغم هذا فهناك من رأى في القومية على أنها: (مبدأ سياسي إجتماعي يفضل معه صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه من ما يتعلق بغيرها) وكذلك يمكن القول فيه بأنها: (عقيدة تصور وعيا جديدا يمجد فيه الإنسان جماعة محدودة من الناس يضمها إطار جغرافي ثابت، ويجمعها تراث مشترك وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة (حسين، ١٩٧٨: ٢٠) .

ويرى البعض الآخر أن القومية العربية هي: (ليست رابطة دم ولا عرق، بل هي جماعة متحلية بأدوات اللغة ووسائل الاتصال الحديثة تسعى إلى أن تصبح الأمة العربية أمة ذات سيادة) (بشارة، ٢٠٠٩: ٢٧) وفي تقديرنا أن القومية العربية لها عدة تعاريف وبالتالي مهما تعددت فالإختلاف واضح بينها لأن كل مفكر وصاحب رؤيا ينظر للقومية من الناحية الفكرية التي تسيطر على فكره، وبالتالي فإن جاز لنا أن نعرف القومية فإننا نقول: (تلك الوشائج التي تشد أفراد المجتمع بعضهم إلى بعض بسمات تميزهم عن غيرهم وبالتالي يكونون موسومين بطابع فريد لا يشاركهم فيه أحد) .

ثانيا: نشأة القومية العربية:

لا يعرف على وجه التحديد نشأة الحركات والأفكار في الغالب، أما بالنسبة للقومية فإن الباحثين يذكرون بأن ظهورها كان في أوروبا في الفترة التي كان رجال الفكر والتحرر – كما يسمون أنفسهم- يبحثون عن بديل للديانة النصرانية الجائرة، من أجل الإنفلات من سلطة رجال الدين أيام سيطرتهم على كل جوانب الإنسان الأوروبي، وكان ذلك في حدود القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين، واشتد عودها في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد أثنى دعاة القومية على الثورة الفرنسية التي كانت هي البداية الأولى لظهور القوميات كما يعتقدون، حيث عرف بعدها أن الحكم يجب أن يكون للشعوب وليس لفئة من الناس وهم الحكام، وأن الحرية يجب أن تشمل جميع الأمة بالتساوي وشعار الجميع الإخاء، وأصبح هذا المبدأ الثلاثي (الحرية، والإخاء، والمساواة) هو مصدر إلهام الجماهير في زعم دعاة القومية، وقد زعم القوميون العرب أن القومية العربية قد أثارها التوجه الأوروبي للقومية حيث بعث بواعث المناداة بها، وكأنها كانت القومية العربية نائمة وجاءت التوجهات الأوروبية وأيقظتها من سباتها العميق، فأخذت تلهث بسباق مع الزمن لتلحق بالركب الأوروبي(عداس، ١٩٨٥: ٣٧).

ينبئنا الواقع أن الذين أثاروا القومية العربية وكان لهم اليد الطولى في الدعوة إليها في بلاد العرب والمسلمين إنما هم النصارى العرب لإدراكهم فائدة إلتفاف العرب المسلمين على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القومية بدلا عن الدين الذي لا يتوافق مع دمج المسلم وغير المسلم في بوتقة واحدة، فجاء القوميون العرب من النصارى وغيرهم يكيلون المديح لهذه القومية الطارئ الجديد، ويصورون أن العرب بحاجة ماسة وشديدة إلى قيامها وإن أرادوا العزة والمنعة وإحترام سائر الأمم لهم.

ترجع بدايات نشأة القومية العربية في بلاد العرب إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في العاصمة العثمانية، ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية اتخذت من دمشق وبيروت مقرا لها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس عام(١٩١٢)(زغلول، ١٩٧٨: ٢٣).

شكلت العوامل الحاسمة في بلورة الفكرة القومية العربية، الاحتكاك الثقافي والفكري بين الشرق والغرب، وقد بدأ ذلك في المشرق العربي جزئيا من خلال البعثات التبشيرية في لبنان وسوريا وبشكل أكبر مع قدوم حملة نابليون الفرنسية إلى مصر عام(١٧٩٨) ومنها إلى بلاد الشام، فقد أتى مع الحملة كما هو معروف عدد كبير من المفكرين والعلماء الفرنسيين، ومعهم أول مطبعة حديثة عرفها الشرق، ونشر مفاهيم وأفكار عصر التنوير الأوروبي، والثورة الفرنسية ومبادئها(١٧٨٩)، مثل: الحرية والمساواة والإخاء والعدالة والمواطنة والوطنية والقومية وحقوق الإنسان، وأهم من ذلك أن بعض العرب أدركوا أن هذه المفاهيم والأفكار والمبادئ تكون معا حزمة واحدة متسقة، وأنها كانت وراء تقدم الغرب، وكان غيابها وراء تخلف المسلمين، واستمر الاحتكاك والتفاعل مع أوروبا عموما وفرنسا خصوصا طوال القرن التاسع عشر من خلال البعثات التي أرسلها والي مصر(محمد علي)، وتلك التي أرسلها(داود باشا) والي العراق، (وخير الدين التونسي) الوزير الأول في تونس فيما بعد إلى أوروبا، هذا فضلا عن تأثير الكلية البروتستنتية السورية، والتي أصبحت الجامعة الأمريكية فيما بعد، والتي عمقت التأثير الغربي الليبرالي والقومي في عقول الأجيال العربية الجديدة من أبناء الأعيان والتجار، إن الشباب العربي الأكثر تعليما ووعيا قد تشرب الأفكار التحريرية الحديثة سواء كان من خلال الدراسة في أوروبا أو من خلال المدارس والكليات الجامعية الحديثة في أراضي العرب(المحرر، ٢٠١٥: 10/٢٧).

يفسر الخلاف بين ما هو في أوروبا والبلدان العربية أن العناصر الذاتية في الأمة العربية هي التي وقفت في وجه المكمل الوظيفي للأمة، ألا وهو القومية لا كما حدث في أوروبا، والسبب أن الرابطة الأساس طوال القرون الأولى السابقة على نشأة القومية كانت هي رابطة الدين، أي أن الدين كان هو الأساس، والمعيار الذي يحدد المواطنة أو العضوية في الجماعة السياسية، فالأمة في هذا السياق هي جماعة المؤمنين بالدين نفسه، ومن ثم فعليهم السمع والطاعة لولي الأمر، وبقي الولاء كذلك حتى جاء (محمد علي) والي مصر وسوى بين جميع المواطنين في بلاد الشام بصرف النظر عن الدين، وأرغم الجميع بالاعتراف بحقوق غير المسلمين في الوظائف المختلفة في دائرة الحكومة، وجاء (إبراهيم باشا) على نفس الطريق.

كانت الإجراءات الاصلاحية التي قام بها محمد علي باشا وإبنه إبراهيم باشا هي البذور المهمة في نشأة القومية العربية والحماس لها وخاصة بين مسلمي الشرق، وشجعت حركتهم الإصلاحية إفتتاح الكليات الجامعية الأمريكية للبنات عام(١٨٣٠) وللبنين عام(١٨٦٦) وجامعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القديس يوسف(١٨٧٤) وغيرها من المدارس والكليات، وقد كرست مفهوم القومية في مناهجها واتجاهاتها الفكرية(حتي، ١٩٧٣: ٤٤).

تختلف مدارس الفكر القومي العربي اختلافا بينا حول بداية ظهور القومية العربية فيرجع (ساطع الحصري) مثلا بداية تكون الأمة العربية في الماضي البعيد الذي سبق ظهور الإسلام، إذ يرى أنه من الخطأ أن نظن أن العرب كانوا أمة بدائية محرومة من الحضارة قبل الإسلام(الحصري،١٩٦٤: ٣٥٥).

ويرى (ميشيل عفلق) أن القومية العربية سبقت الإسلام، فالإسلام في حقيقته الصافية نشأ من قلب العروبة، وأفصح عن عبقريتها أحسن إفصاح، وساير تاريخها وامتزج بها في أمجد أدواره(عفلق، ١٩٦٣: ٤٣)، ثم يربط بين الإسلام وبين بداية اليقظة العربية، بأن العرب ينفردون دون سائر الأمم بهذه الخاصية، وأن يقظتهم القومية إقترنت برسالة دينية، أو بالأحرى كانت هذه الرسالة مفصحة عن تلك اليقظة القومية(عفلق، ١٩٦٣: ٥٨)، وفي موضوع ثالث يرى أن قوة الإسلام التي كانت في الماضي معبرة عن قوة العرب قد بعثت وظهرت بمظهر جديد وهو القومية العربية، ولم يشر دستور حزب البعث إلى القومية، إذ إكتفى بالقول بأن القومية حقيقة حية خالدة، وبأن الشعور القومي شعور مقدس(عفلق، ١٩٦٣: ٦٤).

يرجع (عبد الناصر) نشأة القومية العربية إلى ما قبل القرون العاشرة والحادي عشر والثاني عشر الميلادية، إذ يقول:"هدف الاستعمار أن يقضي على القومية العربية، هدف قديم منذ القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر، ومنذ جاءت الحروب الصليبية تتنكر تحت اسم الدين، ولم يكن هدفها إلا القضاء على القومية العربية"، كما أشار إلى القومية العربية في نهاية القرن الثامن عشر، أيام حملة نابليون بونابرت على مصر"ولما جاء نابليون هنا أيضا ودخل مصر وهزم أمام عكا، كان أيضا يريد أن يقضي على القومية العربية ويخضعها" (عبد الناصر، ١٩٥٨: ٦٠_٦١)، وفي الميثاق الناصري يقول"إن القيادات الثورية في ذلك الوقت(يقصد ثورة١٩١٩) لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء، وعجزت عن تحديد الشخصية المصرية، ولم تستطع أن تستشف من خلال التاريخ أنه ليس هناك صدام على الإطلاق بين الوطنية المصرية وبين القومية العربية(عبد الناصر، ١٩٦٩: ٣٣)، وهكذا يتحدث عبد الناصر عن القومية العربية في حقبة الصليبيين، وأيام حملة نابليون على مصر، وثورة (١٩١٩)في مصر، وكذلك أيام وعد بلفور في عام(١٩١٧)الذي مهد السبيل لإنشاء دولة إسرائيل في فلسطين، ولكنه لا يتحدث عن القومية العربية أيام الأزمنة الأولى للإسلام، كما أنه لا يأتي بذكر القومية العربية أيام العثمانيين(نصر، ١٩٨٦: ٧_٢٥)وبالرغم من ذلك فإن عبد الناصر قد ذكر في قول آخر له"أن القومية العربية لم تكن ظاهرة ولم تكن موجودة سنة١٩٥٢"(عبد الناصر، ١٩٥٨:٤٤).

وبعد أن استعرضنا عدة أقوال وآراء حول نشأة القومية العربية إلا أننا نرى من سياق ذلك كله أن القومية نشأت قديما ولكنها تطورت مع العصور حتى وصلت إلينا بثوبها الحالي على أن لا يغيب عن البال أن التيارات الفكرية التي لعبت دورا بارزا في تنمية البذرة القومية العرقية، كانت حتى نهاية الحرب الكونية الأولى عبارة عن بعض الملامح المشتركة التي وردت في بعض الكتابات العربية مثل الحديث عن الأمة العربية، والإشارة بأمجادها وبدورها الحضاري، فكانت الآراء تحاول تعميق المفاهيم القائمة على التراث، مثل مفهوم الأمة الواحدة، واللغة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربية الواحدة والفضائل العربية الموروثة، لكن مفهوم الأمة لم يكن مترافقا مع التأكيد على الدولة الواحدة لتلك الأقطار العربية، ولم تكن الاتجاهات في داخل هذا التيار تجمع على مفاهيم واحدة في الإتجاه القومي، ولذا غابت النظرية العامة للقومية العربية، وبقي الأمر كذلك حتى نهاية الحرب الكونية الثانية وأصبحت المفاهيم مخالفة وتنادي بضرورة الوحدة الاقتصادية كمقدمة للوحدة السياسية العربية الشاملة.

المطلب الثاني:

الظاهرة القومية: العوامل والمضمون

يخطئ من يظن أن الظاهرة القومية العربية جاءت مع سقوط الخلافة العثمانية، صحيح أن الأتراك وفي عهد جمعية الاتحاد والترقي والتي ترأسها العثماني (مصطفى كمال أتاتورك) ارتكبوا أخطاء استراتيجية وتاريخية جعلت العرب يطالبون بالإستقلال التام عن الأتراك وبالتالي دخول القوى الاستعمارية على الخط، والتنسيق مع بعض القبائل العربية والنخب الثقافية والفكرية التي كانت ترى بضرورة دولة عربية كبرى خالصة على طريقة الخلافة الأموية والعباسية، لكنهم وللأسف الشديد لم يدركوا أن هناك أياد خفية لها مصلحة بفصل العرب عن الأتراك، وعن باقي الأقليات التي كانت تستظل تحت عباءة الإسلام بدولة الخلافة .

يدرك الكثير من العرب وخصوصا المتنورين منهم أن الترويج لفكرة القومية العربية على منهاج الغرب وبتوجه علماني محكوم عليه بالفشل والتبعية للخارج، لأن المنطقة العربية لها خصوصيتها من حيث الثقافة العربية الإسلامية والتراث وهي ترتكز أساسا حول ميراث ديني وحضاري ممتد في أعماق التاريخ، ابتدأت منذ بزوغ رسالة الإسلام وحتى لحظة المناداة بالقومية وما بعدها كذلك.

يختلف الكثيرون حول العوامل والمقومات التي تستند إليها ظاهرة القومية وكذلك في مضمونها التي تناولتها أقلام المهتمين والمنادين بها، وكذلك الذين قاوموا وكتبوا وفندوا أنها ظاهرة ليست في صالح العرب، وما هي إلا مخطط من بنات أفكار الذين لا يريدون صالح العرب على الإطلاق وتحقيقا لأهداف هذا المطلب فإننا سنتناوله في فقرتين رئيستين هما:

أولا: عوامل قيام الظاهرة القومية .

ثانيا: مضمون الظاهرة القومية.

أولا: عوامل قيام الظاهرة القومية:

يقصد بالعوامل المكونة لظاهرة القومية العربية بأنها تلك العوامل التي تجعل من العرب أمة واحدة ينبغي أن تكون لها دولتها القومية الموحدة، وتضم هذه المقومات، اللغة، والتاريخ، ووحدة الأصل، ووحدة الإرادة أو المشيئة أو التحديات المشتركة، ويذكر أن هذه المقومات هي محل إتفاق بين معظم دعاة القومية، في حين أسقط مقوم الدين من هذه المقومات أمثال: عمر الفاخوري ومحمد عزة دروزة وعبد العزيز الدوري وغيرهم(البياتي، ١٩٩٧: ٣-٤)، وهذه الطامة الكبرى على الدعوة القومية، لأنها نفرت منها الإثنيات المسلمة غير العربية داخل العالم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربي على إعتبار أن الدين هو جامع للعربي وغير العربي المسلم، ومالوا لاستثناء الدين وإعتبار الجنس مقوما من المقومات الأساسية، جعل المسلمين من غير العرب ينفرون من القومية، ويعملون على إحباط كل ما من شأنه علو منزلتها، وفي هذا التوجه سنتناول مقومات القومية التي هي محل إتفاق بين معظم الدعاة لها وعلى النحو التالي:

١. **وحدة اللغة**: احتلت اللغة العربية موقفا مميزا بين مقومات القومية العربية، ولم تحظ أي لغة قومية بتلك الأهمية التي حظيت بها، وقد دافع شيخ القوميين العرب(الحصري) دفاعا حارا عن أهمية اللغة، واعتبرها أحد عاملين أساسين في تكوين الأمة، ويؤكد على أن الأمم تتميز عن بعضها البعض بالدرجة الأولى بلغتها، وأن حياة الأمم تقوم قبل كل شيء على لغاتها، وإذا أضاعت أمة من الأمم لغتها، وصارت تتكلم بلغة أخرى تكون قد فقدت الحياة، واندمجت في الأمة التي اقتبست عنها لغتها الجديدة(الحصري، ١٩٦٤: ٤٢_٤٤)، ويبرز(عفلق) أهمية اللغة حيث يرى أن"القومية العربية عربية بمعنى أن فيها التطور الخاص بالأمة العربية عبر مختلف العناصر والحضارات والأزمنة، وأن الصفة العربية المشتركة التي وحدت مثل هذه العناصر جميعا هي التي استمرت دون انقطاع، وكانت اللغة العربية أبرز عنوان لهذا الإستمرار، بما تتضمنه اللغة عادة من وحدة في التفكير وفي المبادئ والمثل"(عفلق، ١٩٦٣: ١٠٣)، وقد ورد ذكر اللغة في الميثاق الناصري، حيث ورد فيه"يكفي أن الأمة العربية تمتلك وحدة اللغة التي تصنع وحدة الفكر والعقل"(عبدالناصر، ١٩٦٩: ١١٧).

إن ما نراه أن هناك إجماعا على أن اللغة العربية مقوم أساسي من مقومات عوامل القومية العربية عند الذين تناولوا القومية العربية وهذا يعني أن غير الناطقين بالعربية ليس لهم مجال في الإنضواء تحت راية القومية العربية .

٢. **وحدة التاريخ**: اعتبر (الحصري) أن وحدة التاريخ هي العامل الرئيس الآخر بجانب اللغة في تكوين القومية العربية"فالتاريخ بمثابة شعور الأمة وذاكرتها، فإن كل الأمم إنما تشعر بذاتها وتكون شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص"(الحصري، ١٩٦٤: ٤٤٠). ويرى(عفلق)أن التاريخ العربي بالدرجة الأولى، والتاريخ العام بالدرجة الثانية، ذو أهمية "فنحن لا ندخل التاريخ في قوميتنا ليكون صورة وقدوة، بل لأنه التربة الحية التي نما فيها وعينا وتصحح وتكامل، حتى بلغ هذه المرحلة الحاضرة" (عفلق، ١٩٦٣: ١٠٣)، ويتناول (عفلق) الفترات الرئيسة الممثلة لحياة الأمة العربية والمفصحة عنها، فتناول الجاهلية وصدر الإسلام، وعصور الضعف التي فقد فيها العرب تجانسهم القومي الذي تحقق في المرحلة القصيرة التي تلت ظهور الإسلام، أما المرحلة الراهنة فهي مرحلة البعث العربي(عفلق، ١٩٦٣: ١٤٢_١٤٣)، وذكر (عبد الناصر) في فلسفة الثورة: المراحل التاريخية التي مرت على مصر دون العرب، كالفرعونية واليونانية والرومانية والإسلامية والهجرة العربية والحروب الصليبية، وفترة حكم المماليك، والعثمانيين، والحملة الفرنسية، وفترة حكم أسرة محمد علي، ثم الاحتلال البريطاني(عبد الناصر، ١٩٥٨: ٤١_٤٥)، أما الميثاق الناصري فيشير إلى أن "تيارات التاريخ التي كانت تهب على المنطقة التي تعيش فيها الأمة العربية واحدة، كما كانت مساهمتها الإيجابية في التأثير على هذا التاريخ مشتركة، ومصر بالذات لم تعش في حياتها في عزلة عن المنطقة المحيطة بها(عبد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناصر، ١٩٦٩: ٢١_٢٦)، وعلى الرغم من الكثير الذين تحدثوا عن التاريخ كمقوم أساسي من عوامل الظاهرة القومية، إلا أن الحديث يطول حول هذا وقد ارتأينا أن نذكر منهم عفلق وعبدالناصر لأن عفلق تحدث في الكثير وأخذ عنه الكثير، وعبد الناصر كان له دور كبير على مسرح الأحداث التي شغلت العالم العربي منذ نجاح ثورته وتوليه زمام الأمور حتى موته، ولا يزال البعض حتى يومنا هذا يتذكر فكر عبد الناصر بالشأن القومي.

٣.**وحدة الأصل**: حرص المفكرون القوميون العرب على نفي السمة العرقية عن القومية العربية، ولذلك أخرج الكثيرون منهم وحدة الأصل من بين مقومات القومية العربي، وقد كان (الحصري) حريصا على نفي وحدة الأصل كمقوم من مقومات القومية العربية، وحرص آخرون ممن عددوا مناقب العرب وفضائلهم على نفي شبهة الاستعلاء أو التعصب ضد غير العرب، يقول (الحصري) "ونستطيع أن نقول بكل حزم وتأكيد: إن وحدة الأصل والدم في الأمم إنما هي من الأوهام التي استولت على العقول والأذهان من غير أن تستند على دليل أو برهان"(الحصري، ١٩٦٦: ٣٩).

مما تقدم نجد أن لدى(عفلق) ملامح على اضطلاع وحدة الأصل بدور في القومية العربية" لسنا ندعي أننا أفضل من غيرنا، لكننا نختلف عنهم، وهذا الاختلاف هو الذي يجعلنا عربا ويجعلهم غير عرب"(عفلق، ١٩٦٣: ٤٣)، ويقول في موضع آخر"إن الله قادر على أن يظهر الإسلام قبل ظهوره بعشرات القرون، وفي أية أمة من خلقه، ولكنه أظهره في وقت معين، وفي حينه واختار لذلك الأمة العربية وبطلها الرسول العربي"(عفلق، ١٩٦٣: ٥٤).

ولكنه يصر على القول بأن العرب اليوم لا يريدون أن تكون قوميتهم عنصرية، وإرادتهم هذه نابعة من تجربتهم، فقد جربوا ما معنى العنصرية، وجربوا ما معنى الظلم(عفلق، ١٩٦٣: ١٠٤).

وثمة من يرى أن معنى وحدة العرق أو العنصر أو الأصل معنى ملازم لفكرة "القومية" ولفكرة "الأمة" لأن وحدة العرق هي إحدى مقومات كل قومية في تاريخ الإنسانية، بل لعلها المقوم الأساسي في فكرة القومية، فالقول إذا: بأن القومية العربية أو أية قومية في التاريخ ليست مؤسسة على وحدة العرق، تخوف في غير موضعه، لأن ما تدينه الإنسانية والأديان ليس الإنتماء إلى جنس معين، ولكن نظرة الشعوب بأن هذا الجنس أرقى أو أشرف من غيره من الأجناس، أو أنه جنس الله المختار كما يقول اليهود عن أنفسهم، والخلو من الشعور بالأنتماء إلى أي جنس أو عنصر أو سلالة، أو أي جماعة بشرية مترابطة، فيه درجة من الضياع شبيهة بإحساس اللقطاء والأيتام، أومن لا أسرة لهم ولا أهل ولا أقرباء(عوض، ١٩٧٨: ١٦٤).

٤.**وحدة الإرادة**: أكد(الحصري)على نفي وحدة الإرادة كمقوم من مقومات القومية، ويرى أن "مشيئة الجماعة تعبير مجرد تماما من أمر غامض جدا، ذلك لأن هذه المشيئة لا تظهر إلا بالتصويت، ومن المعلوم أن التصويت يتأثر كثيرا بالاعتبارات والدعايات، وتتحول بذلك بسرعة، وذلك يخرج الأمة من عداد الجماعات الطبيعية، ويجعلها شبيهة بالأحزاب المصطنعة"(الحصري، ١٩٦٤: ٥٢)، ويعتبر(عفلق)أن البعثيين المؤمنين بالفكرة الانقلابية يمثلون إرادة الأمة كلها، إن تمثيل مصلحة الأمة وإرادتها إذن يعتمد على تأييدها، وهذا التأييد الذي هو في حالة الكمون سينقل إلى حالة الظهور والفعل(عفلق، ١٩٦٣: ١٧١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يختلف(عفلق)عن الحصري، حيث يرى أن الإرادة لا تظهر بالتصويت، بل إن إرادة الأمة متمثلة في القلة المؤمنة بالقومية العربية، والتي تسعى لتحقيق الدولة العربية الواحدة بالأسلوب الانقلابي؛ كي تحقق إرادة أغلبية الشعب العربي غير القادر على التعبير عن إرادتها.

بالرغم من أن (الميثاق الناصري) لم ينص صراحة على وحدة الإرادة كمقوم من مقومات القومية العربية، فإنه جعل تحقيق الوحدة العربية مقترنا بالإرادة. ينص الميثاق على أن"الوحدة لا يمكن ولا ينبغي أن تكون فرضا، فإن الأهداف العظيمة للأمم يجب أن تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها، ومن ثم فإن القسر بأية وسيلة من الوسائل مضاد للوحدة، كما إشترط أن تتم أي خطوة وحدوية على طريق الوحدة الشاملة وفقا لإرادة شعبين أو أكثر من شعوب الأمة العربية(عبد الناصر،١٩٦٩: ١١٠).

٥.**التحديات المشتركة**: لم يكن (الحصري) مؤيدا لوجهة النظر التي ترى أن العدو المشترك، أحد الأسباب الرئيسة التي تجمع العرب، مبررا ذلك بأن "العدو المشترك يمكن أن يتغير من عصر لآخر، ويمكن أن ينتهي ويسقط، وبالتالي لن يكون من المفيد أن نعلق أساس الدعوة القومية على عامل مؤقت(الحصري، ١٩٦٤: ١٣٢). وأشار(عفلق) مرارا إلى وحدة النضال ضد الاستعمار والصهيونية، وإلى ارتباط هذا بالقتال من أجل تحقيق الوحدة(عفلق، ١٩٦٣: ٢٤٢)، وأشار (الخطاب الناصري) أيضا إلى الاستعمار وإسرائيل والصهيونية وعملاء الاستعمار والرجعية باعتبارهم أعداء للعرب(عبد الناصر،١٩٦٩: ٢٣٧).

وحتى تستكمل أهمية هذه العوامل فإن ما ذهب إليه (الحصري) في أن اللغة والتاريخ المشترك هما العاملان الوحيدان للقومية العربية، بالرغم من أن اللغة هي التي تولد فينا الشعور القوي المشترك بالتعاطف والتساند بين أبناء الأمة العربية على اختلاف شعوبهم وأقطارهم، وأنها تولد فينا تلك الإرادة أو النزعة المشتركة لاعتبار الشعوب أمة عربية واحدة، واعتبار أقطارها وطنا مشتركا هو الوطن العربي الأكبر لتلك الأمة، وكذلك التاريخ الذي يعتبر عاملا أساسيا في تكوين النزعة القومية فينا، حيث إن ماضي أمتنا في الثقافة والمدنية، وبطولات رجالاتها، وما حفظته الأيام لنا من تراث علمي وأدبي عظيم، يعتبر عاملا مهما في توحيد أمتنا العربية، "إن عامل الدين هو عامل مهم جدا، وهو أهم صلة روحية بين أبناء البشر رغم تفوق رابطة القومية في أيامنا هذه على رابط الدين لدى كثير من الأقوام التي تدين بدين واحد، ولكن الدين الإسلامي كان له أثر عظيم في إنتشار أمتنا وفي نشر ثقافتنا العربية في الأقوام الإسلامية المختلفة، ولم يستفق العرب من سباتهم إلا بعد أن جمع الإسلام شملهم، ووحد كلمتهم، فساروا في فتوحات شملت بلادا مترامية الأطراف من حدود الصين وكشمير شرقا، إلى الأندلس غربا، ومن المحيط الهندي جنوبا حتى بحر خوارزم وجبال القفقاس شمالا. والذي أدهش العالم في هذه الفتوحات سرعتها الكبيرة في زمن لم يعرف الآلة البخارية، ولا القطار، ولا السيارة، ولا الطائرة، ولا مدفع، ولا لغم، ولا قنبلة"، إن ما ذهب إليه الحصري على أن"اللغة هي أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد البشري بغيره من الناس، لأنها واسطة تفاهم بين الناس، وآلة تفكير، تؤثر في عواطف الإنسان تأثيرا عميقا، وأن التاريخ هو بمثابة شعور الأمة وذاكرتها، فإن كل أمة من الأمم إنما تشعر بذاتها وتكون شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص، حيث إن الذكريات التاريخية تقرب النفوس، وتكون بينها نوعا من القرابة المعنوية، وهي أشد تأثيرا من القرابة المادية، والأمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحكومة التي تنسى تاريخها، تكون قد فقدت شعورها ووعيها، وإذا فقدت لغتها تكون عندئذ قد فقدت الحياة ودخلت في عداد الأموات(الحصري، ١٩٨٥: ٣٧).

ويعتبر كثير من الباحثين أن عامل الدين يولد نوعا من الوحدة في شعور الأفراد الذين ينتمون إليه، حيث أن الدين يعتبر من أهم الروابط والنزعات الخاصة التي تؤثر في أعمالهم تأثيرا شديدا، ويؤثر في سير السياسة والتاريخ، وما حدث بخصوص المبادئ التي جاء بها الإسلام، فهي من أعظم المبادئ في التاريخ، وتستمد التعاليم الدينية قوتها من كتاب خاص وهذا يكون بلغة من اللغات، وتفرض بعض الطقوس والصلوات، وتتطلب الأديان تشييد بعض المعابد والمباني لإقامة شعائر الدين، ويتولى هذه المعابد رجال يتكلمون بلغة من اللغات أو ينتسبون إلى أمة من الأمم، ويظهر من ذلك أن للدين علاقة قوية باللغة ويعمل على نشرها(الحصري، ١٩٨٥: ٣٩).

ويمكن أن نضيف إلى تلك العوامل الأساسية أعلاه، عامل الاتصال الجغرافي، لأن فقدان الاتصال الجغرافي قد يؤدي إلى بقاء أجزاء الأمة الواحدة منفصلا بعضها عن بعض، رغم اتحادها في اللغة والتاريخ، وقد يؤدي إلى تباعد وتباين في اللغة والتاريخ بمرور الزمن، كما أن الإرادة والمشيئة هي الأهم في شخصية الجماعات، إرادة القوم في الحياة، رغبتهم في الاتحاد، مشيئتهم في تكوين أمة واحدة ودولة واحدة، هي التي تكون روح القومية ومحورها الأساسي، ولكن هذه المشيئة إذا لم تظهر بصورة فعلية تبقى ناقصة، وكمثال على ذلك مشيئة الولايات الجنوبية الثلاثة عشر في الانفصال عن ولايات الشمال لم تتحقق لهم هذه الإرادة أو المشيئة، وبقيت الولايات المتحدة متحدة، بعكس بعض الأمم الأخرى، حيث أخذت السلطنة العثمانية تتحلل وتتفكك شيئا فشيئا، إلى أن انقرضت تماما، لأنها كانت تتألف من أمم عديدة، لكل واحدة منها لغتها الخاصة بها وتاريخها الخاص (عبدالدايم، ١٩٨٦: ٢٨-٢٩).

وعندما بدأت هذه الأمم تشعر بقوميتها صارت تنزع إلى الإستقلال، وتكافح وتجاهد في سبيله، إلى أن استطاعت أن تكون دولة واحدة لأمة واحدة، وانقرضت الإمبراطورية النمساوية لأسباب تشبه انقراض الدولة العثمانية، واتحدت إيطاليا تحت عوامل شبيهة بالعوامل التي أدت إلى اتحاد ألمانيا، وتكونت جميع الدول التي ذكرناها تحت تأثير القومية ومبدأ القوميات، واستقلت الكثير من الأمم الأوروبية، مثل اليونان والبلغار واليوغسلاف والهنغار ولكن الأمر لم يكن كذلك في البلاد الشرقية بوجه عام وفي البلاد العربية بشكل خاص، لأن نشأة الفكرة القومية في هذه البلاد تأخر كثيرا عن نشأتها في البلاد الأوروبية، وهي حديثة العهد في هذه البلاد(الحصري، ١٩٨٥: ٤٢)، إن العوامل الواقعية التي تقوم عليها القومية العربية هي: الاشتراك في اللغة العربية الفصحى والاشتراك في التاريخ، والاشتراك في المصالح السياسية والإقتصادية في الحاضر والمستقبل، ولا ترتكز القومية العربية على عامل العنصرية، وأن يكن معظم سكان البلاد العربية ينتمون إلى سلالة بشرية واحدة هي السلالة العربية القديمة المسماة بالسلالة السامية، ولا ترتكز على الدين، وأن يكن معظم السكان مسلمين، ففي القومية العربية: العربي من تكلم العربية وأراد أن يكون عربيا، مهما يكن دينه، ومهما تكن السلالة البشرية التي ينتمي إليها، وفي القومية العربية المسلمون والمسيحيون سواسية، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم(عبدالدايم، ١٩٨٦: ١٧) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: مضمون الظاهرة القومية:

إن كل الشعوب التي تتكلم العربية هي عربية، وكل فرد ينتسب إلى أحد هذه الشعوب هو عربي، والأمة ليست مجموع الأفراد الذين يتكلمون لغة واحدة، بل هي مجموع الأفراد الذين يحملون "معيشة العيش المشتركة" حيث إن المصريين، والسوريين، والأردنيين، واللبنانيين، والفلسطينيين، والعراقيين، والنجديين، والحجازيين، واليمانيين، والليبيين، والتونسيين، والمغاربة، كلهم ينتسبون إلى أمة واحدة، هي الأمة العربية، وإن هناك شعوبا عربية عديدة، ولكن هذه الشعوب كلها تنتسب إلى أمة واحدة هي الأمة العربية، وهناك دول عربية عديدة، ولكن هذه الدول كلها تسوس فروع أمة واحدة هي الأمة العربية(الحصري، ١٩٨٥: ٨٣).

ولما كانت الأمة العربية قد وصلت فيما مضى إلى أرقى درجات الحضارة، وكانت أقوى منار للعلم في العالم خلال عهد طويل، كما لعبت دورا هاما في تاريخ تقدم البشر، لا يعقل أن تصبح غير قادرة على النهوض، ولا يجوز لنا أن نرتاع من كثرة المشاكل، بل علينا أن نؤمن إيمانا راسخا بأن تلك المشاكل والعقبات ستتلاشى أمام نهضة العرب القومية، ولا بد للأمة أن تقوم من كبوتها الحالية وخاصة ما يحصل هذه الأيام من تدمير ممنهج لسوريا، والعراق، وليبيا، واليمن، ومصر، حيث تكالبت قوى البشر من كافة أرجاء المعمورة لتخريب البلدان العربية وتجزئتها وتمزيقها وتقسيم المقسم أصلا، وكل ذلك لخدمة أهداف الصهيونية والاستعمار(الإمبريالية الغربية). إن أهم مظاهر مضمون القومية العربية يتجلى في الأمور التالية: (الهزايمة، ٢٠٠٤: ١٥)

١_ الشعور والإيمان بأن الشعوب العربية في جميع أقطارها أمة عربية واحدة، وبأن أوطان تلك الشعوب أجزاء من وطن كبير واحد هو وطن الأمة العربي.

٢_ إرادة السعي لتحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية لهذه الأمة.

٣-السعي لتحقيق الوحدة العربية لتجمع جميع الأقطار العربية في بوتقة واحدة، وذلك تمهيدا لجمع الدول الإسلامية في بوتقة أكبر تضم جميع الدول التي تدين بالإسلام، إذا فهي خطوة على طريق الوحدة الأكبر.

٤-إن مضمون الظاهرة القومية تستجمع في داخلها أسلوبا خاصا لتحقيق أهداف الأمة العربية، وهذا الأسلوب ممنهج ويتم بداية بالقبول بتعاون عربي عربي يبدأ من القواسم المشتركة بين الدول العربية في توجهات نظمها السياسية الفكرية، ومن ثم تنتقل إلى معالجة تلك العوامل التي عليها الإختلاف وصولا إلى قواسم مشتركة لتلك العوامل الخلافية، وهكذا خطوة خطوة حتى بلوغ الغاية القصوى للقومية العربية، ومن ثم تطبيق نفس المنهج على الدائرة الأوسع وهي دائرة إسلامية وصولا إلى تحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى.

٥-تحرير الأرض العربية هدف سام للقومية العربية، وهو عبارة عن أمر محوري يدور هذا الأمر في عقلية كل عربي من المحيط إلى الخليج، فالظاهرة القومية لا شك أنها إضطلعت إلى هذا المبدأ واعتبار تحقيقه خطوة على الطريق بل خطوة رئيسة وهامة ستجعل من أبناء الأمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربية إذا ما تحقق ذلك يرفعون راية القومية العربية عالية وينافحون من أجل رفع لوائها والذود عنها.

إن هذه المضامين لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقوم بها الأجيال الحالية، لأن عينيها رأت النور، والقطرية موجودة بين أجزاء الوطن العربي وقد تأصلت في كل أوصال الأمة، وبالتالي تحتاج إلى معجزة لتتحقق للأمة قيام الوحدة العربية التي تستجمع في ثناياها هذه المضامين، وبالتالي لا بد من البدء مع النشئ الجديد في البيت والمدرسة والجامعة، وفق أسس تربوية حديثة، وأسس تربوية قائمة على تغذية روح الوحدة منذ بواكير الجيل، حتى إذا أصبح جيلا يافعا قام بتطبيق ما قد ترى عليه أرض الواقع. وما يساعد ذلك بأن جميع البلاد العربية هي التي يتكلم أهلها باللغة العربية، وأن العرب هم كل من ينتسب إلى البلاد العربية، ويتكلم العربية هو عربي مهما كان اسم الدولة التي يحمل جنسيتها وتابعيتها بصورة رسمية، ومهما كانت الديانة التي يدين بها أو المذهب الذي ينتمي إليه، ومهما كان أصله ونسبه وتاريخ حياة أسرته فهو عربي، ولما كانت اللغة بمنزلة القلب والروح من الأمة، فإن الشعوب التي تتكلم لغة واحدة تكون ذات قلب واحد، وروح مشتركة، ولذلك تكون أمة واحدة فيجب أن تكون دولة واحدة"، "أن تحقيق الوحدة العربية أسهل بكثير من تحقيق الوحدة الإسلامية، فلماذا لا تتوحد الدول العربية ولها ما لها من عوامل الوحدة السابقة الذكر رغم أن مفهوم الوحدة الإسلامية أوسع من مفهوم الوحدة العربية، ولكن الاتحاد شيء والتعاطف شيء آخر، والاتحاد السياسي شيء والاتفاق على مبدأ من المبادئ شيء آخر، فالدعوة إلى الوحدة الإسلامية تختلف عن الدعوة إلى إصلاح أحوال المسلمين، فالأخوة الإسلامية شيء ومسألة الوحدة الإسلامية شيء آخر، وأن من يعارض الوحدة العربية بحجة الوحدة الإسلامية يكون قد خالف أبسط مقتضيات العقل والمنطق مخالفة صريحة، وأن فكرة الوحدة العربية فكرة طبيعية لم يوجدها موجد، بل هي نتيجة طبيعية لوجود الأمة العربية" (الحصري، ١٩٨٥: ١٥٧)، إن الناظر في مضمون الظاهرة القومية العربية يجد أن هذه الظاهرة براقة في ظاهرها، ستجلب عقول الناس، ولكن الذي يرى المضمون يجد أن فيها الخير الكثير ولكن هذا المضمون بلا شك ما هو إلا كلام قد يغدو منه نظريا بعيدا عن التطبيق، وهذا ما يدلل عليه الأيام الحاضرة ، إن العراق حشدت على حدوده دول عربية وقامت بالهجوم عليه مع دول أخرى دولية تقودها الولايات المتحدة عام (١٩٩١)، وتركته فريسة لهذه الدولة عام (٢٠٠٣)، فأين القومية العربية والقوميون العرب؟ إن القومية العربية والحالة هذه تعتبر ضربة من الأفكار الفارغة، ربما يرى البعض غير ذلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني:

الدولة القطرية العربية

إن المنطقة العربية منذ فجر الإسلام ومنذ دخولها تحت عباءته لم تعرف أي تجزئة كما هي عليه اليوم، فقد كانت منطقة شاسعة دخلت تحت خلافة الراشدين ومن ثم الأمويين ومن ثم العباسيين والإمبراطورية العثمانية، ولم يكن مصطلح الدولة القطرية قد أخذ مكانه على الساحة السياسية وخاصة في المنطقة العربية، وبقي الأمر كذلك حتى أخذت الإمبراطورية العثمانية تدخل في عصر الشيخوخة، عندها بدأت الأقطار الغربية وخاصة فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا وغيرها من الدول في قوة تصاعدية، وكلما بدأت مظاهر الشيخوخة تتأصل في الإمبراطورية العثمانية تأخذ هذه القوى الغربية في الطمع في ولايات هذه الإمبراطورية أكثر، عندها أخذ أهل الفكر العربي وبدعم من وعود غربية للقيام بحركات تهدف إلى النيل من الإمبراطورية التي حمت الوطن العربي أكثر من أربعة قرون ونصف، وقد ساعد ذلك وصول جماعة الاتحاد والترقي في أواخر الإمبراطورية إلى سدة الحكم والتحكم بمقود قيادة الدولة، فأكثروا من أعمالهم التي تسهم بطريقة أو بأخرى إلى دفع العرب للخلاص من حكم جماعة الاتحاد والترقي، ويوما بعد يوم وقد اشتدت الإمبراطورية ضعفا واشتد ضغط الغرب الطامع، وإعطاء العرب الوعود الزائفة الأمر الذي وصل بالإمبراطورية إلى تفكيك ولاياتها عام(١٩٢١)، الأمر الذي جعل الطريق سالكة للغرب الطامع للتقدم من المنطقة والإطباق عليها احتلالا وإغتصابا وإلحاق أجزاء كثيرة منها إلى دولهم، واعتبارهم جزءا من أراضيها، مما أدى هذا الإحتلال البغيض إلى إذكاء الروح التحريرية لدى الشعوب العربية نتيجة الظلم والقهر التي ألحقت بالشعوب، واستنزاف خيرات البلاد العربية من ناحية الموارد.

وفي هذا المبحث فإننا سنتناوله من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الدولة القطرية: المفهوم والنشأة.

المطلب الثاني: الدولة القطرية: السمات والهوية.

المطلب الأول:

الدولة القطرية: المفهوم والنشأة:

تآكلت الدولة القطرية في أجزاء متعددة من الوطن العربي لعدة أسباب، وكيف لنا أن نتحدث عن استمرار الدولة القطرية في سوريا وليبيا واليمن والعراق، وهي تواجه أزمات حكم باتت فيها غير قادرة على السيطرة على كامل أراضيها، في الوقت الذي كانت تتوق الدولة القطرية لتحقيق حلم الوحدة العربية بوطن عربي موحد، فقد برز اليوم لاعبون فاعلون ما دون الدولة، مثل تنظيم داعش والمليشيات الشيعية في العراق وحزب الله في لبنان حيث بات هؤلاء الفاعلون يهددون ليس مفهوم الدولة القطرية وحده، ولكن مفهوم الهوية الوطنية ومفهوم المواطنة.

لقد بتنا نرى أن العديد من الدول القطرية العربية كانت أوعية شبه فارغة لأنها بنيت على أسس ضعيفة، فبدلا من بناء المؤسسات الديمقراطية ومفاهيم حديثة للهويات الوطنية والمواطنة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استعيض عن ذلك بأنظمة فرضت الاستقرار الأمني بالقوة وبشكل مصطنع، أو اعتمدت المحاصصة الطائفية التي لا تنمي شعورا حقيقيا بالمواطنة، ويقول (مروان المعشر) في مقالة في جريدة الغد الأردنية يوم١٢ آب ٢٠١٥ "إنه عندما وقعت الواقعة لم تجد هذه الدول مؤسسات تحميها ولا مواطنين يدينون لها بالولاء، فشهدت انهيارا سريعا لأبنية هشة لم تحتمل الهزات التي اعترت البلاد" وسوف نبحث هذا المطلب بالفقرتين التاليتين:

أولا: نشأة الدولة القطرية العربية.

ثانيا: تكريس ظاهرة الدولة القطرية.

أولا: نشأة الدولة القطرية العربية:

قبل الحديث عن هذه النشأة لا بد لنا من قراءة التاريخ، لنعرف كيف نشأت هذه الدول، وكيف أصبحت أقطارا متنافسة بالرغم مما يجمعها من وحدة اللغة والتاريخ والثقافة وكافة عوامل الوحدة، لقد سعى الاستعمار إلى عدة أساليب لقيام الدولة القطرية، وتمثل سعي الإستعمار بالآتي:

أولا: المؤتمرات: وأبرزها على الإطلاق مؤتمر "كامبل بنرمان" الذي وضع حجر الأساس لتجزئة الوطن العربي والذي مهد لقيام الدولة القطرية لاحقا.

انعقد هذا المؤتمر في لندن عام(١٩٠٥)م وإستمرت جلساته حتى (١٩٠٧م)، بدعوة سرية من حزب المحافظين البريطانيين بهدف إيجاد آلية تحافظ على تفوق الدول الإستعمارية وتفوقها إلى أطول حد ممكن، وضم الدول الاستعمارية: (بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، إسبانيا، إيطاليا)، وخرجوا بنهاية المؤتمر بوثيقة سرية سموها "وثيقة كامبل" نسبة إلى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك "هنري كامبل بانرمان"، (الهزايمة، ١٩٩٤: ٣٥) وقد ضم الاجتماع إلى جانب الدول الإستعمارية كبار علماء التاريخ والاجتماع، والاقتصاد، والزراعة، والجغرافيا، والبترول، واستعرض المؤتمر الأخطار التي يمكن أن تنطلق من تلك المستعمرات، فاستبعد قيام مثل تلك الأخطار من كل من الهند، والشرق الأقصى، وإفريقيا، والمحيط الأطلسي، والمحيط الهادي، نظرا لانشغالها بالمشاكل الدينية، والعنصرية، والطائفية، وأن مصدر الخطر الحقيقي على الدول الاستعمارية، إنما يكمن في المناطق العربية من الدول العثمانية، لا سيما بعد أن أظهرت شعوبها يقظة سياسية ووعيا قوميا ضد التدخل الأجنبي والهجرة اليهودية والحكم التركي أيضا.

ورأى المؤتمر ضرورة العمل على استمرار وضع المنطقة العربية متأخرا، وعلى إيجاد التفكك والتجزئة والانقسام، وإنشاء دويلات مصطنعة تابعة للدول الأوروبية وخاضعة لسيطرتها، لذا أكدوا على فصل الجزء الإفريقي من المنطقة العربية عن جزئها الآسيوي، وضرورة إقامة الدول العازلة Buffer State، عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدول الأوروبية، وهكذا قامت إسرائيل بالعمل على إبقاء الشعوب العربية على قدر كبير من الجهل أو التخلف لينطلي عليهم كل ما يفعله المستعمر ظنا منهم أنه لصالحهم(الهزايمة، ١٩٩٤: ٣٦)،

رسم المؤتمر استراتيجية الاستعمار وسياساتها المستقبلية في المنطقة العربية، وبالتالي لا بد من أن يأتي الفعل الاستعماري يتماشى وروح هذا المؤتمر وخصوصا أن قراراته جاءت من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلال عدة دول استعمارية ذات مصالح في منطقتنا العربية، كما أن الدول الاستعمارية رسمت خططها بحيث لا يمكن أن تتعارض في اقتسام المصالح تلك، وهي بذلك عونا بعضها لبعض في تحقيق ما تم الاتفاق عليه.

ثانيا: الاتفاقيات:وتبرز اتفاقية "سايكس بيكو" في مقدمة هذه الاتفاقيات والتي جاءت مؤكدة لقرارات مؤتمر "بنرمان" السابق ساهم في عقد هذه الاتفاقية دخول الدولة العثمانية الحرب بجانب ألمانيا والنمسا، ضد روسيا وإنجلترا وفرنسا، فتهيأت الفرصة لهذه الدول لتحقيق أطماعها في البلاد العثمانية بوجه عام والبلاد العربية بوجه خاص، وبدأت مفاوضات سياسية بين الدول المؤتلفة الثلاث على كيفية إقتسام ميراث الدولة العثمانية بعد انتهاء الحرب منذ أواسط(١٩١٥) وانتهت باتفاقيتين سريتين، الأولى بين الدول الثلاث في شهر آذار (١٩١٦)والثانية بين فرنسا وإنجلترا في شهر أيار(١٩١٦) حددت حصة روسيا بالمضائق، والقسطنطينية، وبالولايات الشرقية، وتركت أمر التصرف بشؤون الولايات العربية إلى فرنسا وإنجلترا، على أن تؤسس حكومة إسلامية مستقلة في الجزيرة العربية، وأن توضع القدس والأماكن المقدسة المجاورة لها تحت إدارة دولية.

أما فرنسا وإنجلترا فقد حددت حصتها في الاتفاقية"سايكس بيكو" وشملت أحكام هذه الاتفاقية كليكيا وسوريا وفلسطين والعراق، وقسمت البلاد إلى خمس مناطق، ثلاث منها ساحلية، واثنتان داخليتان، وقد لونت المناطق الساحلية في الخارطة الملحقة بالإتفاقية باللون الأحمر والأزرق والأسمر، لذلك عرفت بالمناطق الحمراء والزرقاء والسمراء، وأما المنطقتان الداخليتان فقد تركتا بلا لون، وعرفتا باسم "منطقة أ" و "منطقة ب"، وقد شملت المنطقة الزرقاء البلاد الساحلية من بر الشام، من الناقورة إلى الإسكندرونه وتركت لفرنسا، أما المنطقة السمراء فقد انحصرت في فلسطين وجعلت منطقة دولية محايدة.أما منطقتا "أ" و"ب" فقد نصت الاتفاقية على أن تؤلف فيهما دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية برئاسة رئيس عربي، على أن يكون مقام ممتاز لفرنسا في المنطقة "أ" ولإنجلترا في المنطقة "ب"، فيكون لكل واحدة من هاتين الدولتين حق الأولوية في المشروعات الإقتصادية والقروض المحلية، وحق الانفراد بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب، وتتيح الإتفاقية لفرنسا في المنطقة الزرقاء أن تقيم نظام الحكم الذي ترتإيه، وكذلك لإنجلترا في المنطقة الحمراء ما تريده من نظام حكم، بقيت اتفاقية "سايكس بيكو" سرية حتى نهاية عام ١٩١٧ حيث أشاع خبرها الروس بعد انهيار القيصرية وقيام البلشفية، تم عقد هذه الاتفاقية بالوقت الذي كانت تجري فيه مراسلات الحسين _ ماكماهون_ للعمل على ضمان استقلال الدول العربية(مؤسسة الدراسات، ٢٠٠٣: ١٧-٢٥).

يتبين لنا مما سبق" أن مصلحة الدول الاستعمارية لم تكن بتحرير الشعوب المغلوب على أمرها من الدولة العثمانية بل باقتسام هذا الميراث وتمزيقه إلى دول قطرية ودويلات ومشيخات للحفاظ على مصالحهم الاستعمارية في المنطقة، ومنع قيام أي دولة عربية مستقلة تهدد مصالحهم" (بار، ١٩١٤-١٩١٨: ٣٠).

إن اتفاقية "سايكس بيكو" آنفة الذكر، ما هي إلا حلقة من حلقات الفعل الاستعماري المنبثق من مؤتمر "بنرمان" أو مؤتمر"لندن" كما عرف في الأدبيات السياسية، وأن هذه الاتفاقية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعد أبشع اتفاقية عرفها التاريخ لأنها جزأت الواحد إلى عدة أجزاء رغم الإنسجام بين كل الجزء الواحد.

ثالثا: المعاهدات: ويبرز في هذا المجال"معاهدة فرساي" حيث كانت في باريس وأخذ على عاتقه تقرير مصير البلاد التي كانت تابعة للسلطة العثمانية، ومن جملتها البلاد العربية، وكان من أهم نتائج هذا المؤتمر وضع العراق وفلسطين تحت انتداب بريطانيا العظمى، وسوريا ولبنان تحت انتداب فرنسا.وتحركت الجيوش الفرنسية لاحتلال سوريا وتم لهم ذلك بعد معركة "ميسلون"، وكانت بريطانيا العظمى قد فرضت حمايتها على الإمارات والمشيخات في جنوب الجزيرة العربية، وفي سواحل الخليج العربي، كما أعلنت الحماية على " مصر" ودخلت سائر أقسام أفريقيا العربية تحت سيطرة إيطاليا وفرنسا وإسبانيا، وأصبح الاستعمار الأوروبي مسيطرا على جميع البلاد العربية تحت اسم الإلحاق أو الحماية أو الانتداب من المحيط إلى الخليج، بإستثناء الحجاز ونجد واليمن، وذلك سنة(١٩١٩) (طاهر: ٢٠١٥: ١-٢)، إن هذه المعاهدة وكأنها خرجت من توصيات مؤتمر "بنرمان" مؤتمر(لندن)، والملاحظ أنها تتوافق مع مقتضيات توصيات المؤتمر والتي في حقيقتها ما هي إلا خطوة أخرى باتجاه وضع التوصيات موضع التنفيذ على أرض الواقع.

رابعا: مؤتمر سان ريمو:في عام(١٩٢٠) تم توقيع مؤتمر "سان ريمو" التي حددت مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية في المشرق العربي، نتيجة لموقف إنجلترا وفرنسا من مقررات المؤتمر السوري العام المنعقد عام (١٩٢٠)، فقد إنعقد المجلس الأعلى للحلفاء، الذي يعتبر إمتدادا لمؤتمر لندن المنعقد في فبراير(١٩٢٠) في مدينة سان ريمو الإيطالية، للبحث في شروط الحلفاء للصلح مع تركيا طبقا لمعاهدة "سيفر"، والمصادقة عليها بعد إعلان سوريا استقلالها ومناداتها بالأمير فيصل ملكا عليها في الثامن من آذار (١٩٢٠) لقد جاءت قرارات "سان ريمو" مخيبة لآمال العرب، إذ قرر الحلفاء وضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي، ووضع العراق تحت الإنتداب البريطاني، ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وكان ذلك سعيا لتحقيق وعد بلفور لليهود، ولم يكن قرار الانتداب في "سان ريمو" تطبيقا لاتفاقية "سايكس بيكو" المشهورة، وإصرارا قويا من فرنسا على إحتلال سوريا(الزرو، ٢٠١١: 6/١).

إجتمع المؤتمر السوري في (٨آذار ١٩٢٠م) واتخذ عدة قرارات تنص على إعلان استقلال سوريا، بحدودها الطبيعية استقلالا تاما بما فيها فلسطين، ورفض ادعاء الصهيونية في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وإنشاء حكومة مسؤولة أمام المؤتمر الذي هو مجلس نيابي، وتشكلت الحكومة برئاسة (علي رضا الركابي)، وتنصيب الأمير فيصل ملكا على البلاد، إلا أن بريطانيا وفرنسا رفضتا نتائج المؤتمر السوري، وجاءت قرارات مؤتمر السلم في "سان ريمو" مخيبة لآمال العرب، إذ إعتبر الحلفاء أن الأمير فيصل هو قائد عسكري في سوريا وليس ملكا، ودعوه ليذهب إلى مؤتمر الصلح ليدافع عن القضية العربية ولكنهم لم يغيروا من قرارات مؤتمراتهم شيء، وكان وضع فلسطين تحت الإنتداب الفلسطيني سعيا لتحقيق "وعد بلفور" لليهود فيها، ولم يكن قرار الإنتداب في "سان ريمو" إلا تطبيقا لإتفاقية "سايكس بيكو" المشهورة، واصرارا قويا من فرنسا لاحتلال سوريا(جرار، ٢٠١٤: 9/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسا: وعد بلفور: أعطت الحكومة البريطانية في الثاني من تشرين الثاني من عام(١٩١٧) وعدا من وزير خارجية بريطانيا "آنذاك بلفور" إلى" اللورد روتشيلد" الصهيوني، جاء فيه "أن حكومة جلالة الملكة تنظر بعين الرضا والعطف لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، على أن لا يضر ذلك بالأقليات السكانية الموجودة في فلسطين، وأن حكومة جلالتها ستتخذ جميع الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا الوعد" (السماك، ٢٠١٢: ١) .

وهكذا أعطت بريطانيا فلسطين هدية لليهود وذلك لزرع جسم غريب في آسيا العربية، يفصلها عن أفريقيا العربية، ولتكون قاعدة للاستعمار الغربي مستقبلا، وكذلك لتعويض اليهود عن العذابات التي مروا بها في أوروبا على حساب عرب فلسطين، وهي بذلك أوهبت شيئا لا تملكه، واعتبرت السكان الأصليين الذين كانوا يشكلون (٩٥%) من السكان أقليات(عبدالله، ٢٠٠٢: ٢٤-٢٥).

وبالفعل فقد قامت حكومة الانتداب في فلسطين بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، وتسهيل بيع الأراضي لهم، وبالتالي تسليح العصابات الصهيونية التي تشكلت لمحاربة العرب والتنكيل بهم، وعند إنسحابها في (١٥ أيار ١٩٤٨)أعطت كل المعدات والمعسكرات والذخائر لليهود، الأمر الذي مكنهم من احتلال القسم الأكبر من فلسطين، وإعلان قيام دولة إسرائيل، إننا نؤثر بالإتفاقيات والمؤتمرات والوعود في مقدمتها "وعد بلفور" ما هي إلا إرهاصات لتشكيل أجسام سياسية جديدة في المنطقة العربية، الأجسام عبر عنها فيما بعد باسم الدولة القطرية العربية، ومجموع الدول القطرية هي ما يعبر عنها بدول الوطن العربي.

ثانيا: تكريس ظاهرة الدولة القطرية:

لقد تأسست الدولة القطرية العربية في ضوء التوازنات الاستراتيجية العالمية الناجمة عن حربين كونيتين كبيرتين هما الحرب الكونية الأولى والثانية، حيث كان أبرز نتائج الحرب الأولى القضاء على الإمبراطورية العثمانية التي كانت المنطقة العربية تشكل إحدى ولاياتها، وأما الحرب الكونية الثانية فقد نشأ عنها عهد المستعمرات، والتي بان في نهايتها رحيل الاستعمار القديم بقيادة بريطانيا وفرنسا، وحلول مستعمر جديد تمثل بالولايات المتحدة الأمريكية. وأبرز معالم الحرب الأولى أن العرب راهنوا على الغرب ليعمل على إقامة الدولة العربية الكبرى مكافأة لهم على ثورتهم ضد الأتراك يوم أن تزعم الدولة يوم ذاك جماعة الإتحاد والترقي بقيادة (مصطفى كمال أتاتورك)، إلا أن الغرب لم يذهب بهذا الإتجاه بل عمل على تجزئتهم إلى كنتونات ضعيفة ومحميات لا تقوى على شيء أبدا، وزيادة على ذلك كله جمع اليهود من مختلف أقطار الدنيا وزرعهم في فلسطين لتفصل آسيا العربية عن أفريقيا العربية وفقا لقرارات مؤتمر "بنرمان" السابق.

لقد سعى العرب كل السعي لتهيئة الظروف الداخلية والخارجية لتكريس ظاهرة الدولة القطرية، وليس من المعقول أن يقوم الغرب بإزالة وهدم دولة الإمبراطورية العثمانية الحاضنة الأساس للمنطقة العربية، وإقامة بدلا منها دولة عربية كبرى هذه الدولة إذا ما أحسنت استغلال موارد المنطقة لكانت دولة قوية تهدد الغرب وتقلق مضاجعه، أضف إلى أن دولة الوحدة تتنافى مع الأهداف الغربية، لكون الدولة القطرية يعتبرها الغرب الضمانة الأولى لاستمرار سيطرته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السياسية والاقتصادية والعسكرية، والاستحواذ على موارد المنطقة التي تعتبر أغنى بقاع العالم. إن الغرب والحالة هذه رأى في تكريس القطرية في المنطقة العربية من أهم أولوياته لأنه بذلك كله يضمن التفوق وفي كل المجالات مع إبقاء المنطقة العربية منطقة مصالح له (زاهر، ٢٠٠٤: ١٧).

إن الدور الغربي واضح في تكريس ظاهرة الدولة القطرية وتجلى دوره فيما يلي: (ماضي، ١٩٨٦: ٤٤-٤٩)

١. رسم الحدود بين المناطق العربية وفقا لمقتضيات مؤتمر (لندن) عام(١٩٠٥) ونصوص اتفاقية "سايكس بيكو" عام(١٩١٦) و"وعد بلفور" عام(١٩١٧) "وصك الانتداب" عام(١٩١٩).
٢. وضع أسلاك شائكة وفق النقاط الحدودية التي تم التصادق عليها بين الدول ذات الشوكة وخصوصا دول الإنتداب.
٣. وضع محاكم تسمى المحاكم الحدودية توقع العقوبة بالذين يتجاوزون الحدود، ولا يتم ذلك إلا وفق موافقة مسبقة من الحكومات وهي ما تسمى بالتأشيرة.

إن تكريس القطرية لم يكن الغرب سببه الأول فهذا سبب خارجي، إن المناداة بالقطرية أو بالتجزئة كان سبب داخليا أيضا وبالدرجة الأولى، فالفئة الحاكمة العربية أو الحالمة بالقيادة والمتطلعة لتبوئ مركز القيادة أصبحت ضد مشروع الوحدة العربية؛ وذلك لأسباب ذاتية تتعلق بمراكزها ومصالحها في الحكم وما يدره الحكم من امتيازات التي تتأتى من ورائه، لقد سعى هؤلاء إلى قيام الجامعة العربية عام (١٩٤٦)، وهي من بنات أفكار (ايدن) وزير خارجية بريطانيا، هذه الجامعة التي قبل بها العرب جاءت لتؤكد وتكرس القطرية العربية والاستغناء عن الوحدة العربية فقد نص ميثاقها في مادته الثانية على ما يلي: (العمل على صون إستقلال الدول العربية وسيادتها)(أبوهيف، د.ت: ٩٧٥-٩٨٣)، ماذا يعني هذا؟ إنه يعني تكريس القطرية، بالإضافة إلى منح الدولة القطرية العربية حق أن تطلق على نفسها(أمة) وقد تجسد هذا الأمر في تسمية بعض الدول القطرية العربية على برلماناتها باسم(مجالس الأمة)، وأصبح لكل قطر عربي إقتصاده الخاص به، وسياسته الخاصة وتداخلت مفاهيم الدولة والأمة والوطن، وصار الانتماء القطري بديلا عن الانتماء القومي، وظهرت مجموعات تنظر للقطرية وكل ذلك على حساب الوحدة العربية، والأمة العربية، وأخذت النعرات هنا وهناك تأخذ مكانها، وأصبحت أجندة متفرقة تظهر على السطح لا تعبر عن وطن عربي واحد، ولا تعكس الروح المشتركة للأمة، بل تلك الروح القطرية تزايدت بشكل ملحوظ وأصبحت تعطي الانطباع بأن الحساسية الشعوبية تجاوزت القدر الذي كان يمكن التعايش معه، وعن التنسيق العربي الكامل بإطاره، وأصبحت الشخصية القطرية متماسكة إلى حد كبير، وأن المشاعر القطرية طفت على السطح وأصبحت تزاحم بشدة المنطوق القومي الذي طالبت به الجماهير العربية زمن المد العربي وصعود الفكر القومي (سلامة، ١٩٧٢: ٣٨).

إن تكريس القطرية العربية والنمط القائم في العلاقات القطرية موجود في كثير من دول العالم، وهذا يعني أن الحالة العربية ليست استثناء، ولكن الغرابة هو أن يحدث ذلك في الوقت الذي تبدو فيه مقومات الوحدة العربية واضحة ثقافيا ولكن يمكن إخفاؤها سياسيا وهذا من إفراز

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حالة التخلف الذي يعيشه الواقع العربي، فمثلا الهند بها عدة قوميات مختلفة ولا توجد فيما بينها بعض القواسم المشتركة، ولكن هذا لم يمنعها من قيام دولة مركزية لها مكانتها بين دول العالم، فهذه القوميات تعيش تحت مظلة المواطنة الهندية في الدولة التي تعتبر نموذجا علينا أن نحتذي به، إضافة إلى أن أوروبا أخذت تتوحد على الرغم من الإختلاف الواضح بين شعوب دولها(مجلس التعاون الأوروبي)، في حين إذا أرادت السفر إلى أية دولة أوروبية تقوم بأخذ تأشيرة من أي سفارة لأية دولة أوروبية وعندها تجوب كل أوروبا، على الرغم أن نسبة العوامل المشتركة بين هذه الدول لا تتجاوز(٥%)، في حين أن نسبة المشاركة العربية (٩٥%) ولا تستطيع أن تفعل كما يفعل الأوروبيون بل إذا أردت السفر إلى دولة عربية أخرى عليك بمأذونية الدخول(التأشيرة) (الهزايمة،٢٠١١: ٦٣).

إن ما أوردناه ما هو إلا نماذج لقيام كيان سياسي ضخم على أسس تستند على الفكر المشترك – وهذا الذي نتمتع به نحن العرب دون سوانا- المنادي بأن الجماعة البشرية تكون أقوى إذا اجتمعت تحت مظلة دولة مركزية كبرى، وهو أمر لم ندركه نحن العرب حتى يومنا هذا.

وأخيرا يمكننا القول أن تكريس الدولة القطرية لم يغري الدول الغربية للعمل على تكريسه لولا وجود نخبة في الداخل العربي تنادي بهذا التكريس، وليس من السهل الحصول على كلمة قومية سواء كان هذا المفهوم عربيا أو تحت أي مسمى آخر، فهناك استراتيجيات دولية تتحكم اليوم بهذا المفهوم من قريب أو من بعيد، فليس من الصواب أن نتحدث عن قومية مجردة بل يجب الأخذ بعين الاعتبار كل ما يدور حول هذا المفهوم من سياسات نظرية أو عملية وتلبية هذا الأمل لدى الشعوب العربية فهو مرتبط ارتباطا كليا بالوجود اليهودي في فلسطين، وصراع القوى داخل الوطن العربي والخريطة التركيبية للأمة العربية، إن هذا كله يعتبر من أسباب تكريس القطرية العربية، لأن دولة الكيان الصهيوني ومن ورائها الغرب لا يسمح بقيام الوحدة لأنها خطر على الكيان وعلى الغرب في آن واحد، والقوى السياسية في الوطن العربي قد تجد في القطرية ما يحقق لها تطلعات وامتيازات كثيرة.

إن الدولة القطرية والحالة هذه مباركة من الخارج والداخل، وأن الوحدة العربية ما هي إلا منطوق نتغنى به عاطفيا وليس له إلى ساحة الظهور أي منفذ، فالدولة القطرية العربية أصبحت اليوم الواقع، لأن الواقع المعاش اليوم كرس هذا المصطلح في عقلية أبناء الأمة العربية، إن القطرية هي التي عهدوها في الصغر ولا بديل عنها إلا في عقلية العقلاء من أبناء الأمة القلة كون الكثرة تدافع عن مصالحها وامتيازاتها التي وفرتها لها القطرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني:

الدولة القطرية: السمات والهوية الوطنية

الدولة لا تحدد الأبعاد الزمانية والمكانية للإنسان الفرد فحسب، بل كذلك لكل شكل من أشكال التجمع البشري، فالدولة هي أكمل وأحكم وأتم الجماعات البشرية الموجودة في الوقت الراهن وليس هذا فحسب، فكل تجمع أسرة بلدية جمعية نقابة تابع للدولة، أما الدولة نفسها فغير تابعة لأي تجمع أعلى منها" .

ويجب أن لا يغيب عن البال أن الدولة لا تتدخل في شؤون الأفراد ما دامت موالاتهم للدولة، فعلى سبيل المثال كانت سياسة العثمانيين في الوطن العربي تسير على أساس عدم التدخل في حياة أبناء ذلك الوطن، إلا في حدود ضيقة، فما دام العرب موالين للأتراك خاضعين لسلطان الدولة، يؤدون ما يطلب منهم من أموال، فإنهم في مأمن من تدخل الدولة في شؤونهم" (كامل،١٩٦٢: ١٧٧).

أما الوسيلة الوحيدة لتجاوز الانقسامات الإثنية والطائفية ولتحرير المجتمع من العشائر والأزلام ذوي المسلك القبلي من الجمود هو الترسخ التدريجي لدولة تدخل عقلانية جديدة لتعبر عن آفاق تجاوزية وأن هناك طريقا مسدودا للتنمية القطرية الحالية في وضع التجزئة القائم، فلا بد من بناء استراتيجية تنموية وطنية قومية تفتح أمام الدولة القطرية الطريق إلى تطور باتجاه الوحدة وتصفية التجزئة، ولطالما الحديث عن الدولة القطرية، فإنه يخطر للبال سؤال مفاده، ما هي الدولة القطرية، بمعنى ما هي أهم ما تتميز به هذه الدولة، وللإجابة عن هذا السؤال ولتحقيق أغراض هذا المطلب فإننا سنتناول ذلك وفق الفقرتين التاليتين هما:

أولا: سمات الدولة القطرية.

ثانيا: هوية الدولة القطرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: سمات الدولة القطرية:

عندما قامت الدولة القطرية في القرن العشرين، تحقق لها مجموعة من السمات تستحق أن نتعرف عليها ونحن ننظر في توزيع هذه الدول بين التعاون والنزاع: (الزبيدي، ٢٠١٢: ٣٧).

١. **محاولة توفير الشرعية للدولة**، وذلك من خلال إعلان الدولة القطرية تبنيها لأهداف الأمة، والتأكيد على إبراز نضال حكامها لتحقيق الاستقلال وتحريرها من نير الاستعمار، وتبني مشروع الأمة الحضاري الذي يتضمن فضلا عن التحرير والتوحيد، سيادة الشورى والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وتحقيق العدل الاجتماعي، والتنمية، والتجدد الحضاري. وقد تطورت شرعية النضال ضد المستعمر إلى شرعية الثورة، حين نجح عسكريون ومعهم حزبيون ومدنيون أحيانا في تغيير نظام الحكم القائم في الدولة بحجة وجود فساد فيه، كما اقترنت شرعية النضال بمحاولة إسباغ الشرعية الدينية للحاكم من خلال انتسابه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو تبنيه حركة دينية، أو إعلانه التمسك بالقيم الدينية والحرص عليه والدعوة إليها.

٢. **الالتزام بالوطنية القطرية:** وما تولد عنه من نوازع للمحافظة على الكيان السياسي القائم، وقد أطلق (الحصري) مصطلح "الإقليمية" على هذه النوازع في كتابه الذي يحمل هذا العنوان، بعد انفصال سوريا عن مصر عام(١٩٦١)، وفك عرى الوحدة التي قامت بينهما طيلة ثلاث سنوات وسبعة أشهر، وكان في كتابه" دفاع عن العروبة" الذي صدر عام(١٩٥٤)م، قد تحدث عن هذه النوازع قائلا " عندما تحررنا من نير الاستعمار، أخذنا نقدس الحدود التي أقامها المستعمرون في بلادنا بعد أن قطعوا أوصالها، ونسينا أن تلك الحدود إنما كانت الحبس الانفرادي والإقامة الجبرية التي كانوا قد فرضوها علينا، والحق أن هذه النوازع القطرية تمكنت من العاملين في أجهزة الدولة، فضلا عن الفئة الحاكمة، وأكسبتها الحدود السياسية انتماء قطريا، وتضافرت مناهج التعليم والإعلام لتجعل هذا الانتماء القطري معززا بالمشاعر الوطنية التي تمجد البلاد، وتصل بالفرد إلى أن يضحي بنفسه من أجلها، وتجلت هذه المشاعر الوطنية بتكريم العمل الذي يرمز للدولة، وبترديد الأناشيد التي تتغنى بها، وقد قامت النوازع القطرية لدى الفئة الحاكمة والمواطنين في أجهزة الدولة بدور خاص في تأكيد قطرية الدولة، وقويت هذه النوازع مع ما يتمتع به هؤلاء من أوضاع مادية ومكانة معنوية تجلت في بدلات وألقاب وتمثيل رسمي، أما عامة الناس فقد أنشدوا إلى العلم، ويتداعى إلى خاطري وأنا أستحضر صورا لهذه الأناشيد، أن واحدا من أساتذة الجامعة السورية المرموقين الوطنيين وقف عند الاحتفال بتحقيق الوحدة المصرية السورية في (شباط١٩٥٨)، وألقى قصيدة من نظمه، وكان شاعرا، ودع فيها العلم السوري بأبيات مؤثرة سردت إنتصاراته، ثم رحب بعلم الجمهورية العربية المتحدة الذي ارتفع بدلا منه، وما سرعان ما دفع الإنفصاليون في سوريا العلم القديم، ثم جاء يوم على مصر في السبعينات استبدلت فيه قيادتها بإسم جمهورية مصر العربية بإسم الجمهورية العربية المتحدة".

٣. **النزوع إلى التعاون مع الدول القطرية العربية الأخرى** مع الالتزام بالوطنية القطرية، وذلك تعبيرا عن نوع من الانتماء القومي، يتجلى في "وحدة الصف"و "تضامن عربي" و"عمل عربي مشترك" يقوم بين دول لكل منها سيادته الحريصة عليها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا النزوع نابع من حنين "الجزء" إلى "الكل" الذي أقتطعت منه، ومن تطلع إلى الاستقواء بالأخ أو ابن العم لمواجهة خطر خارجي يهدد الأسرة كلها، وقد اقترنت ولادة الأمة القطرية بتعاظم خطر الصهيونية العنصرية على فلسطين والوطن العربي الكبير، وباستمرار خطر تسلط قوى الهيمنة الاستعمارية التي بقيت تسعى بعد اضطرارها لإنهاء استعمارها المباشر إلى بقاء نفوذها في هذه الأقطار.

٤.**تأثير مصالح قوى الهيمنة الاستعمارية الغربية**، ونفوذها على سياسات الدولة القطرية، ولقد كان لهذه المصالح دور خاص في رسم حدود هذه الدول، وفي أسلوب تدريب إداريها الذين يديرون أجهزتها، وأبرز هذه المصالح قبل اكتشاف النفط الثروات الطبيعية، والموقع الاستراتيجي، والسوق الاستهلاكي، ثم غدا النفط في رأس القائمة، فعندما وجدت الشركات النفطية النفط في بعض الأقطار العربية منذ مطلع القرن العشرين، كان عاملا حاسما في رسم الحدود السياسية للدولة القطرية العربية حينها، واستمر النفط عاملا حاسما فيما يطرأ على هذه الحدود من تعديلات، وقد تضمنت مباحثات "كليمنصو" رئيس وزراء فرنسا مع "لويد جورج" رئيس وزراء بريطانيا في لندن عدة ملفات كان للملف النفطي الأولوية الأولى، وأبدت فرنسا رغبتها في نفط الموصل.

هذه السمات الأربع للدولة القطرية العربية فعلت فعلها في توزيع علاقات الدول العربية بعضها ببعض بين التعاون والنزاع، فعلى صعيد التعاون نجد أن النزوع إليه مع تأثير مصالح قوى الهيمنة تفاعلا في لحظة تاريخية، فأمكن إقامة نظام "إقليمي" عربي عام(١٩٤٥)م حمل اسم "جامعة الدول العربية" حيث ننظر في هذا "النظام العربي" الذي جسدته جامعة الدول العربية نجد أنه اعتمد "ميثاقا" التزم به الأعضاء، وأنه قام على خمسة أركان، وهي انتماء الدول الأعضاء إلى أمة عربية واحدة، وتوافقها على الالتزام بميثاق النظام، وتعاونها لمعالجة قضية فلسطين ومواجهة الخطر الصهيوني، وإسناد دور خاص لمصر، وجعلها مقرا للأمانة العامة للجامعة واللجنة العسكرية، وقيام كل دولة عضو بدور في إطار الكل يتناسب مع وزنها وثقلها(ميثاق الجامعة، ١٩٤٥: ٣١).

وقد برز عن الجامعة مؤسسة القمة العربية، ولكن قوى الهيمنة الغربية عرقلت انتظام مؤسسة القمة العربية طيلة العقد الماضي، كما برز دور النزاع بين بعض الأقطار، وافتقد هذا النظام الإقليمي وجود تمثيل برلماني عربي فيه، يكون معبرا عن سلطة تشريعية عربية، وكذلك وجود محكمة عدل عربية تعبر عن السلطة القضائية، وتفض النزاعات التي تنشب بالطرق السلمية. لقد شهد النظام العربي اتخاذ أعضائه خطوات لتعزيز التعاون فيما بينهم، فأبرمت معاهدة الدفاع المشترك في مطلع الخمسينات، والتعاون هنا دفاعي أمني عسكري، وإقامة مجلس الوحدة الاقتصادية للتعاون في المجال الاقتصادي، وحدث تعاون ثقافي وتطور إلى قيام منظمة التربية والثقافة والعلوم العربية، وحدث تعاون في مجالات أخرى قامت فيه منظمات متخصصة، وقد تفاوت النجاح في هذه المنظمات ولكنه في مجموعة لم يبلغ درجة تلبية طموح أبناء الأمة العربية، وتأسست منظمة "أوابك" للدول العربية المصدرة للنفط ولكنها جمدت، واجتمعت كلمة العرب في حرب رمضان تشرين أول(١٩٧٣) ولكن ما لبث أن تراجع بعد محاصرته من قوى الهيمنة الدولية(القطب، ١٩٧٨: ٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قام مجلس التعاون الخليجي الذي ضم ست دول خليجية هي: السعودية، والكويت، والبحرين، وقطر، والإمارات العربية، وعمان، ولا يزال باقيا ولكن تعاونه ليس بمستوى الآمال والطموح الذي أنشىء من أجله، كما قام المجلس المغاربي من ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب وموريتانيا، وتشكل مجلس التعاون العربي من مصر، والعراق، والأردن، واليمن، وتجمد بسرعة على أثر حرب الخليج الأولى، وكذلك فقد تأثر المجلس المغاربي الذي كان مفروضا أن يتطور إلى اتحاد تأثر بالخلافات الحدودية بين المغرب والجزائر والخلاف حول الصحراء المغربية.

وحاول النظام العربي أن يستعيد شيئا من فاعليته منذ أواخر عام(١٩٩٥) حيث تلاقت إرادات ثلاثة من أعضائه هي مصر وسوريا والسعودية في قمة الإسكندرية، وتم انعقاد مؤتمر قمه عربي في القاهرة بصيف (١٩٩٦)، ومرة أخرى وجد النزوع إلى التعاون بين الدول القطرية العربية تعبيرا عمليا عنه، وتجمد انعقاد القمة العربية على مدى عدة سنوات بسبب هجمة واشنطن على هذا النظام العربي بطرح النظام الشرق الأوسطي بديلا عنه، ومنذ قيام هذه الدول القطرية العربية ظهر تعبير آخر عن النزوع إلى التعاون خارج النظام العربي والمجالس الفرعية الإقليمية، هو التعاون الثنائي بين دولتين قطريتين عربيتين، وأحيانا يمتد ليشمل دولة ثالثة، ويخوض تجارب"وحدوية" لم تصمد، ولا يزال هذا التعاون الثنائي القطري أقل من طموح أبناء الأمة، وعرضة للتذبذب بين صعود ونزول(الدجاني،٢٠٠٠: ٣٣).

ثانيا: هوية الدولة القطرية:

إن الهوية الأساس للدولة القطرية العربية هي بلا شك "الوطنية" فالهوية الوطنية لكل قطر عربي هي هوية الدولة الجامعة، وهي هوية واحدة وموحدة، ومحل فخر واعتزاز وانتماء لكل المواطنين، بغض النظر عن أصولهم البعيدة أو القريبة، وانتماءاتهم السياسية والمذهبية والدينية والمكانية، ولم تستطع دولة ما أن تلبي كل حاجات المواطنين إلا إذا التف هؤلاء حول راية الدولة التي هي راية الوطنية التي تجمعهم تحت لوائها لأن تنازع الهويات داخل القطر الواحد أمر خطير جدا ويمثل عاملا من عوامل الانقسام السياسي والإجتماعي، ويعد قنبلة موقوتة تهدد أمن الدولة واستقرارها، وتشكل متكأ للمؤامرات الداخلية والخارجية ومدخلا للغزو والتدخلات السياسية الإقليمية والعالمية ومرتعا خصبا لأصحاب النفوس المريضة والأجندة الخارجية(غرايبة،٢٠١٥: ٧/٢٤)

إن الوطنية كمصطلح يعبر عن هوية الدولة العربية نقصد به مصطلحا يغطي حدود الدولة القطرية العربية السياسية والمرسومة وأراضيها المعروفة، وهي تمثل شعب الدولة بجميع مكوناته الاجتماعية بلا استثناء وهي هوية جامعة تذوب فيها كل الهويات الأخرى؛ لينصرف الشعب إلى بناء دولتهم القطرية المدنية الحديثة، إن الهوية الوطنية ذات أهمية حيوية للكيفية التي من خلالها ينتظم العمل السياسي والاجتماعي، لذلك فإنها تؤثر على القضايا الرئيسة التي تهم السياسات العامة والرسمية داخل الدولة القطرية، فأفراد الشعب الواحد لهم مؤشرات فيما يتعلق بالوطنية تتعلق بالخصائص المتعلقة بهم، فهذه الخصائص يقدمها للآخرين معرفا بها عن هويته ووطنيته ومعربا من خلالها عن انتمائه لجنسيته، كأن يقول الفرد أنا مغربي لأني ولدت في المغرب، وآخر يقول أنا سعودي لأن أجدادي أتوا من السعودية، وآخر يقول أنا أردني لأني أقيم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الأردن، وآخر يقول أنا فلسطيني لأنني أرتدي اللباس الفلسطيني، وهكذا ودواليك الأمر الذي يقودنا إلى بيان مؤشرات ودلالات الهوية الوطنية والتي تتمثل بما يلي: مكان الولادة، روابط الأسلاف والأجداد، الانتماء القبلي، الالتزام بالعادات والتقاليد، مكان الإقامة، الالتزام بالزي التقليدي، طول فترة الإقامة، الأسماء والألقاب، النشأة والتربية واللهجة، وأخيرا الشكل والمظهر الخارجي(منير، ٢٠٠٢: ٥٧).

إن الدولة القطرية العربية مليئة بمثل هذه الخصائص المتعلقة بالجماعات والأفراد داخل حدودها السياسية، وكل جماعة أو فرد يعتز بالخصائص التي ينفرد أو تنفرد الجماعة عن غيرها إلا أنها تنضوي جميعا تحت مظلة واحدة ألا وهي "وطنية الدولة" والتي تعمل على سن القوانين ووضع الأنظمة والتعليمات من أجل صهر وتذويب هذه الخصائص في بوتقة واحدة ألا وهي بوتقة الدولة، حتى تتخطى الدولة بالهوية الواحدة كل الإشكاليات المتشابكة نتيجة الظروف السياسية التي تحيط بكل دولة قطرية عربية، بالإضافة إلى ضعف مستوى الاندماج الاجتماعي الذي يظهر أحيانا بين حين وآخر، وتعمل الدولة القطرية العربية بكل ما أوتيت من عمل جاد لبناء وحدة وطنية واحدة من تعدد الوطنيات التي تخص جماعات دون غيرها داخل الشعب الواحد، ويعتبر مثل هذا العمل ضرورة وطنية وشرطا أساسا لمواجهة الإنفتاح الإعلامي المتزايد الذي أصبح اليوم في ذروة نمائه، وكذلك لمواجهة الظروف التي تسود العالم اليوم والأيديولوجيات المختلفة وفي مقدمتها النداءات التي تنادي هنا وهناك لضرورة عولمة العالم بشكل يتجاوز حدود الدولة (الجريبيع، ٢٠١٥: ٢٤/ ١). إن الفكر العربي المتأثر بالتيار القومي العربي حائر في التعامل مع الهوية الوطنية للدولة القطرية، وكان النزاع كبيرا في الفترة الذهبية للقومية العربية في عهد الخمسينات والستينات من القرن الماضي والدولة القطرية، ولا يزال البعض يحلم بالوحدة العربية من المحيط إلى الخليج بأي شكل كان، أما الفكر الليبرالي الجديد – إن صح التعبير- الذي يؤمن أن المستقبل للعولمة، وأن الحدود السياسية والشعارات الوطنية والولاءات الدينية أو القومية لم يعد لها مكان في العالم(العيسى، ٢٠٠٦: ٢٥/ ٢)، إذن فالعولمة أكبر خطر يهدد هوية الدولة الوطنية فهناك ثلاثة تيارات تبلورت من خلال النظرة للعولمة وهي: (ياسين، ١٩٩٨: ٢٣-٣٤).

أ_ يتحيز للعولمة ويعدها قدرا حتميا لا مفر من قبوله دون تحفظ.

ب_ يرفض العولمة رفضا مطلقا باعتبارها تعني إعادة إنتاج لنظام الهيمنة الرأسمالي القديم.

ج_ يدعو إلى نوع من التفاعل الواعي من العولمة والاندماج فيها والتكامل معها، وذلك من خلال تضخيم المنافع التي ستؤدي إليها.

إن القاسم المشترك بين الذين أعلنوا تحيزهم للعولمة والذين رفضوها ووقفوا ضدها هو: أن العولمة "برأيهم" تهدف إلى إخفاء الحدود بين الدول، وتعني إختفاء الدولة القومية بعناصرها الثلاثة، "الشعب، الإقليم، والسيادة" وإلغاء حدودها في المجال الاقتصادي، ومحو أية قيود مادية أو ثقافية تحول دون الانتقال الحر للسلع والخدمات ورؤوس الأموال داخل هذا العالم(خفاجي،١٩٩٩: ٣٧٧-٣٧٩)، فالعولمة إذا ليست إلا عملية نقل للسيادة من الدولة القطرية إلى مجموعة من المؤسسات الجديدة فوق القومية:هي "مؤسسات العولمة" تنتقل بموجبها السلطة شيئا فشيئا من يد الدولة القطرية إلى المنظمات والوكالات الدولية العامة والخاصة التي سيعهد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إليها بالمزيد من المهام التي كانت تؤديها الدول من قبل، كالمبادلات التجارية والتحكم في أجهزة الإعلام والاتصالات، وغيرها من المهام التي كانت تحتكرها الدولة، وعليها أن تقبل بما توصي المؤسسات المالية الدولية من وصفات جاهزة للإصلاح الاقتصادي، فإذا قاومت ضغوط هذه المؤسسات تعرضت للإفلاس، وإذا إستسلمت لها وقبلت وصفتها للإصلاح الاقتصادي فسوف تواجه توترات إجتماعية وسياسية حادة في داخلها، كما حدث في الجزائر منذ عام(١٩٨٨)(عبد الرحيم،٢٠٠٢: ١٢٨-١٤١).

وتضعف سلطة الدولة، وتهترئ سيادتها حتى تكاد تتلاشى عندما يصير لزاما على كثير من الدول أن تعيد النظر في تشريعاتها الوطنية، إذا ما تعارضت مع ما يصدر عن المنظمات العالمية الجديدة من تشريعات واتفاقيات، فإما أن تحاكي التشريعات الوطنية هذه الاتفاقية الدولية أو تلك، وإما أن تعاد إلى المجالس التشريعية الوطنية لإلغائها وإزالة التعارض بينها وبين التشريعات الدولية، أو أن تتبنى الاتفاقية الدولية بكامل نصوصها وتعدها تشريعا محليا(عبد الرحيم،٢٠٠٢: ١٤٢).

وقد بلغت انتهاكات السيادة الوطنية للدول حدودها القصوى، بتشريع قوانين في بلد ما، تسوغ التدخل الدولي في بلد آخر، كتشريع قوانين لحماية حقوق الأقليات الدينية في العالم من قبل "الكونغرس الأمريكي" الذي يعطي الولايات المتحدة الأمريكية حق المراقبة والتدخل في شؤون الدول الأخرى طبقا لمعايير مزدوجة، (الكيلاني،٢٠٠١: ٧٣٥-٧٣٧)، إن إضعاف سلطة الدولة وتآكل مبدأ السيادة الوطنية، ولا سيما في الدول النامية (ومن ضمنها الدول العربية)، يدفع بالدولة إما إلى ذوبانها في كيانات أكبرمنها(فوق قومية)، وإما إلى تفتيتها إلى كيانات عصبوية أصغر منها(تحت قومية)، فمن ناحية تدفع بها الضغوط الدولية المتزايدة إلى التفريط المستمر في استقلالية قرارها الوطني والتنازل عن مبدأ السيادة الوطنية(الرشيدي،٢٠٠٠: ٧٣-٩٢)، ومن ناحية أخرى يؤدي إضعاف سلطة الدولة حتما إلى إيقاظ أطر للانتماء، سابقة على الأمة وعلى الدولة، والمقصود هنا (القبلية والدين والطائفة والجهة)، والدفع بها جميعا إلى الصراعات العرقية والمذهبية، وتمزيق الهوية الثقافية الوطنية لصالح خصوصيات ثقافية ضيقة، ولا سيما بعد أن دبت حيوية كبيرة في النزاعات القومية والإثنية والتي يبدو أن قلق العولمة قد أيقظها في كل مكان من العالم(روبرت،١٩٩٥: ١٩٥-١٩٦). وتتميز العولمة بانهيار الكثير من المعايير والمنطلقات والمذاهب، وانبعاث المكبوت الديني والعرقي، والنزاعات اللاعقلانية، والاحتماء بالأساطير والموروثات العرقية التي تساعد على تعطيل دور العقل النقدي بوصفه ضرورة لتأمل العولمة وما تطرحه من تحديات جديدة(عبد الرحمن،١٩٩٩: ٤٨-٥١).

والدولة القطرية العربية المعاصرة مهددة أكثر من غيرها بهذين الخطرين في ظل العولمة:

١: انتزاع السيادة ونقلها إلى كيانات دولية أكبر منها كمنطقة التجارة العالمية والشركات العملاقة المتعددة الجنسيات، والمؤسسات المالية الدولية، أو كيانات إقليمية أضخم، كالنظام الشرق أوسطي الجديد المقترح، وترتيبات الشراكة الأوروبية المتوسطية.

٢: هو صراع الهويات والحروب الأهلية التي تهدد بتفتيت السيادة وتمزيق الوحدة الوطنية لكل قطر عربي(الخضري،٢٠٠٠: ١٢٩-١٣٥)، ومواجهة الدولة القطرية العربية لهذين الخطرين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رهن بتعديل العلاقة الراهنة ما بين الدولة والمجتمع من علاقة ذات طرف واحد إلى علاقة شراكة حقيقية ينظمها عقد اجتماعي، وترتكز على دعامتين أساسيتين لا غنى لأي نظام عنهما:

أ: العمل بجدية لترسيخ علاقات المواطنة بكل ما تعنيه من حقوق متساوية أمام القانون.

ب: إنجاز مشروع وطني يحظى بقبول سياسي عام (الجابري، ١٩٩٢ : ٢٠٦-٢٠٨).

و بهاتين الدعامتين يمكن للدولة القطرية العربية أن تنهض بدورها السياسي في مواجهة أخطار العولمة سواء بتجنب انهيار الدولة الوطنية المعاصرة إلى ما دونها، أي تفتيتها على أسس عرقية، أو دينية، أو قبلية، أو التفريط بسيادتها لصالح ما فوقها من منظمات فوق قومية تقوم بمهمات التكامل الإقليمي بدلا من النظام الإقليمي لكل دولة عربية(الأنصاري، ١٩٩٤: ٤٤-٤٥). و في مواجهة الدولة القطرية العربية لمحاولات حملها على التنازل عن حقوق لها لصالح كيانات كبرى، فإن الدولة القطرية العربية يتحتم عليها أن تنخرط في سياق تجمع إقليمي عربي يشحذ قدراتها منفردة و مجتمعة لمواجهة تحديات العولمة، و يؤدي الى تعظيم مصالحها الاقتصادية، و إذا كان لا بد من تنازل عن بعض حقوق السيادة الوطنية فليكن لنظام إقليمي عربي قادر على حماية المصالح العربية و تدعيمها و صيانة الهوية القومية و الحضارية للأمة، لا لمصلحة ترتيبات اقتصادية شرق أوسطية تؤول منافعها إلى الذين امتلكوا شروط السيطرة التكنولوجية و الاقتصادية، و العسكرية، و خلافا للعقود و الاتفاقات المجحفة و المهددة لكل سيادة تفقدها الدولة القطرية العربية، أو تكره على عقدها مع شركات دولية معينة أو منظمات و دول كبرى لا تراعي إلا مصالحها الخاصة، فإن التنازل الطوعي عن حق من حقوق السيادة القطرية العربية ولا يعد مساسا بكرامتها الوطنية أو بسيادتها الأقتصادية (احمد، ١٩٩٨: ٣١-٦٩).

وفي اعتقادنا أن الهوية القطرية قد ضاعت في خضم العولمة و فقدت الدولة القطرية سيادتها و أصبحت تابعة للدول الكبرى تدور بفلكها وفلك شركاتها المتعددة الجنسيات، حتى أن بعض هذه الأقطار باعت معظم شركاتها و مؤسسات الحكومة إلى هذه الشركات الأجنبية بأثمان زهيدة تحت مسمى " الخصخصة " بحيث أصبحت هذه الشركات هي المسيطرة على اقتصاديات البلد و تجني منها أرباحا ضخمة تحول إلى بلدها الأم ".

إن هوية الدولة القطرية اليوم تعتبر في مهب الريح، لأنها اليوم في تنازع على شرعية إشكالية الهوية بين عدة تيارات قومي/ عربي وآخر ديني/إسلامي، إن هناك عدم واقعية في تميز الهوية للدولة القطرية العربية حيث تنامت وتمايزت بين عدة إشكاليات فكرية كالقومي والوطني والديني والمذهبي وغيرها، وهذا نابع من الاشتغال بالتنمية المجتمعية التعليمية التي تنشل المجتمعات من معمعات فكرية لها بداية بلا نهاية، والتي أوصلت المجتمعات العربية لمآلات فكرية وسياسية واقتصادية ومجتمعية يكسوها عدم التجانس، والبحث عن قواسم للعيش المشترك دفعت الشعوب أثمانها ولا تزال على كافة الأصعدة(صلال، ٢٠١٥: ٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني:

آثار القومية في استنهاض التيارات الإسلامية

إن الفكر العربي القومي بالصورة التي جاء بها إلى الساحة العربية وذلك بعدم جعل الدين المرتكز الأساس والمقوم الأول من مرتكزات القومية ومقوماتها، أدى إلى استنهاض التيار الإسلامي، فالفكر الإسلامي المعاصر منذ سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية ونشأة الدول العربية القطرية المستقلة ظل ينظر إلى الهوية القومية بشيء من الريبة، فالبعض يدعو إلى اعتبارها مرحلة مؤقتة، ولهذا فهو يتعامل معها من منطلق الضرورة لأنه يراها من صنع الاستعمار، أو أنها تعارض عقيدة "الولاء والبراء"، أو أنها لا تتوافق ومفهوم الأمة الإسلامية المتطلعة للوحدة الإسلامية الكبرى التي تضم العرب والعجم ما دام الإسلام يجمع الطرفين، ولهذا كان الخطاب الإسلامي في مواجهة الخطاب القومي يتحدث دائما بصورة العموم عند الحديث عن الوطن وعن الجنسية والهوية، بل استبدل بعض المفكرين مفهوم الدولة القومية بمفهوم (جماعة المسلمين)، وهذه الجماعة ليس لها حدود سياسية أو جغرافية وإنما هي تعمل في كافة بلاد المسلمين، كما أن بعض العلماء من أهل الفكر العربي كانوا يشيرون إلى أي بلد إسلامي على أساس أنه ليس كيانا سياسيا له خصائص الدولة وإنما في إطار جغرافي، فهذه بلد الحرمين أو بلاد الجزيرة العربية أو الهلال الخصيب أو بلاد الشام والأخرى بلد الرافدين وبلاد باكستان والمغرب العربي وبلاد حوض النيل وهكذا دواليك.

إن ما يذهب إليه الفكر القومي ليس ما يذهب إليه الفكر الإسلامي إلى الحد رفض الفكر الإسلامي الفكر القومي وجعل، من كل دعوة إلى العروبة فكرا ومنهجا من أبواب الكفر، لأن بعض أهل الفكر الإسلامي اعتبر كل منهج لا يجعل من منهج الله شريعة للحياة ولا يتخذ من مصادر التشريع (القرآن والسنة والمصادر الفرعية الأخرى) منهج حياة يعتبر عندها خارجا من الملة لأنه سيتخذ غيرها من المصادر التي هي من صنع البشر لا من صنع الله وهذه مخالفة كبرى.

إن الفكر القومي بهذه الصورة إستنهض الفكر الإسلامي فأصبحت الحالة بينهما تشبه الحرب باردة فكل فكر يكيل للآخر من التهم المبررة وفق رؤيته، وفي هذا الفصل فإننا سنتناول في سبيل تحقيق أهدافه الفكر القومي واستنهاض التيارات الإسلامية في مبحثين هما:

المبحث الأول: المواجهة الفكرية بين القومية والإسلام.

المبحث الثاني: الأقليات بين القومية والإسلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول:

المواجهة الفكرية بين القومية والإسلام

شكل موضوع العلاقة بين الإسلام والقومية العربية أحد الموضوعات الأساسية التي شغلت الفكر السياسي العربي المعاصر، ويتداخل الموضوع في صياغة الأيديولوجيات السائدة في المنطقة العربية، ويطرح المد الإسلامي المعاصر أبعادا جديدة في هذه العلاقة ينتقل بها إلى الانفراد بمقاليد العمل السياسي والطرح الأيديولوجي، ويؤدي إلى تراجع المد القومي الذي بدأ بالفعل ينحسر شيئا فشيئا، ولم يبق له إلا الأثر القليل في فكر أولئك الذين نادوا بالقومية .

إن الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر القومي يستند إلى الأصول الإسلامية وسير السلف الصالح، ويهدف إلى غرس القيم التي كانت سائدة من جديد في ذهنية الأجيال الحاضرة، وخصوصا ونحن نرى أن الصورة التي تبنتها الأنظمة العربية والمعروفة بالتضامن العربي، والذي يعبر عن صورة الحد الأدنى للتوحد العربي، ويختلف عن الصورة المثلى للقومية العربية، وهي قيام دولة الوحدة ذات دولة واحدة، قد تبدو المقارنة بين التيارين فيها شيء من اللبس، فعلى سبيل المثال: أن التيار الإسلامي لو سمح له بالتطبيق لحقق نتائج أفضل من التعاون صورة الحد الأدنى للقومية العربية، لقد شكل ضعف النظم السياسية العربية سببا في ضعف التيار القومي وفتح الطريق أمام التيارات الإسلامية المحافظة، وجعلها تحتل مكانة المقدمة والريادة في الساحة العربية، ولا شك أن هناك عوامل خارجية أخرى ساهمت في ضعف النظم السياسية العربية، والتي أدت إلى استنهاض التيارات الإسلامية، وإستقوائها على الفكر القومي والقومية، إن ما حدث قلب معادلة اللعبة السياسية بين القومية والإسلام لصالح التيارات الإسلامية، والذي انتهى الأمر فيه إلى تسليم التيار القومي بالانسحاب من الساحة العربية كمخرج للأزمة الفكرية والسياسية التي تجتاح الأنظمة السياسية في الوطن العربي.

ولتحقيق أهداف هذا المبحث فإننا سنتناوله في مطلبين هما:

المطلب الأول: النظرة القومية للإسلام.

المطلب الثاني: النظرة الإسلامية للقومية.

المطلب الأول:

النظرة القومية للإسلام

إن القومية العربية انطلقت من أفكار بعض المثقفين العرب، حاول هؤلاء من خلال أطروحاتهم الوصول إلى تبني توجهات سياسية للقيادات العربية عبر مراحل تطور النظام الإقليمي العربي، ولكن بسبب ما واجهه النظام من تحديات وتهديدات سياسية وإقتصادية واجتماعية وفكرية أثرت على بناء الدولة القطرية التي تضم في مكوناتها كافة الأطياف السياسية والعقدية وبالتالي لم تصل إلى بلوغ الأهداف التي رسمها مثقفو القومية العربية، الأمر الذي أخذ التيار الإسلامي عندها يتنفس الصعداء ويطرح نفسه على الساحة السياسية كبديل للطروحات القومية التي لم تحقق الغايات التي رسمتها عند قيامها، عندها أخذ القوميون يعملون على نشر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أفكار ضد التيارات الإسلامية وكأن الأمر أخذ على الصعيد السياسي والاجتماعي وجه الحرب الباردة، حيث شكك أصحاب الفكر القومي بقدرة التيار الإسلامي في إيجاد علاقة حسنة بين السلطة السياسية والمجتمع والحريات من جهة وبين الهوية القومية والدينية، بمعنى أن التيار الإسلامي لا يستطيع الموائمة بين هذه جميعا، وخصوصا أن معظم أصحاب التيار القومي ينادون إلى مفهوم فصل الدين عن الدولة أو إلى علمنة الدولة، وهذا خلاف ما ينادي به التيار الإسلامي الذي ناهض العلمانية، وينادي بضرورة تطبيق الشرع الإسلامي في كل مجالات الحياة على اختلافها، حيث نادت الدعوة الإسلامية إلى ضرورة تجديد بعض المفاهيم والمصطلحات وتغيير المضامين التي ترتبط بما يعنيه تأسيس نظام الحكم وصياغة الدستور وفق الرؤيا الإسلامية، وهذه الدعوة أو الطرح يمثل في نظر التيار الإسلامي السبيل لتحقيق ما فشلت في تحقيقه الطروحات القومية، والتي لا شك أنها مناهضة للإسلام.

إن الحديث عن نظرة القومية للإسلام في هذا المطلب يتطلب تناوله في فقرتين رئيستين هما:

أولا: القوميون والنهج الإسلامي.

ثانيا: القوميون واتهاماتهم للإسلاميين.

أولا: القوميون والنهج الإسلامي:

اعتبرت القومية العربية القوى المحركة للنضال، فهي تعني بذلك وعي الأمة ممثلة بالجماهير التي تضم المجتمع، وكان ذلك نتيجة تسرب التيارات الفكرية السياسية الأوروبية إلى أنحاء العالم وهي تحمل مبدأ القومية والذي بدوره أدى بهذا الفكر إلى الانتشار في الأوساط العربية فتلقفها بعض المفكرين منهم، وأخذوا يتمسكون بالقومية كمحطة جديدة من محطات الارتقاء بالفكر العربي، والذي بدوره يعكس نتيجة إيجابية تتمثل بإشادة صرح الوحدة العربية الكبيرة والحفاظ على هوية الأمة، الأمر الذي جعلهم يتخذون من القومية خطا فكريا رافضا للهيمنة الغربية(العبود، ١٩٩٩: ١٨٤- ١٨٥).

وانطلاقا من هذا المنهج الفكري المشار إليه آنفا فإن العرب والحالة هذه وفق الرؤية القومية يشكلون أمة واحدة لها كل مقومات الأمة، تعيش في بقعة جغرافية تنحصر بين منطقتين مائيتين هما الخليج العربي والمحيط الأطلسي، وأن دعاة الفكر القومي يرون أن الحدود السياسية الفاصلة بين بقاعه التي نراها اليوم ما هي إلا حدود مصطنعة تمت وفق رؤية استعمارية وتم التخطيط لها في ما كانت وزارات الخارجية التابعة للقوى الطامعة بالمنطقة العربية أيا كانت تلك القوة. كما يرى دعاة الفكر القومي أنه يجب أن تكون للعرب دولة واحدة وحكومة واحدة تقوم على أساس الفكر القومي، وهذا الفكر يعتبر الهدف الأول لتحرير الإنسان العربي من كل الخرافات والأساطير وتجمعهم في بوتقة واحدة عنوانها القوة، والفكر القومي لا يخفي بعض المخاوف من الدول الاستعمارية التي إن رأت العرب يتوحدون في دولة واحدة أن تتجدد أطماعهم في المنطقة ويعملون على إجهاض الدولة القومية بالمواقف العدائية المباشرة وغير المباشرة.(ربيع، ١٩٩٤: ٤٠٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وانطلاقا من التوجه القومي آنف الذكر فإن هذا التوجه يعزز هوية الإنسان العربي في وطنه العربي الكبير بالأبعاد الرئيسة الثلاثة التالية: الولاء، والانتماء، والاعتزاز بالأمة دينيا وفكريا وتراثا وحضارة، وفي هذا الإطار يكون الولاء والانتماء والاعتزاز بالأمة العربية لغة وتاريخا ومصيرا وبالوطن العربي أرضا وشعبا ونظاما، لذا فالفكر القومي على هذه الشاكلة تتحد أهدافه على المستوى السياسي والاجتماعي بما يلي: تحرير فلسطين، وتحقيق الوحدة العربية، ومحاربة الاستعمار والامبريالية والقوى المتخلفة، والمناداة بالإستقلال والتحرر(محفوظ، ٢٠٠٤: ٥٣).

لذا فالقومية العربية وفق أهل الفكر القومي ترى بضرورة التغيير السياسي لدى التيارات الإسلامية، وهذا التغيير السياسي لا يأتي منفصلا عن التغيير الاجتماعي فهو جزء من حركة التغيير الاجتماعي ذاتها، لكن ما يجعل التغيير السياسي يتصدر التغييرات جميعا والمنبثقة عن التغيير الإجتماعي هو أبرز تلك الحلقات السياسية والتي تعتبر أكثرها إثارة للرأي العام والمواقف، وهو ما تلعبه الحياة السياسية الآن كواجهة للمنظومة الإجتماعية والاقتصادية ككل(زكي، ١٩٩٤: ٢٢)، من هنا يرى القوميون ضرورة التغيير والإصلاح في التيارات الإسلامية لأنها تسعى إلى بناء منظومة إسلامية شاملة، أضف إلى أن انشغال التيارات الإسلامية بالسياسة كبوابة للتغيير الشامل أمر لا يخدم مشروع بناء الوحدة العربية المنشودة في الفكر القومي، لأن النشاط السياسي للتيارات الإسلامية لم يبن على عمق وركائز اجتماعية وثقافية وفكرية تراعي الظروف السياسية السائدة، بل هو نشاط قائم على عدم مرونة النصوص لتتوائم مع ما هو عليه العالم اليوم، لأن العمل السياسي يتطلب صداما مباشرا مع قوى داخلية وخارجية معا وفي إطار السعي لتحقيق المصالح، وإذا لم تقم التيارات الإسلامية بالتغيير فإنها لن تلبث طويلا حتى تغادر موقعها في ظل الصدام مع القوى الأخرى(الشايب، ٢٠٠٤: ١٢٠- ١٢٢).

أضف إلى ذلك أن الكثير من أهل الفكر القومي يرون أن الواقع الإسلامي عموما يحتاج إلى تغيير يشمل كل جوانب الحياة الإنسانية بالمجمل، فالوضع السياسي الراهن الذي تعيشه البلدان الإسلامية عموما بالحدود الدنيا والسبب في ذلك إبقاء الشيء على ما هو عليه نتيجة عدم التغيير السياسي في تلك البلدان، وهذا يسمى (بالجمود الفكري السياسي)، من هنا تظهر عملية ضرورة التغيير، وأول ما يبدأ التغيير بأعضاء التنظيمات في التيارات الإسلامية فهم الأكثر حاجة للتغيير، لأنهم يمتلكون القدرة على تمرير التغيير المطلوب للمجتمع(الوعي، ٢٠٠٦: ٥٥).

إن الفكر القومي بدلا من أن يستوعب التيارات الإسلامية ذهب إلى أبعد من ذلك، فقد أخذ هذا الفكر يقاوم هذه التيارات بإسم الحداثة، ولكنه فشل في التحديث ولم ينجح في تهذيب ثقافة الحداثة وتطويرها في العمق الوجداني الوحدوي العربي، فالفشل كان ذريعا في وجدان العمل الإسلامي، ولا شك أن حالة الصراع التي أخذت مكانا لها بين الفكر والتيارات كانت تساعد على اتساع الفجوة بينهما، فاستفادت القوى المعادية في الداخل والخارج من ذلك الواقع فعملت عل تأجيجه بصورة مستمرة(غريب، ٢٠٠٨: ٦)، من هنا نرى أن الفصل بين القومية والتيارات الإسلامية أخذت إلى فكر المنادين بهذه وتلك فجوة يصعب ردمها، فالنظرة القومية للتيارات الإسلامية أفرزت تناقضات واختلافات عميقة بصورة موضوعية وحوارية بين كل أصحاب الفكر القومي الحداثي العقلاني التنويري وبين التيارات الإسلامية الأصولية خاصة الإخوان المسلمون دعاة أسلمة المجتمع، وهم أصحاب المشروع الديني الذي ينظر لمفهوم المواطن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمواطنة، ومفاهيم العقل والعقلانية والعلمانية، والحرية والمساواة نظرة تشكك وريبة ونظرة رفض وأحيانا تكفير(أبو زيد، ٢٠٠٧: ٥).

إن هذا هو جوهر الإشكالية أو الأزمة بين الفكر القومي والتيارات الإسلامية، إذ أنه من الصعب في الفكر القومي تخطي التيارات الإسلامية، فإذا كان حديث الدولة الواحدة للأمة العربية، وشكل نظامها السياسي لابد عندئذ من حضور للإسلام في كل محاور النقاش، ولا بد من أن يكون النقاش يعبر في جزئية منه عن موقف الإسلام سواء كان هذا الموقف رفضا أو قبولا، على اعتبار أن المجتمع العربي يضم في دفتيه أغلبية شعبية لا تزال تنظر للإسلام كمشروع خلاص ونظام متكامل وبأنه وحده الذي يخرج الأمة الإسلامية قاطبة من أزماتها الراهنة.

وما يمكن أن نبينه من خلال ما سبق أن الفكر القومي يجد في التيارات الإسلامية عائقا يحول دون تحقيق الأهداف القومية، وذلك لأن طريق كل من الفكر القومي والتيارات الإسلامية للوصول إلى تلك الأهداف مختلفة، ففي الوقت الذي يرى الفكر القومي وجوب التحلل من بعض المضامين الإسلامية، نجد التيارات الإسلامية ضرورة التمسك بها، لذا فالنظرة القومية للتيارات الإسلامية تنادي بوجوب التغيير وهذا التغيير هو سبيل الإصلاح ليتواءم العمل القومي والإسلامي مع ظروف العصر.

ثانيا: القوميون وإتهاماتهم للإسلاميين:

يتهم الخطاب القومي التيار الديني في موضوع(الهوية) بأنه يحاول أن يهبط بالإسلام من مستوى(الرابطة الإنسانية) إلى مستوى(الرابطة القومية) عندما يقدم الإسلام كهوية بديلا عن(العروبة)، الذين يقدمون الإسلام بديلا عن(القومية) ينزلون بالإسلام من مكانه فوق الأمم جميعا ليحصروه في أمة أو بعض الأمم، والإسلام ليس خاصا بأية أمة، فهو ليس عنصرا لازما في تكوين الأمم، وهو رابطة إنسانية، ولا يمكن أن يكون أقل من رابطة إنسانية، و بالتالي لا يقع على مستوى واحد من القومية فيكون بديلا عنها، أو تكون بديلة عنه، بل هو يتجاوزها إلى المجتمع الإنساني كله الذي يشمل كل الأمم و الشعوب و الجماعات "(عفلق، ١٩٦٣: ٥٢-٥٥).

بل إن بعض الفعاليات في التيار الديني تؤكد هذا الاتهام، و تحامل الخطاب الديني على الهوية العربية، فهذا(راشد الغنوشي)(أحد القادة الرئيسيين للحركة الإسلامية في تونس)، يؤكد في معرض انتقاده للخطاب الديني، بأن خطأه يتمثل في التعامل الحدي و الرافض لفكرة العروبة، (عبد الناصر، ١٩٥٤: ٥٨).

الخطاب القومي المعاصر في خطوطه الرئيسة يتفق مع السياق التاريخي الذي عرضناه لقيام و انبعاث الأمة العربية حيث يرى(د.عصمت سيف الدولة) بأن" الإسلام ليس مجرد دين أنه على اليقين ليس دين أية أسرة أو أية عشيرة أو أية قبيلة أو أي شعب أو أية أمة، إنه دين الناس كافة، فهو ليس دين أية جماعة من الناس خاصة، ولو كانوا جماعة من المسلمين ".

هذه السمة الخاصة بالإسلام هي التي أنشأت ما بين الإسلام والأمة العربية علاقة خاصة لا مثيل لها، فيما نعرف من تاريخ الأمم والأديان، فهذه العلاقة تبعث في أنفسنا ما يوفر لنا الحق في أن نقول أن الأمة العربية دون الأمم جميعا هي(أمة الإسلام).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا نعني بهذا التعبير أن الإسلام دين الأمة العربية، بل نعني به أن الأمة العربية هي الأمة العربية التي أوجدها الإسلام، و لم تكن موجودة من قبله، و بهذا نتميز عن بقية الأمم ولو كانت أمة مسلمة(عبد الناصر، ١٩٥٤: ٦٠)، إن الفكر القومي يتهم الفكر الإسلامي أنه يمزق الأمة بسبب وجود غير المسلمين فيها، ويرون أن رابطة اللغة والجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين، فهو والحالة هذه يعطي هذا الفكر رابطة القربى على حساب رابطة الدين، وإذا كان بعض كتاب القومية العربية يسكتون عن الدين فإن البعض الآخر يصر على إبعاده إبعادا تاما عن الروابط التي تقوم عليها الأمة(الشهابي، ١٩٩٨: ٢٧).

إن الفكر القومي يجعل من الدين عقبة ينبغي التخلص منها والتي ما كانت لولا الدين وذلك من أجل بناء مستقبل الأمة العربية، لذا فأهل هذا الفكر على إختلافهم في ترتيب مقومات هذا الفكر جعلوا من: اللغة والدم والتاريخ والأرض والآلام والآمال المشتركة هي المقومات الأساسية وبذلك أبعد الدين عن هذه المقومات لأنه يخلق من المشاكل لدى العرقيات الأخرى فتخرج عن سيطرة الدولة بالبلبلات التي تذهب بالإستقرار، وتجلب الخوف وربما الدمار، كما يدعو الفكر القومي إلى تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان، وهذا يعني أن لا مكان للدين الإسلامي على الساحة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية وأية جوانب أخرى تتعلق بالإنسان العربي، وبذلك يتبنى الفكر القومي شعار (الدين لله والوطن للجميع) والهدف من هذا الشعار إقصاء الإسلام عن أن يكون له وجود فعلي من ناحية، وجعل أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين من ناحية أخرى(رضوان، ١٩٨٣: ٧٨)، ويرى الفكر القومي إذا ما أريد بناء مستقبل للأمة العربية فلا يتم إلا بإزالة العقبات التي صنعتها الأديان والتقاليد الموروثة، فالقوميون يرون بالوحدة العربية حقيقة قريبة المنال، وأن الوحدة الإسلامية التي تبنى على الدين هي حلم بعيد المنال أو بالأحرى من المستحيل قيامها.

ويرى دعاة الفكر القومي أن زيادة نفوذ الإسلام السياسي على الساحة العربية من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق هو الذي جعل الأمة العربية مفتتة أكثر مما قام به الإستعمار، لأن التيارات الإسلامية والحالة هذه تعادي التوجهات القومية بالإضافة أنها ليست على حال واحدة فالصراعات فيما بينها واضحة جلية، فكيف لهذه التيارات التي تتخذ من الإسلام حجر الزاوية تستطيع على اختلافاتها في تفسير نصوص الإسلام أن تبني الوحدة العربية كمقدمة لبناء الوحدة الإسلامية، فإذا كان الأمر كذلك لا بد من تخطي عقبة الصراع وذلك بواسطة تحييد الدين عن الساحة(الحمد، ٢٠٠٥: ٣٧) .

ويرى القوميون أن الوحدة العربية هم الذين قاموا بتأسيسها ولكن الإسلاميين هم الذين قاموا بتحطيم فكرتها تنظيرا وتطبيقا، حيث سجل التيار الإسلامي حتى المعتدل منه اعتراضا باكرا على الفكرة بوصفها (الوحدة العربية) مستندة إلى القومية التي رأوها جاهلية وضد الإسلام الذي آخى بين أتباعه بغض النظر عن عرق أو لون، لكنهم على النقيض في مسألة الوحدة الإسلامية كانوا الأكثر ولعا بين الأطياف كافة للتنظير لأمة واحدة همها وقضاياها بل خليفتها واحد، غير أنه على المستوى التطبيقي سجلت الأحداث عبر عقود من الزمن أن وصول الإسلاميين إلى السلطة أو محاولتهم ذلك دفع إلى تقسيم أو انهيار بلدان عربية وإسلامية عدة (الأنصاري، ٢٠١٤: ٣٠/ ١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني:

النظرة الإسلامية للقومية

إن الإسلام لا يقف أمام أي شخص إذا انتسب إلى قومه أو وطنه أو أهله، بل إنه يشجع هذا المسلك إذا كان على أساس التواصل وصلة الرحم، وما انقسام الناس إلى شعوب وقبائل إلا حكمة ارتآها الله سبحانه وتعالى، فقد جاء بقوله عز وجل: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)(الحجرات، الآية: ١٣)، وأما حينما يصل التعصب بالإنسان إلى قومه على أن يقدم الشخص ولاءه ومحبته للآخر لأنه من قومه بينما يبتعد عن الآخر من غير قومه وإن كان صالحا تقيا فهذا لا يقره الإسلام، لأن الإسلام ينظر إلى التساوي بين الناس، وما معيار التفريق بين هذا وذاك إلا التقوى.

إن الإسلام يقف موقف الضد بتوافق القومية مع الإسلام وخصوصا عند الوقوف على الكثير من أقوال القوميين والتي منها على سبيل المثال لا الحصر: " إن النبي صلى الله عليه وسلم حاول أن يتحرر عن القومية العربية ويعلن نفسه لجميع البشر، ولكنه لم يستطع إذ غلبت عليه القومية العربية وصار يتعصب لها ويدافع عنها" (السقاف، ٢٠١٥: ٣٣).

من هنا فالإسلام والقومية بهذه الصورة وهذا المنطق لا يتفقان، لأن الإسلام مصدره الله سبحانه وأما القوميات فهي من عقول البشر القاصرة والتي لم تبلغ الكمال فالكمال لله وحده، فإن إعراض القومية عن الدين وعدم تحكمه والرجوع إليه والاستغناء عنه بشعارات جاهلية أمر لا يقره الإسلام ولا يسايره.

وللوفاء بمتطلبات هذا المطلب وتحقيقا لأهدافه فإننا سنتناوله في الفقرتين التاليين:

أولا: الإسلاميون والنهج القومي.

ثانيا: الإسلاميون واتهاماتهم للقومية.

أولا: الإسلاميون والنهج القومي:

منذ ظهور التيار الإسلامي الحركي في علاقة بتجربة الجماعة الإسلامية التي جاء بها (أبو الأعلى المودودي)، بدأت تتشكل النواة الأولى للحركة الإسلامية في العالم العربي، وذلك من خلال تجربة الإخوان المسلمين التي قادها (حسن البنا)، وقد تميزت هذه التجربة بعلاقة لها مع التيار النهوضي، وذلك لأنها حاولت نقل التجربة الفكرية التي أسس لها النهضويون إلى المجال السياسي من خلال تدشين نضال سياسي من أجل بناء الدولة الإسلامية الكبرى المنشودة.

إن الإسلاميين ينظرون للنهج القومي على أنه الخروج على أبسط قواعد الدين وهذا يعني أن هناك علاقة يشوبها التوجس والخيفة من الأهداف القومية وخصوصا النهج القومي الذي يحاول استعلاءه على الإسلام، وكلا التيارين في حالة من الخصومة وإن لم تكن معلنة في بعض الأحيان، لأن التيار الإسلامي يحاول الانتصار لفكرة الجامعة الإسلامية والتي طرحها التيار السلفي خلال مرحلة عصر النهضة وفي هذه الحالة يسبق الإسلام العروبة بدرجة، في حين يطرح التيار القومي التجربة لبلورة الدولة القومية وبهذا تسبق العروبة الإسلام بدرجة، وهذا ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يؤكده قول أحد الإسلاميين في المغرب: (ولاء العرب للقومية للغة التي نزل بها القرآن الكريم) (ياسين، ١٩٩٥: ٩).

إن العلاقة بين التيارات الإسلامية والقومية نابعة من النهج القومي الذي تعامل مع الإسلام من منظور إقصائي، وذلك عند إعتبار العروبة أساس الوحدة بين العرب مسلمين ومسيحيين، أما الإسلام يتجاوز العرب إلى الفرس الأتراك... وغيرهم، وهذا النهج الإقصائي يعني إرتماء الفكر القومي في أحضان العلمانية والتي تعني ما تعنيه(فصل الدين عن الدولة)، فالفكر القومي والحالة هذه يعمل على فك ارتباط العروبة بالإسلام، وهذا ليس موقفا فكريا مؤسسا، بل موقف سياسي تحكمت فيه النزعة الاستقلالية التي ترمي إلى تشكيل كيان عربي مستقل(بورغا، ٢٠٠١: ٤٩-٥٠)، وما يؤخذ على النهج القومي أنه يهدد الأمن الروحي والفكري والاجتماعي والسياسي للشعوب العربية الإسلامية، حينما حاول هذا النهج فصل الشعوب العربية عن جذورها الحضارية التي تمدها بالحياة، وكأن أوروبا العلمانية أصبحت النموذج الذي سعى إليه القوميون لاستنساخه في العالم العربي، لقد صيغت الهوية العربية على امتداد القرون الماضية من خلال التداخل والامتزاج بين العروبة والإسلام، لا من خلال إقصاء الإسلام عن الساحة، إن غياب الإسلام في النهج القومي عن الحراك الفكري والسياسي القومي هو الذي أفشل جميع المشاريع الفكرية والسياسية(أركون، ١٩٩٦: ٢٧٨).

إن النهج القومي وقع في خطأ جسيم ومزدوج وهذا يتضح من خلال: (جنداري، ٢٠١٢: ١١/٥).

١-علاقة الفكر القومي بالعلمانية، ومحاولة إستنساخها في العالم العربي، وبذلك لم يتجاوز الفكر القومي تلك الشحنة العدائية ضد المكون الديني باعتباره (أفيون) الشعوب من منظور ماركسي مذهبي، أو باعتباره ترسيخا لسلطة رجال الدين من منظور فرنسي، وهذه العلمانية التي جاءت من خلال رد الفعل الأوروبي ضد الدين بحيث تم تهميشه في الحياة المدنية، وهذا النموذج الذي تبناه (أتاتورك) وحاول الفكر القومي استنساخه كون الفكر القومي العربي في واحدة من أسباب ظهوره ردة الفعل على القومية الطورانية التي تبنتها حركة جماعة الاتحاد والترقي في تركيا.

٢-علاقة الثقافة العربية بالدين الإسلامي، والخطأ المنهجي القومي الذي وقع فيه القوميون محاولتهم تفكيك العلاقة المنسجمة التي شكلت لقرون الهوية العربية الإسلامية عند محاولتهم فصل ما هو عربي عن ما هو إسلامي، وكأن كل جماعة تستطيع أن تصيغ رؤيتها للعالم ونموذجها الفكري على مقاسها الخاص، حيث تدمج ما تريد وتقصي ما تريد.

إن المنهج القومي من منظور إسلامي والحالة هذه يعتبر تصورا منهجيا منحرفا حيث ترى بعض التيارات الإسلامية أن الزعامات الغربية استطاعت أن تهيمن على عقول زعماء التوجه القومي في داخل الشعوب العربية، وخضع أصحاب هذه العقول إلى الأفكار الغربية أكثر من قيامها بأعمال تخدم مطالب الشعب العربي، وبخاصة من موقفها من الدين الإسلامي الذي يشكل الإطار الحقيقي لحضارة المسلم وثقافته وعلومه، ولم يتغير هذا النهج المنحرف لدى أصحاب الفكر القومي بشكل عام بعد الانقلاب العسكري في مصر عام (١٩٥٢) وركوب القادة الجدد موجة الفكر القومي، حيث اتجهت الحكومة العسكرية في مصر صوب التوجه القومي،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقامت الحكومات العربية بالالتفاف حولها، وقيام الشعوب العربية بالمناداة بها ودعم التوجه القومي على اعتبار مصر يوم ذاك رائدة هذا التوجه والذي في مفهوم العامة ينزع إلى الاستقلال وينزع إلى تحرير الإرادة العربية، وأكثر ما جذب الجماهير والحكومات إعلان تأميم القناة في مصر والعدوان الثلاثي حيث نادت الشعوب بنصرة مصر، فأخذ يومها التوجه القومي بالامتداد(الخطيب، ٢٠١٥: ٢٤/ ١٠) وأكثر ما جمع العرب للالتفاف حول القيادة المصرية هو بروز مفكرين صوروا أن العدوان الثلاثي كان لضرب التوجه العروبي في مصر الذي مثله عبدالناصر(البطل، ٢٠١٦: ٢٧/ ١).

إن هيمنة الفكر الغربي على الفكر القومي العربي جرى لخداع الفكر القومي العربي، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد هيأ الفكر الغربي للفكر القومي بأن الخلافة العثمانية والحكم العثماني للشعوب الإسلامية والعربية كان غزوا واحتلالا، وألحقوا كل جوانب التخلف والجمود الذي حل بالوطن العربي إلى الحكم العثماني، وعدوا كل محاولات التمرد والعصيان والثورات والتي كان دافعها الأطماع الشخصية أو المدفوعة من القوى الخارجية المعادية للخلافة الإسلامية بأنها حركات استقلالية ذات طابع قومي وذلك مثل حركة (محمد علي الكبير في مصر)، وظاهر العمر في فلسطين، والمعنيين والشهابيين في لبنان وغيرها من أجل تأصيل الإتجاه القومي الذي طرحوه، بل زعموا أن (محمد علي) كان زعيما قوميا حاول توحيد العالم العربي وأنه فشل بسبب أنه لم يكن عربي الجنس، وتناسوا أن (محمد علي) هو أحد أسباب إضعاف الدولة العثمانية، كما أنه ضرب القوى الإسلامية في المنطقة، وهيأ المنطقة للاحتلال الغربي الحاقد(الخطيب، ٢٠١٥: ١٠/٢٤).

إن النهج القومي الذي قام بتصفية الرموز الإسلامية في البلاد العربية- وبهذا إشارة إلى محنة الإخوان المسلمين في مصر- نهج لا يعبر عن ضمير الأمة، ولا يريد للأمة لتكون قوية في مصاف الأمم الأخرى على هذا الكوكب، النهج القومي بتصفيته الرموز والوقوف موقف الضد من التيارات والحركات الإسلامية يطمح من وراء ذلك إلى إقامة الحكم الدكتاتوري حكم الفرد المدعوم بالسلاح الغربي الحديث، وقد شارك الكتاب وأهل الفكر القومي في المشرق العربي في الهجوم على العهد العثماني والتصفيق لحكم الدكتاتور في البلاد العربية، والذين عادوا الإسلام والتوجهات الإسلامية، وإعتبروا أنفسهم قادة ورعاة للقومية والقوميين، وحتى أن القوميين وجدوا أنفسهم تحت مظلة هذا الحكم ولا ينبس منهم بأي كلمة إلا التي يراها الحاكم ويأمر بتلفظها.

إن النهج القومي في عرف الإسلاميين أوهن من بيت العنكبوت، فالعراق دولة قومية بكل معاني القوميات، نادى حكامها بالقومية وحاولوا جاهدين بناء دولة القومية، إلا أن ما حدث في العراق ولعبته الولايات المتحدة من اللعب على إحياء الفتنة الطائفية والتي أدت ولا تزال إلى صدام مذهبي أعاد البلد إلى عشرات السنين إلى الوراء، وما زال العراق يعاني من هذه الفتنة نتساءل أين مقومات القومية التي تحمي كل ذلك وتقف في وجه الطائفية حتى لا تأخذ مكانها على الساحة، وتكون بمثابة السد المنيع من التدخل الخارجي، ليس في العراق هذا الذي حدث ولا يزال، بل بسوريا رائدا من رواد الدول العربية في الفكر القومي(البطل، ٢٠١٦ : ٢٧/ ١).

وأخيرا يمكن القول أن الطروحات القومية والنهج الذي سارت عليه نهج غير قابل للتطبيق الذي يؤدي إلى مصلحة الأمة وبناء وحدتها، وهذا له ما يبرره في سوريا والعراق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومصر التي نادت بالفكر القومي والقومية، ولكنها على نقيض فلا العراق قريب من سوريا ولا سوريا قريبة من العراق على الرغم من أن النظام في كلا البلدين ينادي بالقومية، وفي البلدين البعث هو السيد والتيار الذي يحكم، من هنا يمكننا القول أن القومية ما هي إلا حبر على ورق والفاظ يتلاعب بها أهل الفكر الذين لم يجدوا بضاعة إلا القومية، إن النهج القومي من المنظور الإسلامي تاه عن الطريق القويم وأكثر من ذلك عاد الفكر الإسلامي الذي بالإسلام حققت الوحدة الإسلامية وامتدت الدولة الإسلامية من طليطلة حتى الصين.

ثانيا: الإسلاميون والإتهامات للقومية:

يتهم الخطاب الديني الفكر القومي بأنه (بدعه غربية) في مسألة تحديد الهوية، زرعها الاستعمار في الوطن العربي لضرب الدين الإسلامي و دولتها التي كانت قائمة في الدولة العثمانية(الخلافة).

فيرى الخطاب الديني" أن أساس دعوة القومية العربية اليوم: هو إبعاد الدين الإسلامي عن معترك حياة العرب السياسية و الاجتماعية و التربوية و التشريعية، لأنهم يرون أن رابطة اللغة و الجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين لذلك عملوا منذ البداية على أن يكون طابع الدعوة هذه طابعا قوميا بعيدا كل البعد عن أي تأثير ديني كما هو شأن الحركات القومية في أوروبا والتي لم تكن حركة القومية العربية إلا صدى لها"(باشميل، ١٩٦٠: ٤١).

لو تفحصنا هذه(التهمة) الموجهة للتيار القومي سنجد أنها تتضمن شقين، الأول يعتقد أن التيار القومي يحاول استبدال(رابطة الدين) ب(رابطة اللغة والجنس)، و الثاني يعتقد أن(حركة القومية العربية صدى للحركات القومية في إوروبا)، إن قراءة الخطاب القومي تظهر أحقية بعض هذه الاتهامات و بطلان بعضها كما يأتي:

١. اتهام الفكر القومي بأنه يحاول إسقاط(رابطة الدين) عند العرب له ما يبرره، حيث ينكر الفكر القومي أن يكون للدين دورا في تكوين القوميات، فالحصري يؤكد بأن" لا وحدة الدين ولا وحدة الدولة، ولا وحدة الحياة الإقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية"(الحصري، ١٩٦٤: ١٢٦).

ويتحدث(ميشيل عفلق) بنفس المفهوم عندما يقول" العرب اليوم لا يريدون أن تكون قوميتهم دينية، لأن الدين له مجال آخر وليس هو الرابط للأمة، بل هو على العكس قد يفرق بين القوم الواحد، وقد يورث حتى ولو لم يكن هناك فروقا أساسية بين الأديان، نظرة متعصبة وغير واقعية" (عفلق، ١٩٥٧: ١٨١)، إن الفكر الديني يرى من يذهب إليه (ميشيل عفلق) غير صحيح ويتهم هذا المفكر ومن هو على شاكلته بالقصور الذهني والإنكار للحقيقة والواقع، فإذا ما نظرنا إلى حال الأمة العربية الإسلامية نجد أن الأمر خلاف ذلك، فالعرب والعجم انضموا تحت راية دولة واحدة ورضي كل منهم بما له من حقوق وواجبات لأن الإسلام لم يفرق بين أحد، وأن الكثير من الفتوحات الإسلامية تمت تحت قيادات غير عربية وعلى سبيل المثال لا الحصر ألم يكن صلاح الدين الكردي وهو مسلم وشافعي ولا أحد ينكر دوره في التاريخ العربي الإسلامي، إن القوميين على شاكلته أصحاب نظرة قاصرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن هذا الاتهام (يضعف) عندما نقرأ ما يقوله نفس المفكر عند دور الدين الإسلامي في تكوين القومية العربية، فهما يجعلان منه روحا لها، (فالحصري) يعتقد ب: "أن الحركة الإسلامية كانت واقعة تاريخية هامة أوجدت تحولا انقلابيا خطيرا في أحوال العرب، كما أنها أثرت في سير التاريخ العام أيضا تأثيرا قويا. إن تاريخ العرب دخل في طور جديد هام بظهور الإسلام" (الحصري، ١٩٦٥: ١٢٦)، وهنا نرى أن الإسلام لم يعد له تأثير فيما بعد بمعنى أن تأثيره وقتي ولمرحلة من مراحل تطور تاريخ العرب ألا وهي المرحلة الأولى، وانتهى تأثيرها فيما بعد، وهذا يعني حصر الدين في فئة تقوم بالواجبات الدينية وإبعاده عن معترك الحياة في كافة جوانبها، لذا فالفكر الديني يرفض ذلك ويرى أن تأثير الإسلام واضح وجلي في كل المراحل منذ ظهوره حتى يرث الله الأرض وما عليها.

ويذهب(عفلق) إلى أبعد من ذلك عندما يرى ب: "أن الإسلام بالنسبة إلى العرب ليس عقيدة أخروية فحسب، ولا هو أخلاق مجردة، بل هو أجلى مفصح عن شعورهم الكوني ونظرتهو إلى الحياة، وهو فوق ذلك كله أروع صورة للغتهم وآدابهم، وأضخم قطعة في تاريخهم القومي" (عفلق، ١٩٦٣: ١٧١)، إن مثل هذه الأقوال تريد ترسيخ مقولة (أترك) "ما لله لله وما لقيصر لقيصر" بمعنى حصر الإسلام في جانب من جوانب الحياة وعدم الاعتراف بأي دور له في الجوانب الأخرى، وهذا مرفوض رفضا قاطعا في الفكر الإسلامي، فالقوميون والحالة هذه متعصبون لفكرتهم تحاول بأي طريقة هدم الإسلام من خلال محاصرته.

ويذهب بعض القوميين إلى أبعد من هذا الحد في تصوير دور الإسلام في الحياة العربية، عندما يجعلون من مفردات العقيدة الإسلامية نظاما للحياة القومية، فمنهم من يدعو إلى: "بناء الاقتصاد العربي على القواعد الاقتصادية الإسلامية التي وضعها الإسلام، والتي ترتكز على ركيزتين هما حق العباد وحق الله، وحق العباد هو الحرية، حرية الفرد في المجالات الاقتصادية، إنتاجيا كان أم تجاريا، وهذه الحرية يجب أن تكون محدودة من ناحيتين، مصلحة الآخرين، ومصلحة الدولة، وعلى الفرد أن لا يلحق ضررا بغيره أو يدفع الضرر العام بالضرر الخاص، وأما حق الله فتعينة الشريعة الإسلامية في أحوال الناس" (عبد الناصر، ١٩٦٩: ١١٠)، إن هذا له دلالة واضحة قائمة على الاختزال بمعنى أنه لما كانت القومية لاتستطيع أن تحاكي كل جوانب الحياة، أخذوا من الدين ما يسد لهم هذه الفجوة وهذا يعني أن الفكر القومي فكر متأرجح بين هنا وهناك، بين المقومات التي تختزل الدين وبين مفردات الشرع الإسلامي، والحقيقة أن الفكر القومي متهم من قبل الإسلاميين أنه فكر ليس بقاصر فقط بل هو فكر قائم على النفاق مرة يبعد الإسلام ومرة يقترب منه بالمهادنة ومرة يسرق منه قواعده الوضاءة ليحسن به بعض جوانبه، بمعنى أنه فكر" مرقع" .

٢.اتهام الفكر القومي بأنه يستخدم (الجنس) كأساس لدعوته، لا وجود له في القومي، بل بالعكس من ذلك فإن الخطاب القومي يجتهد في إسقاط (رابطة الجنس) من بين روابط القومية، فهذا (الحصري) يؤكد بأن: "كل أمة من الأمم تتألف من أفراد منحدرين من أصول مختلفة، حتى أن أعرق وأقدم الأمم الحالية في (الوحدة السياسية والتجانس القومي) بعيدة عن التجانس في الأصل والدم بعدا كبيرا" (الحصري، ١٩٦٤: ١٣٢)، إن الناظر في هذا الاتهام يجد أن الفكر القومي يقوم على التفرقة بين هذا وذاك، فهو فكر يفرق لا يجمع، وهنا الطامة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكبرى فخرج الأكراد من مظلة الأمة العربية وخرج الأمازيغ منها لأنهم ليسوا بعرب وهذا الذي نشهده اليوم ما هو إلا نتاج الفكر القومي الذي قاد الأمة إلى صراعات داخلية ذاقت منها الشعوب الويل والدمار.

٣.اتهام الدعوة القومية بأنها دعوة غربية فهذا الدكتور (إلياس فرح) يوضح هذه الحقيقة بقوله: "لقد انتقل الوعي العربي للمسألة القومية من مرحلة الطفولة حيث العودة الانفعالية إلى التراث والعودة الآلية لتكرار الماضي، والوعي السلبي للآخر الذي هو الغرب المستعمر، أي من (المرحلة العاطفية اللاعقلانية) التي طبعت ولادة مرحلة النهضة العربية المعاصرة إلى مرحلة التقليد الآلي للغرب، وتبني مقولات الحضارة الغربية والفكر العربي كطريق للتطور والنهضة، وكان منهج الفكر في كلا المرحلتين شبيها بمنطق التطور البيولوجي، والسيكولوجي، الذي يطبع مرحلتي الطفولة الأولى والطفولة الثانية حيث تكون عمليتا(التمثل) و(التطابق) متراصتين لا تحكمها علاقة جدلية تجعل قانون التكيف والتلاؤم، قانون اكتشاف وإبداع في الوقت نفسه، إلى جانب كونه قانون بقاء وضرورة، لذلك لا بد من أن تأتي مرحلة جديدة أعلى تتجاوز مرحلتي(الرفض السلبي) الذي كان يكتفي بتجديد الهوية القومية تجديدا سلبيا (نحن لسنا كغيرنا)، ف(الاغتراب) الذي كان يكتفي يتقمص الغرب، وقد كانت المرحلة الجديدة (مرحلة الوعي بالذات) أي مرحلة(اكتشاف النظرية الثورية) على ضوء السياق التاريخي المعاصر للثورة العربية" (عفلق، ١٩٦٣: ٢٤٢).

ومفردات الخطاب القومي العربي، تظهر وبشكل واضح درجة ابتعاد هذا الخطاب من القومي الغربي عندما يقول(عفلق): "إن القومية التي تأتينا من أوروبا مع الكتب والمجلات تهددنا بخط مزدوج تنسينا شخصيتنا وتشوهها، ومن جهة أخرى تسلبنا واقعنا الحي وتعطينا بدلا منه ألفاظا فارغة ورموز مجردة"، فيما يظهر تحليل د. (إلياس فرح) للواقع القومي ابتعادا عن(السياق الغربي) للتحليل القومي عندما يقول: "إن التحليل التاريخي لواقع(العشيرة-الطبقة) و(الطائفة-الطبقة) و(الشعب-الطبقة) و(الأمة-الطبقة) يكشف عن أبعاد جديدة في المسألة القومية، والتاريخ العربي كالواقع العربي المعاصر يقدم مادة غزيرة" (الحصري، ١٩٦٤: ٤٥-٤٧).

ولكن هذه الحقيقة، حقيقة كون الخطاب القومي العربي لا يستمد مرجعتيه من الغرب، لا تسقط استخدام بعض القوميين للمنهج الغربي في تحليل معطيات الواقع العربي، فهذا د.(جورج طعمه) يستخدم المنهج الغربي وسياق القومية التاريخي فيه لإظهار عدم اجتياز القومية العربية لمرحلة: (الدولة-الأمة)، (البشري،١٩٨٢: ٢٨٦-٢٨٧).

ونجد كذلك بأن (عبد السلام الأدهمي) يستخدم ما كتبه (ستالين) عن الأمة لتحديد درجة استكمال العرب لدعائم تكوينهم القومي(عفلق،١٩٦٣: ٤٦)، ويمكننا من خلال كتابات وأقوال القوميين القول أن القوميين غير متفقين على فكر واحد يقوم عليه الفكر القومي ولا توجه واحد، فهذا يرى كذا وذاك يرى كذا، ولو أن الساحة خلت من الفكر الإسلامي وأية أفكار أخرى وتركت للفكر القومي فإن هذه القومية ستفرخ عدة قوميا وبالتالي تصبح الساحة ساحة صراع بين هذه القومية وتلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي اعتقادنا نرى بأن الفكر القومي والحالة هذه فكر لا يعبر عن أي حال من أحوال الأمة العربية، بل هو فكر مستورد غايته بث الصراعات بين أطياف الأمة الواحدة، ليبقى الغرب والخارجي هو سيد الموقف يتلاعب بالشعوب العربية كيف شاء، وحيث شاء، ومتى شاء في سبيل تحقيق غاية واحدة ألا وهي إبقاء الأمة ضعيفة ليسهل عليه سرقة ثرواتها ونهب أراضيها.

المبحث الثاني:

توجهات الأقليات بين القومية والدين

أخذ موضوع الأقليات يبرز بشكل ملفت للنظر في المنطقة العربية منذ أواسط القرن الماضي، وتعود غالبية الدراسات في هذا الموضوع إلى مصادر غربية أو بتمويل غربي واهتمام إسرائيلي كبير، ولا سيما بعد عدوان حزيران عام(١٩٦٧)، تباينت مجتمعات العالم العربي في عدم تقبل مفهوم الأقليات العرقية أو الدينية استنادا إلى منطلقين، الأول: العقيدة الإسلامية التي تعد جميع البشر أمة واحدة، حيث قال الله(سبحانه و تعالى): "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " صدق الله العظيم(الحجرات ١٣). على الرغم من وجود تعدديات عرقية و تكتلات على أساسها كثيرا ما كانت تؤدي إلى حروب و انقلابات ومذابح. وأما الثاني فهو القومية العربية استنادا إلى التركيز على التوجه الإنساني للفكر القومي العربي، مع الإشارة إلى أن هذا الفكر تماهى مع العرب المسيحيين الذين رأوا في الفكرة القومية طريقا للخروج من ظل النظام الملي للدولة العثمانية، و لهذا فقد اكتفى القوميون بتجنب التعامل مع الأقليات، كأنها غير موجودة .

و قد حاولت غالبية مجتمعات الأقطار العربية في المشرق و المغرب تجاوز مفهوم الأقليات الدينية أو المذهبية(في المشرق، لاسيما بلاد الشام و الرافدين) و العرقية(في البلدان المغاربية) منتقلة إلى تبني المواطنية والتي تعني الرابطة التي تجمع الأفراد و الجماعات بكيان الدولة من حيث الحقوق و الواجبات و المسؤوليات، الأمر الذي يجعل المواطن الفاعل الأساس في ممارسة السلطة عن طريق المؤسسات الشرعية من دون أن يلغي ذلك إنتماءاته القومية و عقائده الدينية و مشاعره الإنسانية و العالمية، لم يكن للأقليات أي مطلب فيما سبق عندما كان الإسلام هو السبب، والسبب في ذلك أن الإسلام نظر للجميع بمنظار واحد ألا وهو التمييز على أساس التقوى بين هذا وذاك، وبخصوص غير المسلمين فأعطاهم من الحقوق ما لم يجدها في الدول التي يحكمها أبناء ملتهم، ولما نادى أهل الفكر بالقومية كانت عندها محطة الفراق بين غير العربي والعربي، وأخذوا الجميع في مجابهة حروب، وثم القتل والتدمير في حين كان بالأمس عندما كان الجميع يحتكم للإسلام يعاونون بعضهم بعضا، ويرى كل واحد صورته في أخيه المسلم الذي يدعو إلى التعاون وقد صور الإسلام هذا التعاون بالبنيان المرصوص.

ولتحقيق هذا المبحث فإننا سنتناوله في مطلبين هما:

أولا: الأقليات في الوطن العربي.

ثانيا: الأقليات العربية بين فكرين القومي والإسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول:

الأقليات في الوطن العربي

إن الموقف القومي العربي من مشكلة الأقليات انطلق من شعارات رومانسية كثيرة منها" أرض العرب للعرب " حيث كان لقادة الفكر القومي العربي مواقف متشنجة تجاه مسألة الأقليات القومية و الأثنية و اللغوية على امتداد الوطن العربي، و مارست بعض الدول العربية سياسة تعريب خاطئة أدت إلى حرمان الأقليات من حقوقها الطبيعية في التحدث بلغتها و الحفاظ على تراثها الثقافي من جهة، و إلى افتعال معركة ثقافية ما زالت مستمرة حتى الآن بين العربية و اللغات الأوروبية الأخرى، خاصة الفرنسية في دول شمال إفريقيا العربية، ويمكن القول أن كل الأقطار العربية هي ذات قابلية للانشطار من الداخل بفعل عدم تجانس مكوناتها الأهلية وضعف أحزابها وطوائفها ومذاهبها وقومياتها وقبائلها، وما يعني أن مخاطر التفتيت والتقسيم هي مخاطر محلية وليست اسقاطا خارجيا، وسوف نتناول هذا المطلب تحت العنوانين التاليين:

أولا: الأقليات المغاربية.

ثانيا: الأقليات المشرقية.

أولا: الأقليات المغاربية:

لا بد لنا من التعرف على حجم هذه الأقليات العرقية أو الدينية في المغرب العربي، وأماكن تواجدها قبل الخوض في تفاصيل موقف الفكر القومي و الإسلامي تجاه هذه الأقليات وسنتناول أشهر هذه الأقليات التي تؤثر على صنع القرار في المغرب وكذلك قد تؤدي إلى إقلاق مضاجع النظام وهذه الأقلية هي البربر أو الأمازيغ حيث إننا لن نتوسع في التعريف بهذه الأقلية لأن دول شمال إفريقيا العربيةليست موضع الدراسة، لذا تعتبر القضية الأمازيغية إحدى أهم الآليات التي استعملتها فرنسا منذ فجر الثورة الجزائرية كتطبيق ميداني لسياسة المستعمر والمعروفة ب"فرق تسد"، حيث تعتبر الأقلية الأمازيغية أو البربر وهي تسمية-لأقلية واحدة- حيث يشكل البربر نسبة لا بأس بها من سكان المغرب العربي حيث يشكلون(٢٠%) من إجمالي سكان الجزائر أي حوالي (٤,٥) مليون نسمة، وحوالي نفس العدد من سكان المغرب و(١٥%) من إجمالي سكان تونس وليبيا أي حوالي (٢,٥) مليون نسمة من كلا البلدين، ولما كان البربر يشكلون النسبة الأكبر في الجزائر فقد حاولوا مرارا وتكرارا الاعتراف بلغتهم كلغة وطنية بجانب العربية، إلا أن هذه المطالب ذهبت أدراج الرياح من قبل الرؤساء الجزائريين المتعاقبين أمثال(أحمد بن بيلا) و(هواري بومدين) و(الشاذلي بن جديد)، وحاول الرئيس (بوتفليقة) الاستجابة لبعض مطالبهم ولكن هذه الاستجابة لم ترقى إلى طموحهم السياسي، وبدعم من فرنسا وتدخل من إسرائيل بتدريب وتسليح بعض العناصر الأمازيغية قاموا بعدة إنتفاضات بدأ من عام(١٩٨٠) وحتى عام(١٩٩٤) وأخيرا قرر الرئيس بوتفليقه الاعتراف بلغتهم كلغة وطنية بجانب العربية، وسمح لهم بتسجيل أسماء أبنائهم بالأسماء الأمازيغية على عكس المغرب العربي الذي لم يسمح لهم بذلك، وأصبح لهم نصيب واسع في المشاركة السياسية(المناصرة،١٩٩٩: ١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: الأقليات المشرقية:

تتعدد الأقليات في المشرق العربي وذلك لقرب دول هذا المشرق من دول أخرى ذات أعراق مختلفة عن العرب، ونورد فيما يلي أهم هذه الأقليات وأكبرها:

أ-الأكراد: وهم أكبر أقلية عرقية في العالم و رغم ذلك فهم لا يملكون دولة خاصة أو كيانا سياسيا موحدا يعترف به العالم كله، و توزع الأكراد بين دولتي سوريا و العراق في مناطقها الشمالية، بالإضافة إلى تواجدهم في مناطق من تركيا و إيران مع حلم تاريخي بإقامة دولة مستقلة على أراض مشتركة لهذه الدول الأربع، و يقدر عدد الأكراد في العالم بحوالي (٢٧) مليون نسمة منهم حوالي (٥) مليون في كل من سوريا و العراق، و سوف نأتي بتفصيل أكبر عن هذه الأقلية العرقية كونها الأكبر و الأكثر نفوذا في الوطن العربي لا حقا في هذه الدراسة.

ب-الشيعة:رغم تواجدهم الكبير في العراق و سيطرتهم على الأوضاع السياسية فيها الآن، إلا أنهم يتواجدون أيضا في دول أخرى من الوطن العربي، مثل:- السعودية: في المنطقة الشرقية و خاصة في محافظتي القطيف و الأحساء يشكل الشيعة فيها غالبية، و يتواجدون بأعداد قليلة في مناطق أخرى، مثل المدينة المنورة و نجران و عسير و جيزان، يمثل الشيعة(٤-٥%)من عدد سكان السعودية البالغ (١٦) مليون نسمة.

-البحرين: يمثلون نصف سكان البحرين إلا أنهم لا يحظون بالحقوق السياسية و الاجتماعية التي يملكها السنة.

-الأمارات العربية المتحدة: يمثل الشيعة حوالي (١٥%) من إجمالي السكان المسلمين.

-الكويت: يشكل الشيعة ما نسبته (٤٠%) من إجمالي السكان.

ج-الأرمن: و هم شعب ينتمي إلى العرق الأرمني، و جاء تواجدهم في الوطن العربي من خلال ضم مناطق شمال العراق، وسوريا، وفلسطين، ولبنان إلى دولة أرمينيا في الفترة بين القرن السابع قبل الميلاد و حتى القرن الأول الميلادي، و يعتنق الأرمن المسيحية، و يتواجدون في عدة دول عربية كأقليات قليلة، يبلغ عددهم في لبنان (١٥٦) ألف نسمة، و في سوريا(١٠٠) ألف نسمة، و في العراق(٢٠) ألف نسمة، و في مصر(٦٥٠٠) نسمة، و في الأردن (٥)ألاف نسمة، و في فلسطين(٣) ألاف نسمة، و في الأمارات ٢٠٠٠ نسمة.

د-اليزيديون:هي مجموعة دينية تتركز في مناطق بالعراق و سوريا، و ينتمون إلى أصل كردي له جذور هندية أوروبية، وقد تأثروا بمحيطهم الثقافي المكون من الثقافات العربية و الأشورية السريانية، و ديانتهم منشقة و منحرفة عن الإسلام، و هي خليط من عدة ديانات قديمة، مثل: الزردشتية، والمانوية، والمثرانية، و قد تعرض اليزيديون إلى حوالي (٧٢)حملة إبادة ما تسبب في خلق ثقافة الإنزواء في تفكيرهم، و يبلغ عددهم حول العالم من (٧٠٠) ألف إلى مليون شخص.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ه-العلويين: هي إحدى الطوائف الشيعية الجعفرية الإثني عشرية التي تتميز عن باقي الطوائف بإيمانهم بالدعوة الباطنية، والتي تعني سرية تعليم وممارسة العبادة، والتي تأتي من أجل حمايتهم من الأخطار السياسية المحيطة بهم.

لا يعترف العلويون بنظام المرجعيات الدينية، وكتبهم الفقهية قليلة نسبيا، وبسبب سرية هذه الطائفة فقد وجهت لها العديد من الاتهامات، فوصفها الشيعة بالغلو، وكفرها بعض السنة، ويتركز العلويون في الجبال الساحلية السورية ويقدر عددهم بحوالي (١٠%) من إجمالي السكان في سوريا، "وقد استطاعت هذه الطائفة الوصول إلى الحكم في سوريا عندما قام (حافظ الأسد) بما يسمى(بالحركة التصحيحية) في سوريا واستلم الحكم ومن بعده ابنه(بشار) الذي لا يزال يعمل بالشعب السوري تدميرا وتقتيلا مستعينا بكل قوى الشر بالعالم من شيعة إيران الفرس، إلى ميلشيات العراق الشيعية الحاقدة، إلى حزب الله في لبنان، وأخيرا الاستعانة بالروس الذين دخلوا على خط تدمير وتقتيل ما تبقى من الشعب السوري لحماية هذا الطاغية(بشار الأسد) ولضمان مصالحهم وقواعدهم في الشرق الأوسط.

و-الدروز: وهي طائفة دينية لها أتباع في كل من لبنان وسوريا وفلسطين والأردن، وتأتي كلمة الدروز نسبة إلى (نشتكين) الدرزي الذي انشق عن دعوة طائفة الموحدين في عصر الدولة الفاطمية في خلافة الحاكم بأمر الله، وقامت الطائفة الدرزية لاحقا بقتل نشتكين الدرزي باعتباره مرتدا عن الإسلام، ومن هنا فإن الدروز يسمون أنفسهم الموحدين الدروز وأنهم أتباع الحاكم بأمر الله الفاطمي، ويعتبرون أن السيد المسيح هو نبيهم وهو أساس كل الديانات.

يبلغ تعداد الدروز في سوريا حوالي(٧٠٠)ألف نسمة، وفي لبنان (٢٥٠)ألف نسمة، وفي فلسطين حوالي (١٣٠)ألف نسمة، وفي الأردن حوالي(٢٠) ألف نسمة(نشتكين الدرزي، موقع إلكتروني).

ز-الشركس: هم مجموعة شعوب تشمل سكان شمال القفقاس، مثل أديغة والشيشان وأفار ولزجين، وكنتيجة للحروب التوسعية للإمبراطورية الروسية، اضطر عدد كبير منهم للهرب إلى الدولة العثمانية وخصوصا أن غالبية الشركس يدينون بالدين الإسلامي، ويتواجد الشركس في العراق حيث يقدر عددهم بحوالي (٣٠)ألف نسمة، ويتواجد أعداد ضئيلة منهم في الأردن وسوريا.

ح-النوبيون:وهم أهل منطقة النوبة التي تمتد على ضفتي نهر النيل في المنطقة الواقعة بين أقصى شمال السودان وأقصى جنوب مصر، ويبلغ عددهم بين (٢-٥)ملايين نسمة تقريبا.

ط-الأباضية:تشكل هذه الفرقة حوالي (٨٠%)من سكان (عمان) وهم كبرى فرق الخوارج المعتدلة.

ي-التركمان والمسيحيون العرب وغير العرب: ينتشر أقلية تركمانية في شمال العراق وسوريا لا تتجاوز نسبة (٠,٥%) من السكان وكذلك توجد أقليات مسيحية عرب وغير عرب في البلاد العربية لا تتجاوز نسبتهم(١,٥%) من السكان، ويوجد أقليات إيرانية، وبلوشية، وهندية، وباكستانية، في معظم دول الخليج العربي، بحيث تصل نسبة هذه الأقليات أحيانا إلى(١٥%) من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عدد السكان، بالإضافة إلى الأقباط المسيحيين في مصر ويشكلون (٩%) من السكان يليهم النوبيون.

ويوجد في موريتانيا نسبة كبيرة من الأفارقة وسط السكان، ولا يزال الرق أحد الممارسات الاجتماعية التي تسبب مشاكل داخلية كبيرة، وتضر بعلاقات موريتانيا مع المجتمع الدولي.

أما الصومال: فيشكل العرب نسبة(١%) فقط من السكان، والصوماليون (٩٥%)، والأفارقة من (قبائل البانتو) (٢%)، أما الآسيويون (١%).

" ويرى الباحث من هذه اللوحة الفسيفسائية أن الاقليات العرقية والدينية موجودة داخل الوطن العربي مثل أي بلد أخر في الدنيا، ولكن بعض الحكام وخاصة في سوريا لعبوا على وتر الطائفية ليبقوا في كراسي الحكم، وقسموا شعبوهم إلا ملل ونحل وأعراق وأجناس رغم أن شعارات الثورة السورية في بداياتها كانت تنادي بوحدة الشعب العربي السوري، ورفعت شعار أن لا للطائفية ولا للعرقية ولا للتقسيم ولا للتفتيت، إلا أن مصالح الحكام في واد ومصالح الشعوب في واد أخر، في حين أن بلادا أخرى، مثل الولايات المتحدة نجد أن كل سكانها مهاجرين وينتمون إلى أعراق وأجناس وطوائف مختلفة، وأصبح أهل البلاد الأصليين وهم الهنود الحمر أقلية بسيطة جدا تكاد تنقرض، ولكن كل هذه الأجناس والأعراق انصهرت في بوتقة واحدة يحكمها القانون والدستور والإخلاص لأمريكيا وأخذ (الزنجي) الإفريقي حقوقه كاملة كما أخذها الأبيض (الأنجلو سكسوني) لأن الحكام في تلك البلاد لا ينوون البقاء في الحكم إلى الأبد ولا يستطيعون توريث الحكم لأن القانون لا يسمح بممارسة الرئاسة لأكثر من مرتين متتاليتين حتى لو كان القائد ملهما ومعجزة(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)، كما هو حال الحكام العرب، وها نحن نرى حاكما كان معجزة في زمانه وهو (علي عبدالله صالح) حكم اليمن (٣٣) عاما وانخلع بعد ثورة الشعب اليمني، ووقع على قرار عزله والمصالحة في اليمن، فنراه يعود من جديد ويتحالف مع الشيعه الحوثيين وبعيد احتلال وتدمير اليمن من جديد، ويزيد مصائب اليمن من فقر وجهل ومرض مصائب جديدة من قتل وقصف وتدمير، لأنه أي (الرئيس المخلوع) لا يستطيع أن يعيش كمواطن عادي، بل خلق حاكما ويجب أن يبقى حاكما حتى (يسلم الروح لخالقها) حتى تستفيد الأمة من عبقريته وحسن إدارته للبلاد والعباد (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)".

المطلب الثاني:

الأقليات العربية بين فكرين القومي والإسلامي:

لا يمكن لأي شعب من الشعوب أن يكون متجانسا عرقيا وفكريا لأن حركة الأمم والشعوب مستمرة على مدار الزمن، وقد وجدت الأقليات في منطقتنا كما أسلفنا في مغرب الوطن ومشرقه، وقد بقيت هذه الأقليات خامدة طيلة أربعة قرون من الحكم العثماني، لأن الإسلام كان يحكم الجميع بغض النظر عن أصولهم ومنابتهم، وبعد الحرب العالمية الأولى وسلخ منطقتنا عن الدولة العثمانية وبعد أن أخذت معاول الاستعمار تهدم بهذه البلاد تفتيتا وتمزيقا حتى تكون في أضعف حالاتها، وأخذت تشجع الأقليات على المطالبة بحقوقها المنقوصة حتى تصبح هذه الأقليات قنبلة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موقوتة داخل أجسام هذه الدول حتى يسهل عليها ابتلاعها واستغلال ثرواتها، وحتى تصبح تابعا مطيعا لهذه الدول الاستعمارية توجهها أين شاءت ومتى شاءت، حيث كانت هذه الأقليات خامدة لا تطالب بأي حقوق في العهود الإسلامية السابقة، لا بل واندمجت في المجتمعات العربية مصاهرة ودما وقربا، وظهر منهم الكثير من الكتاب والمفكرين الذين يمتدحون الإسلام والعروبة ويعتزون أنهم في ظل الإسلام، ولما برزت القومية العربية أخذت هذه الأقليات تتململ وتطالب بحقوقها على قدم المساواة مع العرب، وأصبحوا تربة خصبة للاستعمار واليهود ليزرعوا بينهم الفتنة وليسببوا المتاعب للأغلبية الساحقة من السكان العرب وسوف نرى لاحقا كيف أن الموساد الإسرائيلي قد تغلغل في منطقة كردستان العراق من سبعينات القرن الماضي ولا يزال. ولتحقيق الهدف من هذا المطلب سوف نبحثه تحت الفقرتين التاليتين:

أولا: الأقليات في الفكر القومي.

ثانيا: الأقليات في الفكر الإسلامي

أولا: الأقليات في الفكر القومي:

يقصد بموقف الخطاب القومي العربي من الأقليات موقفه فيما يتعلق بحقوق و واجبات الجماعات العرقية، أو اللغوية، أو الدينية المتميزة عن أغلبية الشعب العربي، و يمكن القول أن تحديد حقوق و واجبات هذه الجماعات مرده إلى نظرة الخطاب القومي العربي إلى وضع الأقليات بين أفراد الأمة العربية، فإذا نظر إليها على أنها جزء من الأمة العربية مساو تماما للأغلبية، فإن المتوقع أن ترى وجهة النظر هذه ضرورة تماثل حقوق وواجبات هذه الجماعات مع الأغلبية، و على النقيض من هذا اعتبرت هذه الجماعات مختلفة عن أغلبية أفراد الأمة العربية، وليست جزءا منها يتوقع أن تقل حقوقها عن نظيرتها للأغلبية، و قد تزيد واجباتها. و من ثم يمكن القول أن ثمة وجهتي نظر فيما يتعلق بالموقف القومي من الأقليات:

أولاهما: إيجابية، تعترف لهم بحقوق مساوية لحقوق الأغلبية، و الأخرى: سلبية، لا تعترف لهم بهذه الحقوق مع الاختلاف في الدرجة، و يلاحظ أن وجهة النظر الإيجابية غالبة لدى جميع تيارات الفكر القومي العربي، ويعد العالم العربي متجانسا بالأساس من منطلق الاشتراك إلى حد كبير في القيم الدينية و القومية، و تعتبر الجماعات غير المسلمة و غير العربية جدا ضئيلة، و ما زالت الأمة العربية و وحداتها السياسية تعاني من وجود جماعات أقلية تعزز هوياتها المتميزة واحدة من السمتين اللتين تحددان هوية الأغلبية أو كلتاهما أي العروبة و الإسلام. و يمكن تقسيم الجماعات الأقلية في المنطقة العربية إلى ثلاث مجموعات: العرب الذين لا يدينون بالإسلام السني و يكون الشيعة أساس هذه المجموعة، و تضم الشيعة الإثني عشرية في العراق و لبنان، و العلويين و الدروز في سوريا و لبنان، و الزيدية باليمن، الجماعات المسلمة غير العربية، و يعد كل من أكراد العراق و البربر في الجزائر و المغرب أبرز مثال عليها، الجماعات الأخرى غير العربية ولا المسلمة، و يعد الأفارقة الوثنيون و المسيحيون في جنوب السودان أكبر مثال على هذا النوع، (و لم يعد جنوب السودان دولة عربية بل قد انفصل عن البلد الأم السودان و كون دولة مستقلة)، كما يعتبر المسيحيون الأرمن في لبنان و سوريا ضمن هذه المجموعة(Hudson, 1977: 56-90)، وقد أكد (عبد الناصر) على وحدة المسيحيين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمسلمين حتى أنه ذكر "واتحدت المنطقة يوم واجهت استعمار أوروبا يستر مطامعه وراء قناع من المسيحية، وكان معنى الوحدة قاطعا في دلالته، حين اشتركت المسيحية في المشرق العربي في مقاومة الصليبيين جنبا إلى جنب مع جحافل الإسلام" (عبد الناصر،١٩٥٤)، وذكر أيضا: الطائفية في مصر ليس لها أي اعتبار، فكل فرد في المجتمع مواطن له حقوق وعليه واجبات، لا توزع الأعمال على أساس طائفي، وبالتالي أمكن القضاء على الطائفية قضاء تاما، وليس من المعقول استبعاد مصري قبطي تحت وطأة تفكير طائفي سخيف(حنفي، ١٩٨٠: ٢٣٨-٢٣٩)، بيد أن تناول الفكر العربي لموضوع الأقليات بصفة عامة، و إيضاح الموقف منها قد جاء على يد(ميشيل عفلق)، فقد نفى عفلق وجود أقليات مضطهدة لأن الأمة العربية كلها مضطهدة، و يرجع عفلق معارضة بعض الأقليات داخل الوطن العربي للقومية العربية، مثل المسيحيين اللبنانيين و الأكراد إلى الدعايات الاستعمارية المعادية للقومية العربية(عفلق، ١٩٦٣: ٩٥-٩٧)، ويقرر عفلق أن" لا أحد يمنع الأكراد لغتهم شريطة أن يكونوا خاضعين لقوانين الدولة، ولا يشكلون خطرا على الدولة، والطوائف المسيحية مثلا: لا يوجد من يمنعها من ممارسة شعائرها الدينية، ومن الثقافة المسيحية ضمن هذه الثقافة العربية العامة، مفهومها بعيد جدا عن مفهوم القومية النازية التي تؤمن بأن هناك عرقا منفصلا وله ميزات خاصة يجب أن يتطهر من كل شيء، وبالتالي أن يضطهد كل من لا تتوفر له الشروط من حيث النسب والعادات المعنية"، وقد ورد في دستور البعث العربي الصادر عام (١٩٤٧) أن " الروابط القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة واحدة، وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية " (عفلق، ١٩٤٣-١٩٤٩: ١٧٦).

وبالرغم من آراء المفكرين القوميين أعلاه، إلا أنه يمكننا تحليل الأبعاد السياسة العربية تجاه موضوع الأقليات، انطلاقا من فهم أبعاد المشكلات الكبرى المتعلقة بها ، **وأبرزها**: (عفلق، ١٩٦٣: ٥٧).

أ.سياسة الدولة العربية الحديثة تجاه الأقليات في داخلها ، نشأت الدولة العربية الحديثة عن طريق انضمام أو سلخ عدد من المقاطعات، أو الإمارات، أو المشيخات التي توحدت في دولة مركزية، بعد أن توفرت لها قيادات قديمة –جديدة كان عليها أن تتعاطى بشكل إيجابي مع خصوصيات مكوناتها الداخلية ، وخلال مسيرتها الطويلة والتي تجاوزت أكثر من نصف قرن واجهت الدولة العربية الحديثة مشكلات عدة منها مشكلة الأقليات، فكان عليها إظهار مقدرتها على تجاوز الموروث القديم مثل التشنجات الطائفية والعرقية.

وقد تمتعت بعض القيادات العربية بروح عالية من المسؤولية الوطنية والقومية مكنتها من تجاوز غالبية الحساسيات السابقة للزعماء المحليين، وصولا إلى بناء دولة حديثة منفتحة على العلوم العصرية، وتخطط لبناء مؤسسات قادرة على التكيف الإيجابي مع تحديات العولمة، وتعتبر تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة من أرقى التجارب الوحدوية العربية في التاريخ الحديث المعاصر، فقد رسخت دعائم الوحدة على أسس ثابتة لم تضطر معها إلى إعادة فرض التوحيد بالعنف أو الإكراه بعد ردة معاكسة على غرار ما حدث باليمن بعد توحيد شطريها الشمالي والجنوبي، كما نجحت السعودية ومصر وتونس والمغرب وسوريا والأردن وغيرها في تجاوز الكثير من سلبيات الموروث القبلي والطائفي، في حين أن دول أخرى كالسودان والعراق ولبنان ما زالت تعاني من الموروث السلبي للعهدين العثماني والأوروبي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن بناء الدولة الحديثة على أسس سليمة يتطلب تجاوز الانقسامات الطائفية والعرقية والقبلية الموروثة، والانتقال بها نحو المواطنة السليمة.

ب.اعتماد مبدأ المواطنة لحل مشكلة الأقليات، يؤكد المفهوم الخلدوني للعصبية القبلية على أن بناء الدولة يفترض وجود عصبية دينية أو قبلية، إلا أن العصبية القبلية لا تنسجم بأي حال من الأحوال مع طبيعة الدولة العصرية التي تعتمد في استمرارها وثباتها على تجاوز كل أشكال العصبيات السابقة على ولادة الدولة العصرية وبناء الدولة الجديدة على أساس المواطنة والمساواة التامة بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات(الشرق الأوسط، ٢٠٠٥: 5/7).

إن الدولة القطرية العربية عملت جاهدة على حل مشكلة الأقليات، إلا أن هذه المشكلة بقيت على حالها ولم تجد طريقا إلى الحل، وكل ما فعلته الدولة القطرية في توجهها القومي هو ترحيل المشكلة من سنة إلى أخرى ومن عقد زمني إلى آخر، وما قامت به ما هو إلا محاولات ترضية حتى لا ترد الأقليات إلى الخارج وتطلب العون والمساعدة على اعتبار حقوق المواطنة، أو طلب الحماية من الآخرين كون الدين عامل مشترك مع هذه الأقليات ودول كبرى لاعبة على الساحة الدولية.

ثانيا: الأقليات في الفكر الإسلامي:

العرب أقوام انطلقت من الجزيرة العربية بحدود الألف الرابع قبل الميلاد ليصلوا إلى العراق والشام ومصر والحبشة، ولا تنسب هذه الأقوام إلى أصول واحدة، ولم يتفق على تسمية واحدة لهم، ولم يتكلموا لغة واحدة، وعندما وصلوا إلى العراق وجدوا فيها السومريين الذين جاؤوا إليها من خارج الجزيرة العربية وأغلب الظن من أواسط آسيا، ومن وصل إلى مصر وجد قبله المصريين القدماء(الفراعنة).

لم يرد ذكر كلمة عرب حتى الألف الرابع قبل الميلاد في أي من المكتشفات الأثرية التي وجدت حتى الآن، إذ ورد ذكر لكلمة(عرب) في مسلة (شلمنصر الثالث) (٨٥٨-٨٥٤ ق.م) الذي ذكر أن ألف راكب بزعامة(جندبو) قد حاربوه إلى جانب ملك دمشق، لم يكن هناك أية دولة أو تجمع سياسي منظم للعرب إلى أن قامت دولة سبأ وحضرموت في اليمن بحدود هذا التاريخ، ودولة قتبان بحدود(٨٦٥ ق.م)، ودولة الحضر في العراق بحدود القرن الرابع قبل الميلاد، لم تكن اللغة العربية منتشرة خارج حدود الجزيرة العربية إلى عصر الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) وكانت بلهجات متعددة تختلف عن العربية الفصحى التي تمثلها لغة القرآن الكريم، والتي نزلت بلهجة عرب شمال الجزيرة العربية، حين كان سكان العراق والشام ومصر يتكلمون بلغات متعددة أبرزها(الآرامية) حتى الذين هاجروا إليها من اليمن مثل المناذرة والغساسنة اختلطت لهجاتهم العربية بالآرامية(الهاشمي، ١٩٧٨: ٦٤٠).

نرى بأنه لا يمكن إطلاق تسمية(أمة) على الأقوام التي سكنت هذه المنطقة، حيث إن هذه المجموعات لم تكن منتشرة في الأصل والتحدر، والقصد والاتجاه، ولم تكن تشترك في الانتماء، فهذه المجموعات لم تكن من أصول واحدة، حتى ولو كان معظمها قد هاجر إليها من الجزيرة العربية، ولم يكن يجمعها اتجاه واحد، فأديانهم متعددة وشرائعهم مختلفة، ومقاصدهم ليست واحدة، كذلك فإن هذه التجمعات لم تكن تشترك بالانتماء، فلا وجود لأية إشارة في مسلة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(حامورابي) مثلا يدعي فيها بأنه(عربي) ولم يرد إلينا في القرآن الكريم ولا في الكتب السماوية الأخرى أية إشارة تتكلم عن(عروبة إبراهيم عليه السلام)، رغم أنه جد الرسول العربي الكريم، وإن كانت العرب المستعربة تنسبه إلى ولده (إسماعيل عليه السلام)، فإن ذلك لا يعني أن إبراهيم كان عربيا، فالأب لا ينتمي إلى الابن، وعليه فإن من خلق(الأمة العربية) هي الرسالة المحمدية التي حملت العروبة إلى كل مكان وصلت إليه، لغة وأحكاما وعادات وتقاليد، فمع وصول القرآن الكريم إلى الأقوام التي سكنت المنطقة، وما حمله إليها من لغة، امتلكت الاستعداد الكامل لأن تعمل هذه المعجزة، بما تملكه من بلاغة وفصاحه وقدرة على البيان والإبداع، وما حمله كذلك من الخصال والشمائل العربية، من تمجيد للبطولة والشجاعة والتضحية في سبيل الحرية والكرامة، امتدت إليهم الروح والثقافة العربية لتنمي وتعزز عندهم مشاعر التقارب والتعاطف مع العرب يعد أن أصبحت اللغة العربية لغتهم في التخاطب والثقافة والعقيدة، بعد أن اعتبرت من دعائم الإسلام ومستلزماته، حيث لم يكن ممكنا قراءة القرآن وكتابته وفهم تفسيره وآداء الفرائض بغير العربية(القضاة، ١٩٨٩: ٢٥-٢٧).

وبهذا جعل القرآن الكريم من الأقوام التي سكنت المنطقة العربية(بالتحديد الحالي) أمة واحدة متوحدة في المنهج والانتماء والشعور، وشمل جميع الانتماءات القبلية والعشائرية ليجتازها من غبر إلغاء، بل ليصهر توجهاتها وارتباطاتها في صياغة جديدة تجمع أبناءها مشاعر أكبر وأقوى هي (الأمة العربية)، وسنتناول هذا العنوان تحت الفقرتين التاليتين:

أولا: الأمة والاسلام: لا بد لنا من معرفة مفهوم الأمة في القرآن الكريم حتى نعرف موقف هذا الدين العظيم من الأقليات ومن جميع البشر، ورد ذكر الأمة في القرآن الكريم (٦٤)مرة، وبمعان يمكن تصنيفها في سبع دلالات على الأقل، بعضها قليل الورود جدا، وبعضها كثير جدا، بمعنى أن هذه الدلالات لا تتساوى في أهميتها، وسنركز هنا على خمس من هذه الدلالات حيث تشير الاثنتان الأخريتان إلى معاني(الوقت) و(الإمام)، وهي خارج إطار دراستنا، وتكون دلالات(الأمة) في القرآن الكريم كما يأتي:

١.وردت كلمة أمة للدلالة على أية مجموعة من البشر أو الحيوان أو ما شاكل ذلك في أكثر من آية نذكر منها:

(ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون)(القصص:٢٣)، (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)(الأنعام:٣٨)، والتي فسرها بن كثير قول قتادة من أن(الطير أمة والإنس أمة والجن أمة)، أما الآية الأولى (فالجلالين) يفسر أنها بمعنى (جماعة من الناس)، وكذلك قوله تعالى في سورة الأعراف(وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما)(الاعراف:١٦).

٢.تعني كلمة أمة: الجماعة المتفقة على شريعة واحدة أو منهج واحد، والآيات التي ترد فيها كلمة أمة بهذا كثيرة، منها قوله تعالى(ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة)(المائدة:٤٨)، (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)(البقرة: ٢١٣) وفي تفسير إبن كثير لها ابن عباس(كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) ومن الآيات الكريمة التي يمكن إيرادها في هذا السياق: قوله تعالى في سورة الزخرف(إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آثارهم مقتدون)(الزخرف:٢٢)، وقوله تعالى في سورة الحج(ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا إسم الله على ما رزقهم)(الحج:٣٤).

٣.وردت (أمة) بعدد من المرات للدلالة على الجماعة المرتبطة في الزمان والمكان والفعل،ى كما في قوله تعالى(وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون)(الأعراف:١٦٤) والتي يفسرها ابن كثير في قوله تعالى(منهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)(الأعراف:١٦٨).

٤.تعني كلمة(أمة) جماعة جزئية من أهل شريعة معينة كما في الآية الكريمة التالية(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(آل عمران:١٠٤) وفي تفسيرها نقل ابن كثير قول الضحاك من أن (أمة) جاءت للإشارة إلى(خاصة الصحابة وخاصة الرواة والمجاهدين والعلماء)، وكذلك في سورة الأعراف من قوله تعالى(كلما دخلت أمة لعنت أختها)(الأعراف:٣٨).

٥.أخيرا فقد وردت كلمة(أمة) للإشارة إلى أتباع شريعة محمد(عليه الصلاة والسلام)، ففي الآية (١١٠ من سورة آل عمران) دلالة على هذا المعنى حيث يصف الله تعالى الأمة المحمدية بأنها خير الأمم، بقوله تعالى(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) وكذلك في قوله تعالى(وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)(الأعراف،١٨١) والتي يورد ابن كثير في تفسيرها قول قتادة: بلغني أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يقول إذا قرأ هذه الآية (هذه لكم وقد أعطي قوم بين أيديكم مثلها).

يتبين لنا مما سبق أن القرآن الكريم استخدم كلمة أمة للدلالة على معان ثلاثة تدخل ضمن اهتمام دراستنا وهي:

أ.(الأمة) بمعنى الأصل والتحدر .

ب.(الأمة) بمعنى القصد أو الاتجاه الذي تتوحد به المجموعة على عقيدة أو شريعة أو منهج واحد، بغض النظر عن الأصول .

ج.(الأمة) للدلالة على المجموعة المكونة بالانتماء، ويقصد بالانتماء إلى المجموعة: الاشتراك وإياهم في الزمان والمكان والفعل.

وبعد استعراضنا لمفهوم الأمة في القرآن الكريم، نجد أن الإسلام لا يرغم غير المسلمين على ما يخالف دينهم، فالإسلام ذو شعب أربع: عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وشريعة، فأما العقيدة والعبادة فلا يفرضها الإسلام على أحد، فقد نزلت بذلك آيتان صريحتان، الأولى: (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)(يونس:٩٩)، والثانية(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويكفر بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)(البقرة:٢٥٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاء عن الصحابة في أهل الذمة(أتركوهم وما يدينون)، ومنذ عهد الخلفاء الراشدين واليهود والنصارى يؤدون عباداتهم ويقيمون شعائرهم في حرية وأمان، كما هو منصوص عليه في العهود التي كتبت في عهد أبي بكر وعمر، مثل عهد الصلح بين الفاروق وأهل إيليا(القدس).

ومن شدة حساسية الإسلام، أنه لم يفرض الزكاة ولا الجهاد على غير المسلمين من الأقليات غير المسلمة، مثل النصارى واليهود والمجوس وغيرهم، لأن الزكاة والجهاد ذو صبغة دينية باعتبارهما من عبادات الإسلام الكبرى، مع أن الزكاة ضريبة مالية والجهاد خدمة عسكرية، بل كلفهم مقابل ذلك ضريبة أخرى على الرؤوس أعفي منها النساء والأطفال والفقراء والعاجزين، وهي ما سمي "بالجزية" (القرضاوي،١٩٩٦: ١٤).

فأما العلاقات الأسرية فيما يتعلق بالزواج والطلاق ونحو ذلك، فهم أي(الأقليات) مخيرون بين الاحتكام إلى دينهم أو الاحتكام إلى شرعنا، ولا يجبرون على شرع الإسلام، باعتبار هذه "الأحوال الشخصية" مما له علاقة مباشرة بالدين ومساس به، وقد أمرنا بتركهم وما يدينون(لا إكراه في الدين)(البقرة: ٢٥٦) فمن اختار منهم شريعة الإسلام في المواريث مثلا كما في بعض البلاد العربية فله ذلك، ومن لم يرد فهو وما يختار، وأما ما عدا ذلك من التشريعات المدنية والتجارية والإدارية ونحوها فشأنهم في ذلك كشأنهم في أية تشريعات أخرى، تقتبس من الشرق أو الغرب وترتضيها الأغلبية، وفي العقوبات قرر الفقهاء أن الحدود لا تقام عليهم إلا فيما يعتقدون تحريمه كالسرقة والزنا، لا فيما يعتقدون أنه حلال كشرب الخمر، ومن هنا كان لأهل الذمة محاكمهم الخاصة يحتكمون إليها إن شاؤوا وإلا لجؤوا إلى القضاء الإسلامي كما سجل ذلك التاريخ(القرضاوي، ١٩٩٦: ١٦).

وبهذا نرى أن الإسلام لم يجبرهم على ترك أمر يرونه في دينهم واجبا ولا على فعل أمر يرونه عندهم حراما، ولا على إعتناق أمر ديني لا يرون اعتقاده بمحض اختيارهم.

ثانيا: النظرة الإسلامية للأقليات:

إذا نادينا في بلادنا العربية بالقومية العربية طابعا للسياسة والحكم، فإن أكراد العراق والتركمان يقولون: "نحن أكراد نحن تركمان"، وفي الجزائر من يقول: نحن بربر لا عرب وهكذا في بقية أقطار الوطن العربي. والأرقام تشير أن الأقليات العرقية في الوطن العربي أكبر بكثير من الأقليات الدينية.

والإسلام بعيد عن التعصب الديني والحيف على الفئات الأخرى التي تعيش في ظل دولته حيث قال الله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين* إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) (الممتحنة: ٨-٩)، وقد نزلت هاتان الآيتان في شأن المشركين، أما أهل الكتاب فإن لهم منزلة خاصة في اعتبار الإسلام، وخصوصا من كان لهم عهد مع المسلمين، فإنهم مأمورون أن يوفوا بالعهد ولا ينقضوا الميثاق، قال الله تعالى: (وأفوا بالعهد، إن العهد كان مسؤولا)(الإسراء، ٣٤).

وقال أيضا: (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) (النحل:٩١)، وفي مجال الحديث عن الأقليات في الفكر الإسلامي فإنه يتبادر إلينا أمران

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هامان نادى بهما الإسلام، وحث على الأخذ بهما، ويجب على الدول أيا كانت في أي عصر كانت كونها دولة إسلامية أن تراعي في معاملة الأقليات الأخرى على أساسين هما:

١. أهل الذمة: هم اليهود والنصارى ومن يتبع أي ديانة أخرى غير الإسلام، ويعيش تحت الحكم الإسلامي في ظل الدولة الإسلامية، وسبب تسميتهم بذلك لأنهم تحت حماية الدولة الإسلامية، ويورد التاريخ مثالا على التزام الحكم الإسلامي بحماية أهل الذمة أنه عندما فاوض ابن تيمية المغول على فك الأسرى طالب بتسليم النصارى واليهود قبل المسلمين من الأسرى، وقد فرضت الجزية على النصارى واليهود بمبلغ من المال يدفعونه من أجل حمايتهم ولا يفرض عليهم الجهاد والقتال، وإذا أراد أحدهم القتال مع المسلمين أو تجند في جيوشهم تسقط عنهم الجزية، ولا تشمل هذه الجزية النساء والأطفال والفقراء والمساكين والأعمى والأعرج والمريض، وفي حالة عدم تحقيق الحماية لأهل الذمة كانت ترد لهم الجزية كما فعل الجيش المسلم في دمشق. وقد كان مصطلح أهل الذمة في عهد الرسول(صلى الله عليه وسلم) عندما كتب إلى أهل نجران، والذمة هي ذمة الله ورسوله وهي لضمان حرية وحقوق غير المسلمين(عيسى، ٢٠٠٣: 11/٢٠).
٢. المستأمنون: هم من كانوا لاجئين أو سياسيين أو دبلوماسيين أو سائحين. والأعراف الدولية والقوانين المحلية توجب على هؤلاء مراعاة الدين والعادات في البلاد التي يقيمون فيها، حيث إن الشريعة الإسلامية ترى أن زوار ديار الإسلام محكومون باحترام مشاعر أهل الإسلام، ويستثنى من ذلك عقائدهم وأطعمتهم، ويجب ألا يؤذوا مشاعر المسلمين من حيث اللباس والتصرفات أمام العموم، قال تعالى (ومن يهن الله فما له من مكرم) (الحج: ١٨)، فلا كرامة لهؤلاء إلا إذا التزموا بأمور ديننا وفي الإطار الإجتماعي العام الذي يضمنا ويضمهم، ومن هنا فإن معاملة المستأمن كالسائح مثلا يجب أن تكون معاملة إنسانية كريمة وأن نوفر لهم أسباب الراحة تماشيا مع مبادئ الإسلام السمحة، ومن يخالف هذه الأصول ويقوم بالتجسس مثلا على ديار الإسلام يعاقب بالتعزير الملائم لحجم الجريمة، وتسقط الحصانة عن المستأمن إذا تبين أنه يساند المشاغبين للخروج على السلطة، وأن حقوق المستأمنين حقوق متوازنة تقوم على مراعاة الحقوق والواجبات(عويس، ٢٠١٥: إطلاع1/١٧).

ومن هنا نبع الأساس الفكري لتسامح المسلمين، وأهم هذه الأسس:

-اعتقاد المسلم بكرامة الإنسان، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه، قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) (الأسراء: ٧٠).

-اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وقال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) (هود: ١١٨).

-إن المسلم ليس مكلفا أن يحاسب الكافرين على كفرهم: (وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون*الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) (الحج: ٦٨-٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب (فلذلك فادع، واستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من الكتاب، وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير) (الشورى:٥).

وإذا كان هذا موقف الإسلام الواضح في شريعته وفي تاريخه وهو البر والتسامح مع الأقليات، فما سر هذه الضجة حول الأقليات؟ والجواب أن هذا التوتر جاء من الخارج ومن الغرب الذي شن على المنطقة حملات صليبية بإسم المسيح رسول المحبة والسلام، والمسيح منها ومن أهلها براء (القرضاوي،١٩٩٦: ٥٤-٥٥).

الفصل الثالث:

أثر القومية على الدولة القطرية(العراق نموذجا)

لم يكن للفكر القومي قبل انتشار التيارات الفكرية الغربية الاستعمارية أثر ملموس في العالم العربي، وفي أوائل القرن السادس الميلادي أصبحت المنطقة العربية برمتها باستثناء بعض الأجزاء الصغيرة قياسا بالأجزاء الكبيرة التابعة للإمبراطورية العثمانية تحت السيطرة لهذه الدولة الناشئة في ذلك القرن، ولم يظهر بين العرب خلال فترة الحكم العثماني وحتى أوائل القرن العشرين أية تفرقة أو أي شعور يالفرقة تجاه الأتراك وذلك لاعتبار السلطان العثماني الحاكم الحقيقي للمسلمين، وارتياحهم لوحدة المناطق العربية والتركية لكونها تحت مظلة حاكم مسلم، ولم ينتهج العثمانيون سياسة التفرقة تجاه العرب فكان ولاة المناطق العربية من العرب يحملون لقب (نقيب).

إن الغرب لم يرق له ذلك فبدأ الاستعمار بنشر الفكر القومي وإثارة النزعات الانفصالية بداية في مصر، ثم قامت الصهيونية والإمبريالية وفق خطة محكمة بإثارة التعصبات القومية والعرقية بين الأتراك والعرب، وساهم إلى جانب هؤلاء المبشرون المسيحيون العرب والمثقفون المغتربون وبذلوا جهودا كبيرة لإثارة المشاعر القومية والعرقية بين الطرفين وانتشرت مصطلحات ذات أبعاد ليست لصالح العرب بين الناس، مثل:" يقظة الشعب العربي، و"اتحاد الوطن العربي" و"استقلال العرب" و"النهضة العربية" وغيرها، هذا وقد ركز الكتاب وأهل الفكر على القضايا العرقية والحضارية والسياسية بين العرب والأتراك، من أجل إظهار تفوق العنصر العربي على التركي والتأكيد المشدد على ضرورة انفصال العرب عن العثمانيين، وقد انعكست فكرة القومية العربية التي نادى بها أهل الفكر القومي في صيغة التأكيد على الوحدة العربية وبعبارة أخرى على القومية العربية، وصيغة ملازمة لها هو تأكيد وضرورة الانفصال عن الإمبراطورية العثمانية.

إن انتشار فكرة القومية العربية مهدت السبيل أمام الآخرين للدخول إلى المناطق العربية، والعمل على تجزئتها مستذكرين بذلك "سايكس بيكو" وتأسيس دولة إسرائيل التي طالما حلم بها اليهود في عهد الإمبراطورية العثمانية ولكنهم فشلوا في تحقيق ذلك. وبعد الانفصال العربي عن الأتراك ماذا حصل؟ وماذا حل بالعرب؟ لقد انفردت الدول الاستعمارية بالمنطقة العربية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأصبحت المنطقة العربية مجزأة إلى دويلات (أندلسوية) بعد أن كانت منطقة واحدة تحت مظلة الدولة العثمانية التي حمت الوطن العربي من الاستعمار قرابة أربعة قرون ونصف.

والآن ونحن نتحدث عن أثر القومية على الدولة القطرية العربية التي نالت الاستقلال المزيف بعد صراع طويل ومعاناة شديدة، لا بد من بيان أثر القومية على الدولة القطرية العربية وسنتناول نموذجا واحدا لبيان تلك الآثار، وذلك على دولة حملت لواء القومية ونادت بالقومية العربية ألا وهي "دولة العراق" وسنتناول ذلك من خلال مبحثين هما:

المبحث الأول: الدولة القومية العربية وعدم التوافق القومي.

المبحث الثاني: تثوير القوميات الإثنية وإنهيار النظام القومي(العراق نموذجا).

المبحث الأول:

الدولة القومية العربية وعدم التوافق القومي

أكثر المفاهيم غموضا والتباسا ما يظن الناس أنه من قبيل البديهيات، كالأمة والقومية، والشعب والوطن وما ينتمي إلى هذه الحقول، ولا سيما حينما تندرج في نسق أيديولوجي يجعل منها شيئا أقرب إلى ظن الإنسان أن هذه تقع في دائرة الثوابت القومية أو الثوابت الوطنية أو الثوابت الدينية أو أية ثوابت أخرى، ليس لها وظيفة سوى تأصيل النزعات وتحريك الأطماع وتسويغ الاستبداد وتثوير شهية الحكم وإمداد ذلك بمشروعية وهمية، فضلا عما يشوبها من التباسات معرفية وسياسية تنم عن ارتباك الخطاب السياسي العربي القومي وضبابيته أهمها التباس الوطنية بالقومية ونشأة ازدواجية الوطني والقومي، والتباس مفهوم القومية بالأحزاب القومية أو ما تسمى بالحركة القومية، فما أن نتذكر القومية اليوم حتى نستحضر حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي والأحزاب الناصرية وجبهة التحرير الوطني الجزائرية وغيرها.

إن لمفهوم القومية في الخطاب السياسي العربي بعدا إثنيا أو عرقيا نجده في اللغة والتاريخ وغيرها مما يسمى بمقومات القومية العربية، ويخرج الجماعات الإثنية واللغوية والثقافية من دائرة الأمة أي من دائرة مجتمع الدولة القومية، وبعدا دينيا ذهنيا يخرج غير المسلمين ومعهم أتباع مذاهب الأقليات المذهبية من دائرة الأمة ومن دائرة الدولة، إنني أكاد أن أزعم أن عرب اليوم يفتقرون إلى الحد الأدنى من التوافق الذي يولد الانسجام وفي كل مجالات الحياة وعلى اختلافها. إن أوضاع "الدولة العربية"القائمة اليوم تنتج مفاهيم مثيرة للجدل في مجال القومية والأمة والوطن والوطنية وتنطلق هذه المفاهيم من افتراض علاقة ضرورية منطقية تاريخية أي واقعية بين هذه المفاهيم المنتجة.

وتحقيقا لأغراض هذا المبحث فإننا سنتناوله في مطلبين رئيسين هما:

المطلب الأول: المشكلات الداخلية في ذاتية الدولة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: المشكلات الخارجية الضاغطة على الدولة.

المطلب الأول:

المشكلات الداخلية في ذات الدولة

إن الفكر القومي العربي انطلق في تحديد العوامل التي قامت عليها الأمة من المقايسة والمشابهة بين أمتنا العربية والأمة الألمانية، وأسقط الوضع الألماني على الوضع القائم في الأمة العربية، ولم ينطلق من التحليل العضوي الداخلي لأحوال أمتنا للتوصل إلى العوامل التي بنيت عليها القومية أو بني عليها الفكر القومي، وهذا ما نراه عند أشهر المفكرين القوميين (ساطع الحصري) على سبيل المثال. فقد حدد العوامل التي بنيت عليها القومية العربية باللغة والتاريخ والعرق، وهو عندما انطلق من هذه العوامل انطلق من المشابهة بين الأمة العربية والألمانية وقاس على وضع الأمة المجزأ على وضع الأمة الألمانية في القرن التاسع عشر، ووجد عراقة بين اللغة والتاريخ والعرق، ورسوخ هذه العوامل الثلاثة في تكوين الفكر القومي المنادي بالقومية، ونسي أن المشكلة الكبرى التي تواجه الأمة من المحيط إلى الخليج هي التجزئة.

وقياسا لما سبق فإن العراق يواجه مشكلة ألا وهي التجزئة فالوحدة القائمة في العراق بين شعب الدولة قائمة على أساس سياسة القوة وهذه السياسة لا تخدم الدولة العراقية، ففي حالة أي ضعف يكون مصير الوحدة التنازع ثم الانفصال، وكذلك الأعراق في الدولة العراقية مختلفة وبالتالي لا بد من التنازع فيما بينها وخصوصا إذا استطاعت أي عرقية الاستقواء على الدولة المركزية أو على الأعراق الأخرى، أضف إلى ذلك أن إستبعاد الدين الإسلامي في الفكر القومي العربي أدى إلى فقر هذا الفكر معنويا، ولم يحقق أهدافه بل جلب له المشكلات المعوقة، أضف إلى ذلك أن الفكر السياسي القومي العراقي كان فكرا نخبويا، فالبعثويون العراقيون الذين قادوا الانقلاب في العقد السادس من القرن الماضي كانوا بضع عشرات، وكذلك القوميون العرب.

ووفاء لمتطلبات هذا المطلب فإننا سنتناوله في الفقرتين التاليتين:

أولا: مشكلة الهوية الوطنية

ثانيا: مشكلة الشرعية وقصور التنمية.

أولا: مشكلة الهوية الوطنية:

تعتري الهوية الوطنية في الدول العربية بعامة والعراق خاصة عدة مشكلات تتمثل في الانتماء الوطني أو الهوية الوطنية للفئات السكانية، وكذلك مشكلة تحقيق الاندماج السياسي بين أفراد الشعب لكي تعبر عن هوية وطنية ذات بعد وطني تؤدي في نهاية الأمر إلى قوة للوطن الذي تعيش عليها الفئات المجتمعية، وسنتناول مشكلة الهوية الوطنية في فقرتين فرعيتين هما:

١.**مشكلة الانتماء الوطني:** إن الدولة القطرية العربية وهي تنادي بضرورة التوجه القومي في سعيها السياسي، كانت هويتها منذ نشأة هذه الدولة ممزقة بين عدة توجهات بين الإسلام والعروبة، وممزقة بين القطرية والعروبة(التوجه القومي)، وممزقة بين الولاء الوطني الجامع والولاءات الفرعية الطائفية أو الإثنية، وبالتالي فقدت بوصلة التوجه القومي بداية(زهرة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٠١٥: ١-٥)، وهذا يمكننا ملاحظته فعند ولادة الدولة القطرية، تنازعتها ثلاث هويات متنافسة، أو متناقضة وهي: الهوية الوطنية والهوية القومية والهوية الدينية، وكان من شأن كل اختيار ضمني أو صريح أن يحدث مشكلات داخلية أو إقليمية، فالدولة القطرية التي اختارت أن تؤكد أو تختلق هوية "وطنية" قطرية نهائية، مثل: (التونسية أو الجزائرية أو المصرية أو اللبنانية أو السودانية أو الكويتية)، اصطدمت أو صدمت مشاعر كثير من مواطنيها الذين يرنون إلى التواصل والالتحام في جامعة سياسية حضارية أوسع مثل " الأمة العربية" أو "الأمة الإسلامية" ثم اصطدم أو صدم بعضها فيما بعد بحقيقة ضيق قاعدة الموارد القطرية اللازمة لبناء الدولة الحديثة، وتنمية اقتصادها، والحفاظ على استقلالها(الأنصاري، ١٩٩٤: ١٧-٣٧).

إن مسألة الهوية تنطوي في الأساس على معان رمزية وروحية وحضارية جماعية، تعطي الفرد إحساسا بالانتماء إلى جسم أكبر، وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بهذا الجسم الأكبر.

ونقصد بذلك فعالية الدولة التي تحمل هذه الهوية وتروج لها في الدفاع عن أرضها ومجتمعها، وفي تنمية اقتصادها، وفي إشباع الحاجة الأساس لمواطنيها، وفي إقرار حد أدنى من العدالة التوزيعية بين أفرادها وفئاتها، ومع نهاية عقد السبعينات وبداية عقد الثمنينات، كانت مؤشرات العجز القطري الخاص، والهوية التي صاحبتها تتراكم واحدة بعد الأخرى، فإذا كانت الهوية القومية والمشروع العربي الذي صاحبها في الخمسينات والستينات قد تعثر، فإن المشروع القطري الخاص قد فشل، فأول مرة منذ نشأت الدولة القطرية العربية يتعرض بعضها لخطر الزوال، أو التفتت أو الضم أو الانفجار من الداخل في عقدي الثمنينات أو التسعينات، والاحتلال العسكري المباشر في بداية القرن الحادي والعشرين(احتلال العراق)، كما لم تتعرض من قبل، وتستوي في ذلك معظم الدول القطرية الغنية والدول القطرية الفقيرة،(وطفه،٢٠٠٢: ٩٦-١١٢).

ونرى أن مشاكل الدولة القطرية لا تحصى ولا تعد حتى وإن كانت غنية بمواردها فهي ضعيفة وحدها، ولا تستطيع أن تؤمن الأمن الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لمواطنيها، حيث إن بعض هذه الأقطار أو جلها يعاني من مشكلة الهوية والانتماء، وخاصة عندما تفتح الدولة الباب على مصراعيه لتجنيس من هب ودب.

٢.مشكلة تحقيق الاندماج السياسي:

رغم أن الأغلبية الساحقة لسكان الوطن العربي هم من العرب لغة وثقافة(٨٨%) إلا أنه توجد فيه تكوينات أقلوية من العرب غير المسلمين مثل (المسيحيين وأبناء الديانات الأخرى، أو من المسلمين غير العرب، مثل الأكراد والبربر)، أو من المسلمين العرب غير سنة مثل(الشيعة)، أو من مواطنين غير عرب وغير مسلمين، مثل: (قبائل جنوب السودان والأرمن)، ويعزى الوجود المستمر لهذه الجماعات مع اختلاف عوامل تباينها عن الأغلبية العربية المسلمة، إلى أسباب عدة: أهمها التسامح العربي المسلم، حين فتحوا وعربوا وأسلموا المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج، والتي نطلق عليها اليوم إسم "الوطن العربي" ومنها أن عددا من هذه الجماعات من سكان المنطقة الأصليين(أي قبل الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي)، كانوا يعيشون في مناطق نائية أو جبلية قللت من حجم التفاعل وحدته بينهم وبين العرب المسلمين(Ronald,`1979:286-287). إن الدولة القطرية العربية والمنادية بالتوجه القومي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عجزت عن تحقيق الاندماج السياسي والاجتماعي بالصورة التي ترضي الجميع وبالتالي أدى هذا إلى نتائج وخيمة عادت على الدولة القطرية العربية، ومن هذه النتائج(زهرة، ٢٠١٥: ٢٠-٢١) تعاظم دور القوى السياسية والعنيفة والارهابية، الخارجة عن سيطرة الدولة والتي تسعى بدورها إلى اضعاف الدولة الوطنية وحتى تدميرها، هذه القوى الناشئة عن عجز الدولة من تحقيق الاندماج السياسي الاجتماعي تسعى إلى تدمير أسس ومقومات الدولة والمجتمع، سواء عبر العمل السياسي أو عبر ما تمارسه من عنف وإرهاب أو السعي نحو الانفصال متخذة الحكم الذاتي السبيل الأول نحو تحقيق الانفصال وتشكيل الدولة، إن الخطورة مع هذه القوى كعامل لتدمير الدولة الوطنية ليست فقط من فكرها وممارساتها، وإنما أيضا من أن ولاءاتها في كثير من الحالات هي لقوى أجنبية، بعض هذه القوى على سبيل المثال لا الحصر تدين بالولاء المباشر لدول إقليمية كحال لبنان التي تسيطر عليها حزب الله إلى إيران والعراق اليوم إلى إيران بحكم النخبة الحاكمة، نخبة شيعية تلتقي والتوجه الإيراني المذهبي في هذا الخصوص، وإقليم كردستان العراقي إلى الولايات المتحدة ودولة الكيان الصهيوني القابع في فلسطين وإلى غير ذلك.

ولهذا تعتبر هذه القوى أدوات بيد القوى الأجنبية، وتنفذ أجندتها تستهدف كل عمل قومي يجمع العرب في بوتقة الوحدة العربية الهدف النهائي للقومية العربية، لذلك فهذه القوى تحظى بالدعم الكامل من هذه الجهات الأجنبية تمويلا وإعدادا وتدريبا وتسليحا ودعما سياسيا وغير ذلك.

ثانيا: مشكلة الشرعية وقصور التنمية: إن الدولة القطرية العربية تعاني من مشكلة الشرعية شرعية الدولة والسلطة، ومدى تحقيق توسيع دائرة المشاركة السياسية الشعبية في ذات الدولة، أضف أن هذا انعكس على قصور في التنمية الاقتصادية المستقلة مما أدى بدوره إلى ضعف في بنية الدولة فلم تعد بقادرة على الحفاظ على استقلالها السياسي، وفي هذا التوجه سنتناول ذلك في فقرتين فرعيتين هما:

أ.مشكلة شرعية الدولة: ليس المقصود هنا أزمة شرعية بالمعنى القانوني والدولي، فالدولة القطرية العربية معترف بها دوليا، لكن المقصود هو أزمة شرعية الدولة في علاقتها بالمجتمع، فجوهر الأزمة أن الدولة العربية عجزت عن أن تفرض نفسها باعتبارها موضوع الولاء الأكبر الجامع للفرد والمجتمع، عجزت أن تكرس مفهوم المواطنة الجامعة والولاء الوطني الجامع في مواجهة الولاءات والانتماءات الفرعية الأخرى داخل الدولة من طائفية ومذهبية وأيديولوجية غير دينية وما إلى ذلك من الولاءات والانتماءات التي تلازم الفرد والجماعة، ولهذا ما شهدته الدولة القطرية العربية المنادية بالقومية كتوجه اختطته في معترك الحياة السياسية، من تفجر وصعود الطائفية، ومن اهتزاز لمفهوم الولاء الوطني وفي أغلب الدول العربية لأنها تنادي بالقومية قولا ولا تسعى له فعلا(زهرة، ٢٠١٥، ٦-٧).

أضف إلى هذا الوجه من وجوه الشرعية وجه آخر ذلك هو بناء الدولة القطرية شرعيتها كدولة، إن إحدى المشاكل الرئيسة التي واجهت الدولة القطرية منذ ولادتها هي قواعد بناء شرعيتها كدولة، وقواعد بناء شرعية النظام الحاكم فيها، وشهدت الدولة القطرية العربية الحالية مولد مؤسسة الدولة أول مرة في القرن العشرين(العراق ولبنان وسوريا والسعودية) مثلا في الربع الأول منه، وفي الربع الثاني (بلدان الخليج والسودان والصومال وليبيا وموريتانيا)، أي أن رسوخ مؤسسة الدولة ومن ثم رسوخ شرعيتها التاريخية لمواطنيها هو أمر مهتز أو مشكوك فيه،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا سيما عند التكوينات الإثنية التي لم تندمج سياسيا في المجرى الرئيس للحياة العامة في هذه الأقطار العربية.

أما شرعية الأنظمة الحاكمة في هذه الدول القطرية فهو أمر آخر، هنا نجد تآكلا مضطردا لشرعية معظم الأنظمة الحاكمة، ولا سيما في العقود الثلاثة الأخيرة، فمصادر الشرعية المعتادة طبقا(لماكس فيبر) وغيره، هي: التقاليد، والعقلانية القانونية، أو القيادة الملهمة(الكاريزمية)، ويضاف إليها أحيانا الأيدولوجيا والإنجاز (إبراهيم،١٩٨٤: ٤٠٤).

وأعتقد: "أن رضا مواطنو الدول القطرية يتفاوت من قطر إلى آخر، وداخل القطر نفسه، فيكون رضا معظم المواطنين جيدا في الأقطار النفطية للبحبوحة النفطية التي أنعم الله بها على هذه البلاد، حيث تحصلت ثروة هائلة جدا وعدد السكان قليل جدا، فيوزع قسم منها على هؤلاء على شكل رواتب أو أعطيات أو هبات أو مكرمات من حكام هذه الأقطار، فنجد أن الرضا نسبي من قطر إلى آخر بعكس الأقطار غير النفطية، حيث إن الرضا وإسباغ الشرعية على أنظمة الحكم يأتي من أبواب أخرى، فالمستفيدون من مكرمات هذه الأنظمة راضون كل الرضا، أما الأغلبية الباقية فالسخط والتذمر هما عنوان لهم، وإن لم يستطيعوا إظهار ذلك علنا، لذلك فالشرعية التي يعتقد الحكام أنهم حصلوا عليها جاءت بتصوير المحيطين بالحكام بأن الأحوال ممتازة والناس في بحبوحة من العيش، ويدعون المولى عز وجل أن يحفظ الحكام من كل سوء ويهتفون لهم صباحا مساء، لأنهم أولياء نعمتهم ومن دونهم تستحيل الحياة، فلا ينبت الزرع ولا يدر الضرع إلا ببركتهم وسلطانهم، فيشعر الحكام بأن الله سبحانه وتعالى قد أرسلهم نعمة مقدسة لهؤلاء المواطنين الغلابى، ليأخذوا بيدهم لما فيه خيرهم وسعادتهم، ويسبغون على أنفسهم شرعية مقدسة(تاريخية دينية إنجازية قانونية...) وهم بالتالي قادة " ملهمين"، ولا يجود التاريخ بمثلهم إلا نادرا، وهم بالتالي نعمة أنعمها الله سبحانه وتعالى على هذه الشعوب الضعيفة، ويجب أن تخضع لهم هذه الشعوب إلى الأبد"(سلامة، ١٩٨٧: ١٤-١٨) .

إن الدارس للمشكلات الداخلية التي عانت منها الدولة القطرية في توجهها القومي يجد أن الدولة القومية ذاتها لا تقوى على بلوغ الأهداف القومية ويمكن أن نعزو ذلك إلى الأسباب التالية: (زهرة: ٢٠١٥: ٩-١٢).

١. إن بنية الدولة العربية بنية رخوة، بالمعنى الذي يتحدث عنه علماء الاجتماع السياسي، يعني أنها دولة ضعيفة وهشة، عاجزة عن الدفاع عن نفسها في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، وبهذا لا تستطيع أن تدافع عن مشروعها القومي وهي ساعية لتنفيذه من القوى التي لا تريد أن تبلغ هذه الدولة الأهداف القومية التي رسمتها لنفسها.
٢. إن الدولة القطرية العربية رهينة بيد القوى الطائفية أو القبلية أو حتى المذهبية هذه القوى ربما ترى بالانصهار في بوتقة القومية تذويبا لهويتها الطائفية أو القبلية أو المذهبية، وهذا لا تريده وتقاومه، فالدولة في لبنان رهينة بيد المذهبية الحزبية بيد(حزب الله)، وفي اليمن رهينة بيد القبائل وفي العراق رهينة بالقوى الطائفية، فكيف لمثل هذه الدول وفي مقدمتها العراق بلوغ الأهداف القومية التي تنادي بها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. إن الدولة القطرية العربية دولة محاصرة ومخترقة من الخارج، فأصبح من السهل على القوى الخارجية أن تنفذ أجندتها ومخططاتها ضدها وخصوصا وهي ترى قيام الوحدة العربية وهو الهدف الأخير الذي تسعى له القومية لتحقيقه بشكل جبهة تقف حائلا أمام الأطماع الأجنبية وتنفيذ مخططاتها.

وأما عن المشاركة السياسية في الدولة الحديثة تعني أن المجتمع المدني بتكويناته المختلفة قادر على التأثير في اتخاذ القرارات ذات العلاقة المباشرة أو الطويلة الأمد بحياته ومصيره، وتعني أيضا قدرة المواطنين على التعبير والتأثير العلني الحر في اتخاذ القرارات سواء بشكل مباشر، أو من خلال اختيار ممثلين لهم يفعلون ذلك(إبراهيم،١٩٩٣: ٢٩٤-٢٩٥).

وانطلاقا من التعريف أعلاه، يمكن القول أن معظم الدول القطرية في الوطن العربي أخفقت في توسيع قاعدة المشاركة السياسية الشعبية، وفتح قنواتها أمام التكوينات الاجتماعية، فالقائمون على مؤسسة الدولة القطرية في معظم الأقطار العربية، هم في الغالب نخب تجهل قوانين التاريخ والاجتماع، وتفتقر للممارسات الديمقراطية، وتعميها مصالحها الطبقية والقصيرة الأمد عن مصالحها ومصالح المجتمع الطويلة الأمد(إبراهيم، ١٩٩٣: ٢٩٥-٢٩٦).

إن غياب المشاركة السياسية يقوض دعائم شرعية النظام الحاكم، وشرعية وجود الدولة نفسها في نظر مواطنيها، وفي نظر الدول الأخرى، ومن ثم تصبح الدولة ورموزها السيادية مستباحة لتحديات جماعات القوة داخليا، ودول الجوار أو أي أطراف جانبية أخرى خارجيا (نويهض،١٩٩٢: ٢٠٣-٢٠٤).

ب.**المشكلة التنموية:** إن العجز في مجال تحقيق التنمية الاقتصادية في الدول القطرية العربية لا يقل عما هو الحال في المجالات الأخرى، وسوف نبين إسهام العامل الاقتصادي في أزمة الدولة القطرية:

أ.إن الدول العربية الميسورة ولا سيما النفطية رغم معدلات نموها الاقتصادي الملحوظ إلا أن هذا النمو قد صاحبه الكثير من هدر الموارد المالية، ـأو لم يؤدي إلى تنويع القاعدة الإنتاجية، أو إلى زيادة كفاءتها بشكل ملحوظ خلال العقود الثلاثة الأخيرة من االقرن العشرين.

ب.إن الدول العربية الأقل حظا في مواردها الطبيعية والمالية ورغم معدلات نموها المتواضعة، إلا أنه بدورها لم تحسن إدارة اقتصادها، ولا هي وسعت أو نوعت أو رفعت من كفاءة قاعدتها الإنتاجية بالدرجة المطلوبة، واضطرت معها إلى الاستدانة حتى بلغت ديونها في منتصف الثمانينات حوالي مئة مليار دولار (مارتو،١٩٨٧).

ج.إن الدول الميسورة والدول المعسرة على السواء قد زادت تبعيتها وتعرضها للضغوط الخارجية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، فعدم تنوع القاعدة الاقتصادية في"دول اليسر" واعتمادها على سلعة واحدة وهي النفط، جعلها معرضة لتقلبات السوق الدولية، أما دول العسر، فإن تبعيتها وتعرضها للضغوط بكل أشكالها، قد تجلت في الزيادة المستمرة لديونها الخارجية، ونتج عن ذلك خضوعها لشروط البنك الدولي والدول الدائنة(السماك،١٩٨٦: ٦١-٨١)، (العيسوي،١٩٨٩: ١٢-١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى الباحث: "أن المبالغ المستدانة من المصادر الدائنة لا تستغل لدعم الاقتصاد دعما فعليا، كتوسيع قاعدة الإنتاج، وإنشاء المشاريع الصناعية التي تدر على البلاد دخلا ممتازا من العملات الصعبة، ويزيد من دخلها القومي، بل استغلت هذه المبالغ في معظمها لدعم الموازنة والنفقات الرأسمالية والكمالية، ودعم المتنفذين حتى يغضوا النظر عما يدور في أروقة الدولة من فساد وإفساد وهم شركاء بهذا الفساد، فهم يعيشون كالطحالب فوق الماء، عيشة بذخ وترف، من تعليم لأبنائهم في الخارج، ومعالجة في الخارج، وسفر ومياومات، على حساب لقمة عيش المسحوقين من المواطنين الغلابى الذين لا حول لهم ولا قوة "إن هذا جعل من الدولة القطرية العربية غير قادرة على الاحتفاظ باستقلالها، ناهيك عن ذلك أنه إرتباط ولادة الدولة القطرية العربية الحديثة بمخططات القوى الخارجية في تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى، لا سيما بين فرنسا وإيطاليا، أو بتسويات ما بعد الحرب العالمية الثانية بين القوتين نفسهما فضلا عن الولايا ت المتحدة الأمريكية، وقد تعرض النظام الإقليمي العربي للاهتزاز بعد هزيمة (١٩٦٧)، ثم بدأ التصدع خلال السبعينات والثمانينات والتسعينات، وزادت الضغوط الخارجية ضد مجمل النظام الإقليمي العربي، وضد كل دولة قطرية على حدة، حتى تحكم تبعيتها لهذه القوة الخارجية أو تلك(مرسي،١٩٩٥: ١٠٩-١١٠).

وقد أسفرت هذه الضغوط إلى مخططات وممارسات فعلية تستند إلى استخدام القوة السافرة والتدخل العسكري المباشر ضد دول قطرية عربية، دون رد فعل عربي جماعي للرد عليها، كالعدوان الأمريكي البريطاني الأخير على العراق وإسقاط نظام الحكم فية واحتلاله وتدميره(السماك،١٩٨٦: ٨٥).

إذا أثبتت التجارب زهاء خمسين سنة من" الإستقلال" أن الدولة القطرية العربية عاجزة ليس فقط عن مجابهة تحديات ما بعد" الاستقلال"، بل أنها عاجزة حتى عن حماية هذا "الاستقلال الوطني" (الكيلاني،٢٠٠١: ٧٢٨-٧٣٠).

المطلب الثاني:

المشكلات الخارجية الضاغطة على ذات الدولة

كانت المنطقة العربية وما تزال محط أطماع الدول الأجنبية، ونخص بذلك أكثر ما نخص الأطماع الغربية بما فيها الصهيونية العالمية ممثلة بدولة الكيان الصهيوني في فلسطين، فالمنطقة تمثل في نظر المحللين والسياسيين الاستراتيجيين الغربيين قلب العالم، ومن يسيطر عليها يتحكم في العالم أجمع، وقد كان تظافر الجهود الغربية جميعا في تأسيس الكيان الصهيوني القابع اليوم في فلسطين تجسيدا لهذه الأطماع الاستعمارية الغربية الأوروبية والأمريكية والصهيونية على حد سواء في هذه المنطقة.

إن التوجهات القومية والتي في نهاية مطافها تحقيق الوحدة العربية كهدف سام لهذه التوجهات، تعني بكل وضوح بناء القوة والمنعة لدولة الوحدة، وهذه من شأنها الوقوف سدا منيعا في وجه كل الأطماع والمخططات التي تحاك للمنطقة من كل جهة أجنبية غربية كانت أم شرقية،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبعد أن تم تجزئة المنطقة العربية وجعلها قطعا مجزأة كانت كل قطعة وفق مخططاتهم دولة لا تستطيع بأي حال من الأحوال أن تفي بكل جوانب ما يتطلبه شعب تلك الدولة، بل هي عالة على غيرها، ولا تستطيع رد العاديات وحماية استقلالها، بل اتخذت من إحدى الدول الغربية أو الشرقية حليفا لها، وأصبحت أداة من أدوات السياسة الخارجية لتلك الدولة.

إن الدولة القومية العربية الأكثر مناداة بالعمل القومي لتحقيق الوحدة العربية هي العراق، فباتت هذه الدولة محط العمل الخارجي والهدف الأساس للنيل من هذه الدولة، وإفشال كل عمل على طريق تحقيق أهداف القومية العربية، ساعد في ذلك بعضا من فئات الشعب العراقي لكون القومية من وجهة نظر هذه الفئة ما هي إلا أيديولوجيا اقصائية تعمل على تذويب تلك الفئات في جسم عرقي غير عرقها(جنسها).

وللوفاء لمتطلبات المطلب فإننا سنتناوله في فقرتين رئيستين هما:

أولا: التدخلات الإقليمية لإضعاف الرابطة القومية.

ثانيا: التدخلات الدولية لإضعاف الرابطة القومية.

أولا: التدخلات الإقليمية لإضعاف الرابطة القومية:

لن نذهب بعيدا في تناول التدخلات الإقليمية لإضعاف الرابطة القومية العربية في دولة العراق الدولة التي نادت بالقومية العربية كتوجه سياسي يحكم السياسة العامة للدولة العراقية، فإننا والحالة هذه سنتناول فقط دولتين جارتين إقليميتين بالنسبة للنظام الإقليمي العربي بشكل عام، وللعراق على وجه الخصوص، والعراق أكثر الدول العربية متضررة من هذا الجوار، ولتحقيق أهداف الموضوع فإننا سنتناولها في فقرتين فرعيتين هما:

١. **إيران وتقويض الرابطة القومية العربية**: لا شك بأن إيران تقع في الجهة الشرقية لدولة العراق، وكما أن العراق تطمع في إقامة صرح القومية العربية فإن إيران هي كذلك تطمع في إقامة صرح قومية فارسية، ومما لا شك فيه أن كلا القوميتين في تنافس بينهما، فالعراق يطمح لبناء صرح القومية التي تهدف إلى الوحدة العربية يعني بناء القوة العربية التي تستطيع من خلالها الوقوف أمام الأطماع الإيرانية في الأرض العربية، وخصوصا ونحن نعلم بأن إيران تحتل مساحات واسعة من المنطقة العربية وهي منطقة "عربستان"، لذا فإيران ستقف وقفة قوية أمام تحقيق هذا الحلم العربي الذي تقوده الدولة العراقية.

إن الهجمة الفارسية الشرسة على العراق جاءت خلافا لما يتم تداوله في الأوساط الإعلامية والسياسية من أحاديث وتحليلات تربط النفوذ والتدخل الإيراني في الشأن العراقي بالغزو الأمريكي واحتلاله عام (٢٠٠٣م)، بل أن العين الإيرانية على العراق تمتد إلى حقب زمنية بعيدة وقبل أن يلج موضوع التدخل الإيراني في أحداث عام(٢٠٠٣) ومن خلال بوابة التدخل الأمريكي واحتلاله لهذا القطر االعربي(العزاوي، ٢٠١٣: ٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن من أبرز العلامات الفارقة في العلاقات العراقية الإيرانية هي الحرب الإيرانية(١٩٨٠-١٩٨٨)، وقد اندلعت الحرب بعد عام ونيف من تولي الحكم في بلاد فارس (آية الله الخميني) في شباط عام(١٩٧٩)، والذي عاش في العراق منفيا من نظام الشاة قبل أن يقرر العراق إبعاده إلى فرنسا على خلفية اتفاق الجزائر عام(١٩٧٥) بين العراق وشاه إيران حول ترسيم الحدود بين البلدين، ومع مجيء الخميني أخذ الحكم الإيراني صورة جديدة مخالفة عن الحكم السابق، ويتمثل الحكم الجديد بصورة عقائدية خالصة حيث بني الحكم على أساس نظرية الفقيه، وتم إعداد دستور وفق هذه النظرية، والذي ينص على أن المرشد الأعلى للثورة أعلى سلطة قانونية في إيران وله السيادة الدينية والسياسية في البلاد، وقد استندت السياسة الخارجية الإيرانية وفق تصور الحكم ذاك على أساس تصدير الثورة الإيرانية إقليميا ودوليا، ودعم كافة الحركات والتيارات الإسلامية التي تؤمن بولاية الفقيه بشكل مباشر والمنظمات والحركات المتطرفة والثورية الإسلامية الأخرى بشكل غير مباشر(الزبيدي، ٢٠١٣: ٨/٢٥).

إن الأطماع الإيرانية في العراق يتحدث عنها وزير الخارجية الإيرانية(قطب زاده) حيث قال: إن العراق جزء من إيران تاريخيا، وأن البحرين محافظة إيرانية(القرشي، ٢٠١٢: ٨/٢٣).

ولقتل المشروع القومي العربي نجد إيران تتحرك في هذا الاتجاه فهذا أول رئيس لجمهورية إيران في عهد الخميني" أبو الحسن بني صدر" يقول:" إن إيران تحرص على إقامة حزام شيعي يضم العراق وسوريا ولبنان، ويرى أنه بعد سيطرة إيران على هذه البلدان يعني أنها رسمت لنفسها خطا شيعيا عندها ستستخدم النفط للسيطرة على العالم الإسلامي(عبود، ٢٠١٥: 3/٢٥).

إن ما ذهبت إليه إيران في هذا التوجه التوسعي يتمثل بالإحساس بالتفوق العسكري على الجوار العربي وخصوصا بعد انهيار القوة العراقية عام(٢٠٠٣) والذهاب بحكم الرجل الذي وقف ندا قويا في مواجهة التطلعات الإيرانية التوسعية حكم الرئيس صدام حسين، وكذلك الشعور بالكراهية العربية تجاه إيران وخصوصا بعد مجيء الخميني وتبني أهداف للسياسة الخارجية الإيرانية قائمة على تصدير الثورة لدول الجوار، والفروق الثقافية الأمر الذي أدى إلى وجود نزعة توسع واحتلال، إضافة إلى الانعزال الذي أخذت إيران تعانيه عن المحيط والجوار العربي(مجموعة باحثين، ٢٠١٣: ٢٥-٣٠).

إن الأسباب الآنفة الذكر دفعت إيران للقفز فوقها فأخذت تتحين الفرص لتقوم بذلك، فلم تجد إيران فرصة أثمن وأوفر حظا في نجاح مخططها هذا مما حدث عام(٢٠٠٣) فقد دفعت إيران بكل قوتها لتثبيت أركان العملية السياسية في العراق، بعد أن أطاحت الولايات المتحدة بالحكم الثوري القومي الذي كان يعتلي سدة صنع القرار فيه الرئيس(صدام حسين)، حيث لم تتردد الحكومة الإيرانية في طهران من مباركتها لأول شكل حكومي بعد الغزو الأمريكي والمتمثل بمجلس الحكم الانتقالي الذي شكله الأمريكان بزعامة الحاكم العسكري الأمريكي للعراق(بول بريمر) منتصف تموز عام(٢٠٠٣)، كما حرصت الحكومة الإيرانية على دعم الحكومات المتلاحقة بعد الاحتلال، ولم يتردد الرئيس الإيراني من زيارة بغداد في آذار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عام(٢٠٠٨)، ولقاء المسؤولين الحكوميين في بغداد تحت حماية القوات الأمريكية بهدف دعم الأحزاب الحاكمة والمدعومة من إيران، لقد كان الحديث عن تدخل إيران في العراق خلال السنوات الأولى من الاحتلال الأمريكي خجولا إلى حد كبير، ولكنه سرعان ما أصبح واقع الحال، لدرجة أن الوصف المتداول حاليا يذهب إلى أنها هيمنة إيرانية على كل مفاصل الدولة العراقية حتى أن الرئيس أو رئيس الوزراء لا يمكن توليه المسؤولية إلا بعد المباركة الإيرانية.

والسؤال المطروح ما الأهداف الإيرانية والمتعلقة بإضعاف الرابطة القومية العربية لدولة العراق، وتتمثل بما يلي:

١. الحيلولة دون قيام وحدة عربية وخصوصا بعد أن تأكدت إيران أن السياسة العراقية مليئة بالتوجهات القومية العربية، فهذا البعث الحاكم هناك ينادي بالقومية العربية كشعار مطروح، وهدف أساسي ولا توجد دولة عربية تنادي بالقومية العربية أكثر من دولة العراق يوم ذاك.
٢. إفشال التوجهات القومية يصب في مصلحة إيران كونها تحتل منطقة عربية واسعة وفي حالة نجاح الخط القومي يعني ما على إيران أن ترحل من هذا الجزء كون الخط القومي يشكل قوة من خلال الوحدة التي هي الهدف النهائي لهذا الخط.
٣. إخراج جزء كبير من المنطقة العربية من مظلة القومية العربية ذات جوار جغرافي للعراق ألا وهي سوريا ولبنان، وهذا النجاح الذي حصل في استدراج هذين القطرين العربيين من خلال المساعدات من جهة ومن خلال العقيدة المذهبية من جهة أخرى، لإيقاعهما في الفخ الإيراني، وبالتالي تصنع إيران من أنظمة الحكم في هذين البلدين أعداء للقومية العربية بسبب وقوعهما تحت مظلة الهيمنة الإيرانية.
٤. إفشال المخططات القومية العراقية من خلال مد العون والمساعدة للأكراد في إقليم كردستان؛ لتبقى دائرة الطرح قائمة بين الفئات الكردية والحكومة المركزية في بغداد، وهذا يؤدي إلى شغل تفكير النخبة الحاكمة في العراق إلى الذهاب بالتفكير في البحث عن طريقة للوصول إلى نقطة تفاهم مع الأكراد، وهذا من شأنه أن يشغل النخبة الحاكمة المنادية بالقومية إلى التوقف عن التحرك السياسي القومي، حتى يتم وضع الصراع الكردي مع الحكومة المركزية في دائرة اللاصراع.
٥. تثوير الفئات المذهبية داخل الدولة العراقية بين موالي للحكومة المركزية(السنة)، ومعادي لهذه الحكومة(الشيعة)، وهذا من شأنه تصديع الجبهة الداخلية، فلا يعود التفكير بالحركة نحو تحقيق الأهداف القومية بقدر التفكير بإخماد الفتن الداخلية التي تغذيها إيران كسبيل لإيقاف المد القومي العربي.
٦. التمشي مع سياسة الولايات المتحدة التي قامت باحتلال العراق، وتقديم خدمات احتلالية لهذه الدولة وذلك بتقديم رسالة إيرانية للأمريكان على اعتبار التوجه القومي العراقي توجه ضد مصالح الولايات المتحدة كما هو ضد مصالح إيران، لأن التوجه القومي ينادي بالوحدة العربية، والوحدة العربية يعني قوة سوف يكون لها تأثير على المصالح الأمريكية في الخليج العربي بخاصة والشرق الأوسط بعامة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧. إن إيران أدركت بحكم البعد الأيديولوجي الذي يسيطر على النخبة الحاكمة الإيرانية قبل وبعد الاحتلال العراقي ذاك هو أن التجاور بين قوميتين لا بد من أن يدفع إلى المنافسة ولما كانت القومية الإيرانية قائمة على مجموعة من التناقضات قياسا إلى قلتها في القومية العربية، اتخذت القومية الإيرانية من القومية العربية عدوها اللدود، وبالتالي لا تنفك من وضع المخططات التآمرية حينا والتدخلات في الشأن العربي بعامة والشأن العراقي دولة الجوار المنادية بالقومية حينا آخر.

إن ما سبق من الأهداف الإيرانية يجعل من المنطقة العربية منطقة مستهدفة للدولة الإيرانية، وخاصة بعد أن تكشفت عن أهدافها المتمثلة بتصدير الثورة لبلدان الجوار وغيرها، إن إيران دولة جارة كان عليها أن تكون دولة فاعلة في الدائرة الإسلامية والتي تمثل القاسم المشترك بين الإيرانيين والعرب، والاختلاف على أي شيء بين العرب وإيران عندها الدائرة الإسلامية كفيلة بحل الإشكال، وبهذا تكون قد مدت يدها إلى المحيط العربي، لكن مشروعها يمنعها من ذلك ما دامت لديها الرغبة في التوسع وإعادة مجدها الفارسي القديم .

إن الطموحات الإيرانية في اعتقادنا أكبر من قدراتها، وهذا سيسبب لها أزمة سياسية في المستقبل القريب، فيصعب عليها أن تكون دولة عظمى وتحقق هذه الأهداف، وذلك بسبب قدراتها المحدودة، وفي إمكانها فقط أن تكون دولة فاعلة على مستوى المنطقة إذا أحسنت النوايا هذا من جهة، وإذا ما عادت عن سياستها وأطماعها التوسعية ومدت يدها إلى دول الجوار بقصد التعاون وبناء سياسة قائمة على حسن النوايا .

٢.**تركيا وتقويض الرابطة القومية العربية**: مما يجدر له الإشارة أن المنطقة العربية بخاصة المشرقية منها كانت يوما من الأيام تابعة للإمبراطورية العثمانية، وفي مطلع القرن الماضي هبت رياح القومية على المنطقة والتي صاحبتها أطماع استعمارية كبيرة في جسم الإمبراطورية العثمانية، فجاءت بالذي يقوم بالدور الذي يمكن الاستعمار من بعض أجزاء هذه الإمبراطورية ويحمل في ثناياه فكرة المبادئ القومية، وما نادى العرب بضرورة الانفصال عن الإمبراطورية، تحت شعار القومية العربية كان صدى هذا الشعار في عقلية الأتراك قد أخذ دوره فنادوا بالقومية التركية والمعروفة بالأوساط السياسية" بالقومية الطورانية" نسبة إلى جبل طوران الواقع على الحدود التركية-الإيرانية- والتي يعتبر الأتراك ذلك أصل موطنهم الأصلي الذي خرجوا منه إلى البلاد التي شغلتها الدولة التركية بعد تقويض أركان الخلافة الإسلامية انفصال الولايات العربية عن تركيا(الهزايمة، ١٩٩٤: ٤٥).

إن الدولة التركية في ظل الحكم العلماني التركي بخاصة كانت سياستها تجاه العراق تتحدد بأبعاد ثلاثة وهي:

أ-أطماع تتعلق بالموصل وكركوك: حيث أولى المشاكل التي واجهتها الدولة العراقية تتعلق بولاية الموصل التي طالبت تركيا بضمها إليها على أنها جزء لا يتجزأ منها، استنادا إلى ما جاء في المادة الأولى من الميثاق الوطني التركي المعلن والذي نص على أن الموصل جزء من تراث الدولة التركية، لذا فإن السياسة التركية قد تركزت باتجاه المطالبة وباستمرار فرض سيطرتها على محافظة الموصل العراقية بحجة أنها داخلة ضمن حدود تركيا الوطنية، إضافة إلى أنها تشكل امتدادا لهضبة الأناضول التركية، فضلا عن وجود أعداد سكانية تركية فيها(بلادي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للإعلام، ٢٠١٦: 2/٢٣)، ولا يغيب عن البال أنه عندما تحل في العراق أزمة ما تشغل النخبة السياسية فيها نجد الأطماع التركية في الأراضي العراقية تتحرك لدى الساسة في تركيا، فهذا وزير الدولة التركي"كاميران أفيان" يقول: (عندما تتقاطع المصالح التركية فإن تركيا ستتخذ التدابير اللازمة على الأراضي العراقية فبإمكان تركيا كما فعلت في قبرص أن تفعله في كركوك والموصل)(البنداوي، ٢٠١٦: ٣/ ٣)، فبعد أن تناقلت وكالات الأنباء العالمية أخبارا عن احتمال القوات الإيرانية بهجوم وشيك على البصرة، قامت الصحافة التركية بحملة إعلامية واسعة تدعو إلى التدخل التركي في محافظتي كركوك والموصل، الأمر الذي ذهب إليه رئيس حزب العمل القومي التركي(علي كوج) إلى القول: "إن منطقتي كركوك والموصل تقعان ضمن حدود الميثاق القومي التركي، وتوجد لتركيا مصالح اقتصادية كبيرة هناك ويجب أخذ المنطقتين كما فعلت بريطانيا في الحصول على جزر الفوكلاند"(البنداوي، ٢٠١٦ :3/٣).

إن هذا يعني اقتطاع جزء من أرض الدولة القومية العربية، وتصبح هذه المنطقة المراد اقتطاعها قضية عربية أخرى تضاف إلى أجندة السياسة العربية بعد قضيتي فلسطين العربية وقضية لواء الإسكندرونة، وبالتالي سيكون الشغل الشاغل للنخبة السياسية العراقية قضية محافظتي كركوك والموصل، وهذا يؤدي إلى إعاقة للعمل القومي العراقي الذي تطمح إليه الدولة العراقية.

ب-اللعب بورقة المياه: إن ملف المياه بين تركيا وجارتيها العراق وسوريا لا يزال مفتوحا منذ منتصف القرن المنصرم، فالمفاوضات حول مياه نهر الفرات قد بدأت باجتماعات ثنائية بين سوريا والعراق عام(١٩٥٢)، أعقبها اجتماع بين تركيا والعراق عام(١٩٦٤)، ثم إجتماع ثلاثي بين سوريا والعراق وتركيا عام (١٩٦٥)، وتوالت الاجتماعات وأصبحت فيما بعد إجتماعات دورية دون الوصول إلى حل مناسب يرضي الأطراف، وأخذت تتأزم مسألة المياه يوما بعد يوم، وخلاصة هذا التأزم تتمثل في مشروع جنوب شرق الأناضول الذي أقامته تركيا على منابع ومجاري نهر دجلة والفرات في هضبة الأناضول وأنشأت تركيا(٢١) سدا، وعددا من محطات توليد الطاقة الكهربائية، وكانت حجة تركيا في ذلك قائمة على مبدأ السيادة المطلقة لدول المنبع على مجاريها المائية، ونزع صفة الدولية عن الأنهار المشتركة(البنداوي، ٢٠١٦: 3/٣) .

إن العمل التركي القائم على اللعب بورقة المياه يؤدي إلى مخاطر سياسية تلحق بالعراق وتتمثل هذه المخاطر بما يلي:

أ-حرمان العراق من كميات كبيرة من المياه الأمر الذي يؤثر على المردود الاقتصادي الزراعي العراقي سلبيا وبشكل كبير وهذا يؤدي إلى ارتفاع قيمة فاتورة الاستهلاك الغذائي من السلع المستوردة.

ب ب-ربط تدفق المياه بالمشكلات السياسية في منطقة الحوض، وبالتالي تتمكن تركيا من خلال هذا الربط التحكم بالتوجه السياسي العراقي، ولا تسمح إلا وفق ما يناسبها ولا يتعارض مع سياستها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج ج-التقرب التركي من الجماعة الأوروبية والولايات المتحدة ودولة الكيان الصهيوني في فلسطين أوجب على تركيا فرض سياسات على العراق وفق ما يتماشى مع الجماعة والولايات المتحدة ودولة الكيان الصهيوني من خلال استخدام ورقة المياه. (الهزايمة، ٢٠٠٧: ١٠٣-١٠٤).

وإزاء هذه السياسات التركية في ظل الحكم العلماني، واحتجاجات عربية على هذه السياسات أخذت تبرر ما تقوم به من خلال التصريحات أن المشاريع التركية لن تؤثر على احتياجات كل من العراق وسوريا.

دد-إقليم كردستان: إن إقليم كردستان العراق يشكل قضية مقلقة لتركيا كما هي للعراق، وهذا نابع من التخوف التركي من قيام دولة كردية على حدودها، وبالتالي فإن حزب العمال الكردستاني كثيرا ما سبب لتركيا المصاعب، ولكن هذا الإقليم له أهمية خاصة في السياسة التركية، وأما المخاطر فإن تركيا تحاول تجنبها واستغلال فرص إيجابية يمكن أن تستغلها لصالحها وأهمية الإقليم لتركيا تنبع مما يلي:

١)ارتباط الإقليم بخط حدودي مع تركيا طوله(٧٠٠)كيلو متر، والإقليم يتميز بطبيعة جبلية وعرة يصعب على تركيا مطاردة مقاتلي حزب العمال الكردستاني وبالتالي يسهل على مقاتلي الحزب إيقاع أضرار بالجيش التركي عند وقوع أي اشتباك لكون الجيش التركي يكون بالعراء مقابل وجود مقاتلي الحزب في أراضي جبلية يمكن الاختفاء بين الجبال بسهولة.

٢)إن تجربة الحكم الذاتي في كردستان العراق شكلت هاجسا مخيفا لدى تركيا، خشية قيام مثل هذا الحكم في الأراضي التركية حيث تسكن الأغلبية الكردية فيها.

٣)يعتبر الإقليم مدخلا إلى العراق، وبالتالي فالعلاقات مع هذا القطر التي لا تستطيع تركيا إغفال أهميتها، ستكون وفق مشيئة سكان الإقليم وهذا لا ترضى به تركيا.

وهذا أدى بالسياسة التركية إلى استخدام آليات من شأنها التقارب مع الإقليم على حساب السلطة العراقية وتمثلت هذه الآليات بما يلي:

أ-الزيارات المتبادلة بين مسؤولين أتراك وأكراد.

ب-فتح قنصلية تركية في أربيل العراق.

ج-زيادة حجم التبادل التجاري بين الإقليم وتركيا حيث بلغت في نهاية عام(٢٠١٣) ما يقارب(١١)مليار دولار أمريكي، وأن مجمل التجارة الخارجية بين تركيا والعراق هي مع إقليم كردستان حيث وصلت إلى ما يقارب(٧٠%).

د-التعاون في مجال الطاقة بمعنى إقامة خطوط أنابيب لنقل النفط والغاز من الإقليم إلى تركيا ثم تصديره للأسواق الدولية.

إن التقارب التركي مع الإقليم أدى إلى ما يلي:

١- كلما زاد التقارب زادت العلاقات العراقية ممثلة بالحكومة المركزية توترا، لكون تركيا تتعامل مع الإقليم كدولة دون الرجوع إلى بغداد حيث الحكومة المركزية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- إن التقارب التركي مع الإقليم أدى إلى إعطاء شحنة من الثقة لحكام الإقليم تدفعهم للانفصال عن العراق وهذا ما لا يرضاه الساسة في بغداد.
٣- قيام الشركات التركية بالاستثمار في كل القطاعات وخاصة قطاع النفط بالإقليم، دون الرجوع إلى الحكومة المركزية.

إن السياسة التركية تجاه العراق أدت إلى التأثير على التوجهات القومية العراقية ويتمثل ذلك بما يلي:

١. إثارة المشاكل أمام الدولة المركزية لتعيق التقدم في مشروعها القومي، وهذه المشاكل تتمثل باللعب بالأوراق الجغرافية من حيث المناطق الجغرافية، والادعاء بأنها صاحبة السيادة عليها وبدعاو كثيرة، واللعب بورقة المياه، وهذه المشاكل تجعل السياسة الخارجية العراقية الارتداد للداخل لمعالجة آثار المشاكل المثارة، وهذا يجعلها غير قادرة على القيام بخطوة للأمام من أجل تنفيذ أهداف الدولة القومية.
٢. الوقوف أمام المشروع القومي، وذلك بإضعاف أكثر وأكبر للدول المنادية بهذا المشروع وإسقاطه لكون تركيا ترى بالعراق هي تلك الدولة، والعراق يوما ما كانت ضمن ولايات الإمبراطورية العثمانية، وبالتالي لا بد من إسقاط المشروع القومي العربي حتى لا ينافس المشروع القومي التركي الذي تطمع تركيا بامتداده(إدريس، ٢٠١٥: ٧).
٣. التحالفات التركية مع الغرب ودولة الكيان الصهيوني في فلسطين تشكل ورقة ضغط على الحكومة العراقية بحيث تحول بين العراق والتقدم ولو خطوة واحدة في اتجاه تحقيق الأهداف القومية، لكون هذه الخطوة تشكل مخاوف من خطوات أخرى لاحقة، قد تلحق ضررا بالغرب والكيان الصهيوني الطامع في إقامة دولة من الفرات إلى النيل، والخوف من وحدة عربية تؤدي إلى نهايته في المشرق العربي، وبالتالي تقوم تركيا من خلال هذه التحالفات إلى الضغط على العراق وعدم السماح له بالقيام بأي خطوة قد تهدد أطراف التحالف.

تعد تركيا جارة للإقليم العربي، كما هي جارة ذات حدود لصيقة للعراق، كان بإمكانها أن تكون فاعلة إيجابية في الأحداث التي مرت بها الدولة العراقية، ولا تنظر للإرث القديم الذي قد يعصف أحيانا في عقلية النخبة السياسية، إن العراق يوما من الأيام كان أحد ولاياتها، لأن الزمن القديم قد مضى وأصبحت الأحوال السياسية اليوم تتحكم بها ظروف وعوامل كثيرة تتعارض المصالح وتتقاطع، ولما كانت تركيا تتمتع بديانة إسلامية والسواد الأعظم من سكانها ينتمون إلى المذهب السني كبقية الدول العربية، كان المتوقع أن تكون سياستها ليست ببعيدة عن السياسات العربية وعلى اختلاف مع السياسة الإيرانية ذات التوجهات المذهبية، إن تركيا العلمانية حاربت القومية العربية ونظرت إليها نظرة ملؤها العداوة كونها تشكل في نهاية المطاف فيما لو حققت أهدافها دولة عربية موحدة قد لا يكون للنفوذ التركي داخلا أي تأثير، ولا بد عندها أن تتعامل معها على قدم المساواة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: التدخلات الدولية لإضعاف الرابطة القومية:

لا شك أن هناك عدة جهات تعادي التوجهات القومية تقع خارج إطار الدولة القطرية العربية كالعراق المنادي بهذه التوجهات، وهذه الجهات منها ما له علاقة سابقة بالأقطار العربية وعلى وجه الخصوص العراق، وهذه الجهات تتمثل بدولتين أوروبيتين استعماريتين هما بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص، فلهما باع طويل في العلاقات مع الدول العربية المشرقية، وتركت بصمات لا تمحى من البصمات الاستعمارية التي تعد حجر عثرة في طريق التوجه القومي وبناء الدولة القومية العربية الكبرى، وهناك جهات جاءت من وراء المحيطات بعد النصف الثاني من القرن الماضي ألا وهي الولايات المتحدة التي أخذت على عاتقها مسؤولية الاستعمار بعد زوال الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية، وكذلك أخذت على عاتقها رعاية الكيان الصهيوني في فلسطين الذي زرعته بريطانيا ليكون حاجزا بين الشرق والغرب العربي، فرعته بكل ما أوتيت من قوة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وفي كل المنتديات والمؤتمرات الدولية، لذا فالأطماع الأمريكية في المنطقة العربية والأحلام الصهيونية المتمثلة بأهداف دولة الكيان الصهيوني في فلسطين عارضت كل توجه قومي مهما كان صغيرا لأنهم يعتقدون أن نجاح نواة أي توجه قومي يعني بدء المسير نحو توجه قومي أكبر وهكذا.

وفي هذا الخصوص سنقوم بتحقيق أهدافه من خلال الفقرتين الرئيسيتين التاليتين:

أولا: الموقف الأوروبي من التوجهات القومية.

ثانيا: الموقف الأمريكي الصهيوني من التوجهات القومية.

أولا: الموقف الأوروبي من التوجهات القومية العربية:

إن الهدف الرئيس من التوجهات القومية العربية هو بناء دولة الوحدة العربية، فهي والحالة هذه الطريق الوحيد السالك نحو بناء دولة الوحدة العربية، ولما كانت هذه الوحدة تؤدي إلى القوة والمنعة للأمة العربية بل وتصبح قوة تهدد بها الدول التي تحاول الاعتداء على أي منطقة من الوطن العربي، فإن الدول الأوروبية وقفت وقفة ضد قيام هذه الوحدة والتي لا بد أن تكون جهودها موجهة نحو إفشال التوجهات القومية العربية، وبهذا الصدد فإننا سنتناول الموقف الأوروبي من خلال موقف دولتين لهما الباع الطويل على المسرح السياسي في منطقة المشرق العربي وهما فرنسا وبريطانيا، وسنتناول ذلك في فقرتين رئيسيتين هما:

١. **الموقف البريطاني**: إن الإدارات البريطانية التي عنت بالشأن العربي هي وزارة الخارجية البريطانية ووزارة المستعمرات ووزارة الهند ووزارة الحرب المصغرة التي شكلت خلال الحرب العالمية الثانية حيث هدفت إلى التركيز على الفكرة العربية القومية، وإن بريطانيا أخذت تسعى إلى احتواء العمل القومي العربي، باعتماد سياسات قائمة على ضرورة تجزئة المنطقة العربية حتى لا تقوى على الوحدة، وكذلك باعتماد سياسة قائمة على العداء لأي تجمع عربي،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولسبب واضح أن مثل هذا التجمع كان يعني بالضرورة تهديد المصالح الإمبراطورية التي لا تغيب الشمس عن ممتلكاتها في المنطقة، لقد عملت بريطانيا مبكرا في هذا الاتجاه، ويمكننا أن نشير إلى إجراءات بريطانية متنوعة ومن هذه الإجراءات والأساليب عقدها لمؤتمر "هنري بنرمان" أو ما يعرف أحيانا بالأدبيات السياسية بإسم مؤتمر" لندن" والذي جاء فيه بعد المناقشات: (عبدالدايم، ١٩٨٨: ١١)

١.إبقاء شعوب المنطقة الواقعة من المحيط إلى الخليج على قدر كبير من الجهل والتخلف حتى تكون وسيلة السيطرة عليهم أسهل .

٢.المنطقة الواقعة من المحيط إلى الخليج منطقة واسعة وفيها من الخيرات ما يمكن العرب من قيام دولة الوحدة التي قد تهدد أوروبا مستقبلا.

٣.فصل آسيا العربية عن إفريقيا العربية وذلك بإقامة كيان سياسي غريب يكون صديقا للغرب عدوا للعرب .

ولم تكتف بريطانيا بهذا بل ذهبت إلى توقيع اتفاقية "سايكس بيكو" والتي ما كانت هذه الاتفاقية إلا لتنفيذ ما ذهب إليه المؤتمرون في مؤتمر لندن المشار إليه آنفا، وأعلنت وعد بلفور كنتيجة لدوافع استعمارية بحته(السفري، ١٩٣٧: ٢٦)، هذا وقد صاغت (وعد بلفور) بعد أن وطدت لهذا الوجود وإنجاز اتفاقية "سايكس بيكو" وشريكتها فرنسا والتي نصت على تقسيم البلاد العربية المشرقية وفق أطماعها الاستعمارية، هذا وكانت جامعة الدول العربية فيما بعد التي حوى ميثاقها ما مفاده: (أن تحافظ جامعة الدول العربية على استقلال الدول الأعضاء)، وهذا يعني لا لبناء الوحدة لطالما تحافظ الجامعة على الاستقلال القطري، وما تعنيه هذه الفقرة هو إبقاء الدول القطرية العربية قطريتها(محافظة، ١٩٨٨: ٧٧).

وأما ما يخص العراق من الدور البريطاني كان ضد ما خصصت الاتفاقية فيما بعد من وضع منطقة الموصل العراقية تحت الانتداب الفرنسي، وهذا ما رفضته بريطانيا فيما بعد، وعملت على التقليل من شأن الاتفاقية حتى ذهب"لويد جورج" رئيس الوزراء البريطاني إلى القول في الاتفاقية: "بأنها أغبى وثيقة" وخططت بريطانيا بالطرق الدبلوماسية من أجل إلغاء هذه الإتفاقية، ففي "مؤتمر الصلح" المنعقد في باريس عام(١٩١٩) ومؤتمر "سان ريمو" عام (١٩٢٠)، حيث تم الاتفاق مجددا بين الحلفاء على توزيع الانتدابات من جديد حيث حصلت بريطانيا على حق الانتداب في فلسطين والعراق مع الموصل(المعروف، ٢٠١٠: 2/٧)

إن الحكومة البريطانية لن تسمح للعراق أن يسير ولو خطوة واحدة باتجاه العمل القومي الذي يؤدي إلى الوحدة العربية في نهاية المطاف، وذلك لأن العراق تتنوع فيه المصالح البريطانية الاقتصادية والتي يعتبر العراق منطقة مصالح وخاصة بعد حصول بريطانيا على الانتداب من الحلفاء على هذه المنطقة الجغرافية العربية(الخطاب، د.ت: ١٧).

إن الدور البريطاني في العراق في ظل الانتداب كان دورا سلبيا تجاه العراق وأهل العراق والطموحات العراقية الناظرة إلى تحقيق الوحدة العربية كهدف نهائي للتيار القومي الذي نادى بها العراقيون وفي مقدمتهم النخبة السياسية. ويتلخص الدور البريطاني المقاوم للتوجهات القومية فيما يلي: نشر الفوضى بين العراقيين، وجني المكاسب، ودرء المخاطر بأقل الخسائر،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تميز الدور البريطاني بالمراوغة ونشر الفتن بين الطوائف والقوميات العراقية، وهي صاحبة السياسة القائمة على التفرقة والقائمة على فرق تسد، ومع انتشار المبادئ القومية وملاحظة بريطانيا أن المد القومي أخذ يمتد شيئا فشيئا، عملت على إجهاضه من خلال مناداتها بإنشاء الجامعة العربية عام(١٩٤٥)، وذلك لمنع أي توجه قومي وحدوي بين الدول العربية، وانخرطت الدول العربية تحت مظلة هذه الهيئة التي من شأنها الوقوف ضد وحدة العرب(محمد، ٢٠١٥: 12/٣).

إن الناظر في المواقف البريطانية يمكنه الوصول إلى عدة استنتاجات منها: أن بريطانيا لا تريد للعرب الوحدة، وأن التوجهات القومية هي توجهات مناوئة للدور البريطاني وضد المصالح البريطانية في الدرجة الأولى، والدولة التي تنادي بالقومية هي العدو الأول لبريطانيا وكانت العراق هي الدولة.

٢.**الموقف الفرنسي:** لا يقل الدور الفرنسي عداء للتوجهات القومية العربية عن الموقف البريطاني، لكون الدولتين جمعتهما قواسم مشتركة، وهذه القواسم تتلخص بكون الأطماع الاستعمارية لهاتين الدولتين في المنطقة العربية واحدة وبنفس النسبة، أضف أن الدولتين كانتا تنظران للمنطقة العربية بعامة والعراق بخاصة أنها دولة فيها كل ما يمكن أن يعود على الدولتين بالربح الإقتصادي الذي من ورائه تجني الدولتان مكاسب تعود بالرفاه على شعبي الدولتين.

إن فرنسا أدركت كشريكتها بريطانيا ما للمنطقة العربية من أهمية فيما إذا تمت الوحدة بين جميع أجزائها، وقيام دولة واحدة فيها، لذا لم تكف عن العمل على تجزئة المنطقة فهي الشريكة الحقيقية لبريطانيا في مؤتمر لندن عام(١٩٠٥)، والشريكة الأساسية في معاهدة "سايكس بيكو"، ومؤتمر "سان ريمو" الذي أقر الانتداب على المنطقة العربية، وهذا له من المبررات الكثيرة حيث إن أطماع فرنسا في المشرق العربي بدأت حتى قبل زوال الإمبراطورية العثمانية وتعود إلى عام(١٩٣٨) حيث أبرمت معاهدة تنص على حق شراء السلع والمنتوجات من أي منطقة في المشرق العربي من صناعات أو منتجات زراعية وغيرها، وهذا يعني ترك يد فرنسا دون رقابة أو قيود في المنطقة العربية(محافظة، ١٩٨٥: ٢٠)، هذا وأخذت فرنسا تعمل على استثمار المنطقة العربية استثمارا مباشرا في مشروعات المواصلات والنقل لخدمة تجارة الاستيراد والتصدير، كما أخذت عدة امتيازات كبناء شركة سكة حديد بغداد، والقيام بالمشروعات الرامية إلى توطيد القدم الفرنسي وخاصة في العراق، كما أنها أجرت دراسات ذات جدوى اقتصادية على الأرض العراقية، وتبين أن هذه الأرض غنية بالموارد ذات الجودة للصناعات الفرنسية، الأمر الذي جعل من فرنسا لا تترك العراق للأطماع البريطانية وحدها، بل أخذت تلازم بريطانيا في استغلال الأراضي العراقية(محافظة، ١٩٨٥: ٢٥).

إن السياسة الفرنسية والحالة هذه تجاه الأقطار العربية عامة والعراق خاصة سياسة قائمة على أهداف ذات علاقة بالاقتصاد وحب الهيمنه على الدولة التي رأت فيها منطقة خصيبة لتحقيق مكتسبات ذات قيمة جوهرية تعود على الدولة الفرنسية، وبالتالي ستقف ضد أي توجه قومي يحقق القوة للدول العربية بعامة ودولة العراق بخاصة، وخصوصا بعد الانقلاب البعثي الأول في منتصف الخمسينات، كون رائحة المناداة بالقومية والدعوة إلى العمل القومي أخذت تفوح من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تصريحات وخطابات البعثيين الذين تولوا صنع القرار في القطر العراقي(كوتراني، ١٩٧٨: ٤٢).

نجحت فرنسا في سياستها تجاه العراق، ولطالما وجدت في الشعوب العربية بعامة التخلف الاقتصادي والاجتماعي والعلمي فأخذت السياسة الفرنسية تزيدهم إمعانا في جوانب التخلف تلك، فدعتهم إلى اللهاث وراء الأمم الأخرى المتقدمة ومنها فرنسا لعلهم يلحقون بها.

إن السياسة الفرنسية في بلاد المشرق العربي عامة والعراق خاصة تجلت في قطع الطريق على قيام الوحدة العربية ذلك الهدف النهائي للعمل القومي العربي، وذلك من خلال ما يلي(محافظة، ١٩٨٥: ١٠٥-١٢١):

١- المشاركة في تجزئة المنطقة العربية وفي العراق خاصة، فقد أقدمت على إبرام معاهدة "سايكس بيكو" مع بريطانيا والتي قسمت العراق إلى شطرين، أحدهما يتبع لبريطانيا والآخر لفرنسا، وهذه مسألة تشكل عائقا أمام التوجهات القومية من بلوغ الوحدة العربية.
٢- الدفاع عن مصالح الأقليات والطوائف الدينية، ففي العراق امتدت اليد الفرنسية إلى الأكراد في شمال العراق، حيث أخذت خطب ود هذه الفئة وتغذي في أنفسهم روح الكراهية من الحكومة المركزية في بغداد وبالمقابل تتقرب من هذه الفئة لتصبح فرنسا البديل عن الدولة المركزية في التعاون وتبادل المنافع، حيث تقوم فرنسا باستغلال المنطقة اقتصاديا، مقابل منافع مادية تأتي على شكل مساعدات عديمة الجدوى مستقبلا، وبذلك تكون قد كسبت الأقليات العرقية وعزلها عن مجتمعها الوطني العراقي.
٣- العمل على قطع الصلات العراقية مع الدول العربية الأخرى وهذا يمكن ملاحظته من خلال اتباع سياستين مختلفتين بالقطر العربي الواحد، فالسياسة الفرنسية تختلف عن السياسة البريطانية، وبالتالي يكون التغريب قد أخذ سبيله نحو قطع الصلات العربية وهذا يضر بالتوجهات القومية الساعية إلى الوحدة العربية.

٤-ضرب التوجهات الوطنية ناهيك عن ضرب التوجهات القومية، حيث قامت فرنسا برصد هذه التوجهات والعمل على إجهاض جهودها الداعية إلى بناء الوطن أولا، ليبقى ضعيفا يسهل استغلاله استغلالا يوفي بالأهداف الفرنسية، والداعية إلى بناء الوحدة العربية ثانيا والتي لا بد أن تسفر عن القوة التي من خلالها كف يد العابثين من المستعمرين والحيلولة دون تحقيق أهدافهم.

إن المتتبع للسياسة الفرنسية في العراق والوطن العربي يصل إلى استنتاجات هامة منها: أن السياسة الفرنسية لا تبتعد عن السياسة البريطانية في كل توجه من توجهات السياسة، بل كلاهما يخرجان من مكاتب سياسية واحدة، أضف إلى أن السياسة الفرنسية كانت تعمل ليلا ونهارا في المنطقة العربية لكون التنافس أخذ يشتد بين الدول على المنطقة العربية كإيطاليا وألمانيا على سبيل المثال لا الحصر، لذا فالتوجهات القومية لم تلق النجاح المأمول منه في الفترات التي كانت فرنسا وبريطانيا تقودان دفة الاستعمار في المنطقة، كون الشعوب والقيادات العربية كانت أضعف من مقاومتها للتوجهات الاستعمارية التي كانت لديها القوة من خلالها كانت تفرض سياستها دون رقيب أو حسيب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: الموقف الأمريكي الصهيوني: يكاد أن يكون الموقف الأمريكي وموقف دولة الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين موقفا واحدا وخصوصا أن دولة الكيان الصهيوني تتحكم في دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة، وذلك من خلال اللوبي الصهيوني هناك، وسيطرتها على الإعلام الذي من شأنه رفع شأن هذا من الساسة الأمريكان والحط من شأن ذاك، وهذا يلاحظ من خلال النظرة الأولى وبدون تفحص، حيث إن الولايات المتحدة أصبحت دمية بين أصابع دولة الكيان، وفي هذا الصدد سنتناول الموقفين في الفقرتين التاليتين:

أولا: الموقف الأمريكي:

مما يجدر له الإشارة أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت لاعبا جديدا على الساحة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، كما أنها غدت قائدة للاستعمار بعد أن أخذت بريطانيا بالضعف وعدم إمكانيتها السيطرة على المستعمرات التي كانت تستعمرها، بهذا المعنى فإن الولايات المتحدة غدت وريثة للاستعمار القديم، وبالتالي وضع على كاهلها أعباء جديدة ألقتها على سياستها الخارجية.

إن الولايات المتحدة وقفت على الجانب الآخر للقومية العربية، وهذا يتبين من رفض تعامل الولايات المتحدة مع الدول العربية على أساس فكرة العروبة كصفة جغرافية تربط بين دول مجاورة، وليس كجامع له قوته السياسية وكمحرك لهذه الدول أو إطار عام يفرض ضوابطه على سلوكياتها، فالمشهد القطري العربي يمثل وضعا نموذجيا للولايات المتحدة لتتحدى الروابط القومية التي تجمع بين العرب وتثبت عدم جدواها، حتى لا تبقى قوة محتملة يمكن أن يلجأ طرف عربي لقيام النظام الإقليمي العربي، أو تلجأ لها عدة أطراف لإقامة تحالف يستطيع أن يقاوم المطالب الأمريكية(حتي، ١٩٨٧: ٣٠).

إن التخوفات الأمريكية باتجاه إقامة تحالفات قومية عربية أظهرت بوادرها عندما قام العراق وبمبادرة من قيادته على إنشاء مجلس التعاون العربي في بغداد بتاريخ(١٦ شباط عام١٩٨٩) وذلك بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية ليجمع كل من العراق الأردن واليمن الشمالي ومصر، وقد تم تأسيس هذا المجلس بعد مجلس التعاون الخليجي الذي يضم بدوره ست دول عربية على الخليج عدا العراق، إن هذا المجلس يعتبر كيانا اقتصاديا يدفع باتجاه دعم الجهود الوحدوية الاقتصادية العربية وتحقيق التكامل الاقتصادي التدريجي بين الدول الأعضاء، وقد فسر تبني الجانب الاقتصادي على أنه ركيزة لأي عمل وحدوي ويمكن إيجاز مهام المجلس ذات البعد القومي والذي جاء من أفكار القيادة العراقية بما يلي(مخادمة، ٢٠٠٤: 10/٣) :

- ضرورة تحقيق أعلى مستوى للتنسيق والتعاون والتضامن من بين الدول الأعضاء.
- تحقيق التكامل الاقتصادي تدريجيا وذلك بتنسيق السياسات على مستوى مختلف من قطاعات الإنتاج.
- تشجيع الاستثمار والمشروعات المشتركة بين الدول الأعضاء.
- السعي الجاد لإقامة سوق عربية مشتركة بين الدول الأعضاء وصولا إلى السوق العربية المشتركة بين كل الدول العربية.
- تشديد عرى الروابط والأواصر بين مواطني الأقطار والأعضاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- تعزيز روابط العمل المشترك.

إن التوجهات العراقية القومية بالصورة السالفة والتي أراد العراق أن يسير باتجاه تجمع قومي عربي أقلق السياسة الأمريكية على اعتبار أن هذا التجمع قد يكون نواة التجمع الأكبر الذي قد يؤدي إلى وحدة تجمع كل الدول العربية تحت مصطلح العروبة، وخصوصا أن الولايات المتحدة أدركت تماما ماذا يعني هذا الاتحاد. والعراق يخرج من حرب ضروس مع جارته إيران إستمرت زهاء ثمان سنوات، أخذت الأخضر واليابس من كلا الطرفين علاوة على ملايين القتلى والجرحى والدمار الشامل.

إن التوجه القومي العراقي والحالة هذه لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفالها تلك المتعلقة بإنشاء المجلس، وخصوصا أن العراق طيلة أيام الحرب أعطاها بعدا قوميا بإعتبار حربه بين العرب وإيران حربا قومية، وأن العراق يقوم بالدور القومي لحماية البوابة الشرقية للوطن العربي(مخادمة، ٢٠٠٤: 10/٣)

إن الموقف الأمريكي الرافض للتوجهات القومية العربية يدفع بهذا الاتجاه دولة الكيان الصهيوني في المنطقة، على اعتبار مثل هذه التوجهات تخلق جوا سياسيا لا تستطيع دولة الكيان الصهيوني الوقوف أمامه، وهذا يعني الرحيل لهذا الكيان وعودة أهله إلى البلاد التي جاؤوا منها، لذا سعت دولة الكيان الصهيوني إلى الولايات المتحدة بعد أن أصبحت الدولة التي ورثت الإرث البريطاني الذي أقام الدولة ووطد أركانها، لتقوم الولايات المتحدة بدور الحليف والراعي لهذا الكيان حتى تمنعه من الانهيار، ونتيجة ظروف مواتية لهذا الكيان داخل الولايات المتحدة نفسها كاللوبي الصهيوني والجمعيات اليهودية وسيطرة اليهود على الإعلام، فقد احتلت دولة الكيان الصهيوني مكانة الحليف الاستراتيجي في السياسة الخارجية الأمريكية الأهم في العالم وعلى وجه الخصوص في المنطقة العربية، وهي تحظى بمزايا من هذا المستوى، واعتبرت من ناحية وجودها في المنطقة العربية مصلحة أمريكية حيوية، وقد تزايدت أهمية هذه الدولة في السياسة الأمريكية كونها تستطيع أن تسخر أدواتها لخدمة الحملات الانتخابية للرؤساء الأمريكان لهذا كله فالولايات المتحدة تسير وفق المصالح التي رسمتها دولة الكيان الصهيوني(الحمد، ٢٠١٠: ٢٧).

إن الولايات المتحدة والحالة هذه ستقف موقف الضد من التوجهات القومية بشكل عام؛ لأن ذلك يضر بمصلحة التحالف الاستراتيجي الأمريكي الصهيوني، ويؤدي إلى إقامة الوحدة التي تعني القوة التي من خلالها إنهاء دولة الكيان الصهيوني في المنطقة، هذا وقد وجهت دوائر صنع القرار في الكيان الصهيوني السياسة الأمريكية تجاه العراق لإضعافه وتدميره وهذا يتضح من خلال الأماني اليهودية الصهيونية التي ترى بفرات العراق الحد الشرقي لدولتها، وهذا نابع من عدة أفكار عقائدية أيديولوجية سياسية أخذت من الكتاب المقدس اليهودي، أضف إلى ذلك الغل الذي يحمله اليهود على العراق كون (نبوخذ نصر) غزى اليهود وسباهم عام(٥٨٦) قبل الميلاد(التوراة، ٢٦: ٩-٢١)، وبقي اليهود يحملون روح الانتقام في نفسيتهم وهذا ما يمكن التدليل عليه من أقوال وزير الخارجية الأمريكية اليهودية"مادلين اولبرايت" حيث قالت بمقابلة معها من قبل شبكة(cbs) يوم (١١أيار١٩٩٦) ردا على سؤال مفاده: هل يستحق نصف مليون عراقي الموت؟ أجابت بالقول: (نعم أعتقد يستحقون) إن "أولبرايت" لا تتحدث بلسان جنرال، وإنما بلسان قديسة تؤمن حرفيا بنصوص المزامير التوراتية التي تنص(....بابل المخربة طوبى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمن يجازيك الذي جازيتينا، طوبى لمن يمسك أطفالك ويهشم على الصخرة رؤوسهم)(التوراة، المزمور١٣٧: ٧-٩) ولما كان اليهود قد أقنعوا الأمريكان بصدق وصحة كتابهم المقدس على اعتبار أن هذا الكتاب(التوراة) يشكل الكتاب المقدس الجامع لدى اليهود والمسيحيين معا وخاصة الاعتقاد الزائد به من قبل البروتستانت الأمريكان على وجه الخصوص وسارت الولايات المتحدة باتجاه تحييد الاتجاهات القومية العربية، بالإضافة إلى إيلاء العراق القدر الكافي من السياسات التي تؤدي إلى إضعافه وتدميره، وهذا ما حدى بالرئيس الأمريكي جورج بوش الأب إلى الذهاب بالقول إبان حرب الخليج الثانية عام(١٩٩١): (سأعيد العراق إلى العصر الحجري)(نورث بوينت، ١٩٩١: ٨٤).

إن سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق تحددت وفق مصالح أمريكية بحتة ومصالح لدولة الكيان الصهيوني، لذا عمدت على إنهاك القطر العراقي من خلال العمل على إطالة أمد الحرب العراقية الإيرانية، بالإضافة إلى إمداد العراق بكل وسائل القوة ومنع هزيمته إلى الحد الذي يتحقق به الهدف الأمريكي القائم على إضعاف العراق واستنزاف قوته الاقتصادية أو العسكرية في آن واحد، ولتكون مهمته لملمة قواه وترتيب بيته الداخلي وعدم النظر خارج إطار الحدود القطرية العراقية.

ثانيا: موقف دولة الكيان الصهيوني:

إن موقف الكيان الصهيوني ينبع من إيديولوجيا دينية، فقد عملت الحركة الصهيونية على تحويل العقيدة اليهودية إلى نظرية سياسية تطالب بحق تاريخي، وتستند إلى وعد إلهي، ولهذا اعتبر الدين اليهودي قاعدة إيديولوجية ارتكز عليه الفكر التوسعي للكيان الصهيوني القائم في فلسطين، مسوغا جميع خطواته العدوانية بوعود الرب لأنبياء بني إسرائيل والذي قطع فيها العهد على نفسه بتملكهم أرض فلسطين والعرب، ففي وعده إبراهيم يوم اجتيازه لأرض شكيم(نابلس) وكان يقطنها العرب الكنعانيون، قال: (ارفع عينيك وأنظر في الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وغربا لأن جميع الأرض الذي أنت ترى، لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد، واجعل نسلك كتراب الأرض)(سفر التكوين، الإصحاح١٣: ١٤-١٨).

إن هذا يعني أن فلسطين التي بها شكيم هي الهدف والمقصود وبالتالي فهي بعد أن تم ما فعلوه أصبحت دولة الكيان الصهيوني تفصل الوطن العربي إلى مشارقه ومغاربه، وتقوم بدور التفتيت والتجزئة للوطن العربي وهي في ذلك الموقع المتوسط في الوطن، وبالتالي لا تعود أي جدوى من أي فعل قومي لطالما تحتل قلب هذا الوطن .

لقد استندت الحركة الصهيونية في تشتت العمل القومي العربي وإجهاض التوجهات القومية وهي في إنشاء الدولة على مسوغات قانونية عدة؛ وذلك لتضفي على فعلها الطابع الدولي ولتسويغ فكرة الحق الإلهي، ومن هذه المسوغات "وعد بلفور" الذي صدر عام(١٩١٧) على شكل رسالة موجهة للصهيوني"روتشلد" وأدمج فيما بعد بصك الانتداب الذي شمل فلسطين، وكذلك إلى قرارات دولية مصدرها هيئة الأمم المتحدة مثل قرار التقسيم (الهزايمة، ٢٠٠٧: ١٤٧-١٤٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد تنفيذ الخطوة الصهيونية الأولى والمتمثلة بإقامة دولة في(١٤أيار١٩٤٨) واعتراف الدول بهذا الكيان الصهيوني المختلق، فقد أخذ هذا الكيان النظر إلى خارج حدود فلسطين لتنفيذ الخطوة الأخرى والمتمثلة بإقامة إسرائيل الكبرى والتي تمتد من الفرات إلى النيل وفق العقيدة السياسية الدينية التوراتية(الهزايمة، ٢٠٠٧: ١٤٨).

إن العراق والحالة هذه ضمن الأحلام اليهودية الدينية النابعة من التوراة المزيفة ألم يرد فيها الوعد الذي أعطاه الرب لإسحاق وموسى وحدد لهما حدود أرض إسرائيل بقوله: (كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر العربي تخومكم)(سفر التثنية١٠، الإصحاح١١: ١٤-١٨)، إن العراق والحالة هذه ضمن الدولة التي خططها الرب بالوعود وتبنتها الحركة الصهيونية، ولذا سيصب عليها كل أنواع وأساليب المؤامرات والمخادعات لكونها الدولة التي تتبنى الفكر القومي الذي من أهدافه إزالة الكيان الصهيوني على اعتباره عقبة من عقبات الوحدة العربية والهدف النهائي للقومية العربية.

إن الحركة الصهيونية في الأصل تعادي التوجهات القومية العربية، والدولة التي ولدت من رحم هذه الحركة هي بالتالي معادية للتوجهات والنداءات القومية العربية، وكل دولة تنادي بذلك فهي موضع عداء سافر للدولة القابعة في فلسطين اليوم، ويمكن إجمال الأسباب التي تعادي بها دولة الكيان الصهيوني كل توجه قومي بالآتي:

١- إن التوجهات القومية معادية لأهداف الدولة الصهيونية ومن قبلها لأهداف الحركة الصهيونية لأن التوجهات القومية تنادي بالوحدة وهذه تعني القوة، وبالقوة يؤدي إلى القضاء على دولة الكيان الصهيوني التي تحتل قلب العالم العربي بمعنى قلب القومية العربية، ولا يتم تحقيق التوجهات القومية إلا بإزالتها.
٢- إن أطماع الصهاينة في العراق معروفة منذ ظهور المنظمة الصهيونية العالمية، ومنذ ذلك الوقت بذل الصهاينة كثيرا من الجهد وكثيرا من المال فسيطروا على الاقتصاد العراقي واشتروا مساحات واسعة من الأراضي والمدن للبناء وفي الريف، وامتد نفوذهم حتى المناطق الجبلية من شمال العراق في منطقة داهوك حيث اشتروا أخصب الأراضي الزراعية في محافظات القادسية، وذيقار(الناصرية)، وبيسان(العمارة)، كما اشتروا كثيرا من أراضي بغداد بالذات ناحية الكرادة الشرقية، وحاولوا شراء الأراضي ضاحية الأعظمية، هذا ويجب أن لا يغيب عن البال أن الأطماع اليهودية واردة في تصريحات الكثير من صناع القرار في دولة الكيان الصهيوني، فهذا (موسى ديان) رئيس أركان الجيش اليهودي عام(١٩٦٧) يصرح بعد احتلال الجزء الشرقي من القدس بالقول: (لقد استولينا على أورشليم ونحن في طريقنا إلى يثرب وبابل العراق)(الكرزون، ٢٠١٦: ٧ /2)، وهذا يدلل أهمية العراق للحركة الصهيونية ومطامعها وتحقيق حلمها الأكبر بإسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل .
٣- إن دولة الكيان الصهيوني لم تنس مشاركة القوات العراقية في الحروب التي وقعت بين الأطراف العربية ودولة الكيان الصهيوني أعوام(١٩٤٨، ١٩٦٧، ١٩٧٣)، وبالتالي لا بد من تدمير الجيش الذي ساهم في مجهودات حربية في هذه الحروب الثلاثة، لذا فالسبي البابلي الذي قاده وقام به (نبوخذ نصر) العراقي والأطماع اليهودية في العراق والمشاركة العراقية في الحروب العربية اليهودية جعلت من ذلك كله أسبابا لمعاداة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوجهات القومية، وتدمير العراق لأنه يرفع راية القومية العربية، والقضاء على كل أسباب القوة لهذا القطر، لذا كان من الأسباب المشروعة تدمير المفاعل النووي العراقي في عام(١٩٨١)، وإطلاق إسم بابل على عملية التدمير كنوع من الانتقام الرمزي على السبي البابلي(الهزايمة، ٢٠٠٧: ٢١٠).

إن الحركة الصهيونية كحركة والدولة القابعة بفلسطين كدولة تضع في حساباتها القضاء على كل جهد عربي قائم على التعاون وليس على الوحدة، لأن التعاون يؤدي إلى الوحدة، والوحدة هي الهدف الأسمى للشعوب العربية إن أرادت أن تعيش بأمن وأمان في ربوع وطنها العربي الكبير.

المبحث الثاني:

تثوير القوميات الإثنية وانهيار النظام القومي(العراق نموذجا)

مما يجدر إليه الإشارة أن القومية وأية قومية في العالم لها مرتكزات أساسية تستند إليها، والقومية العربية واحدة من هذه القوميات فكانت من مرتكزاتها: الجنس والدين واللغة والمصالح المشتركة وغيرها، ولما كان الجنس قد نادت به القومية العربية ليكون مرتكزا أساسيا في دعوتها القومية، قامت الأقليات الإثنية داخل النظام العراقي وكذلك داخل كل الأنظمة العربية التي تبنت الخط القومي بالثورة ومطالبتها بالانفصال أو على أقل تقدير بالحكم الذاتي داخل مظلة النظام، على اعتبارهم ليسوا بعرب حتى يقبلوا النداء القومي الذي نادت به الأنظمة وأخذت تروج له.

إن الجبهة الداخلية العراقية في ظل عدم قبول الأقليات الإثنية العراقية بالتوجهات القومية للدولة القطرية العراقية أدى إلى إضعاف الدولة العراقية وأصبحت لا تقوى على السير في تحقيق هذه التوجهات ولا حتى على الصمود أمام الضغوطات الخارجية لكثرة الولاءات الإثنية حتى مع أعداء العراق كإيران والولايات المتحدة ودولة الكيان الصهيوني وغيرها، مما جعل العراق فريسة سهلة أمام هذه القوى التي من زمن بعيد تطمع بما في العراق من خيرات ذات قيمة من مواد أولية وغيرها لتدير عجلة مصانعها، وكذلك لتحقيق بعض الكيانات أحلاما توراتية عفى عليها الزمان.

إن الخطأ الكبير في الخط القومي العربي والذي أدى إلى تصدع الجبهة الداخلية للدولة القطرية العراقية وتثوير الأقليات اعتماد الجنس كمقوم أساسي للقومية العربية وفي هذا المبحث سنتناول الآثار التي تركتها المناداة بالقومية العربية على الدولة العراقية وذلك من خلال مطلبين هما:

المطلب الأول: القومية العربية واستنهاض القوميات العراقية.

المطلب الثاني: ذهاب القومية العربية بسقوط النظام الداعي لها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول:

القومية العربية واستنهاض القوميات العراقية:

إن تلمس الواقع السكاني للعراق له أهميته وله علاقة قوية بمستقبله، فالواقع السكاني هو الورقة الأساسية في استقرار الدولة أو انبعاث التوتر، وبالتالي العامل السكاني يقرر طبيعة الدولة من حيث نظام الحكم وعلاقاتها مع الدول الأخرى، فالبعض يحاول عن علم أو جهل إغفال دور العامل السكاني، فيعمل على قلب الحقائق الديمغرافية بما فيها التوجهات السكانية في العراق، انطلاقا من مواقف مسبقة أو تخيلات فكرية إن طبقت على الواقع فتعتبر من قبيل المأساة التي ستحل بالنظام والدولة معا، لأن هذه المواقف المسبقة لا تتوافق عندئذ مع الواقع الاجتماعي والسياسي في دولة كالعراق مثلا، ولا تنسجم مع تطورات الحياة، فليس من الإنصاف أن تفرض الأغلبية رأيها على الأقلية تحت مدعيات فكرية تؤمن بها فئة دون أخرى داخل الدولة، وليس من العدل أن تفرض الأقلية رأيها على جمهور الأكثرية تحت مدعى الحكم للأقوى، فالمنطق الأول راجح والمنطق الثاني يحمل معه معاول هدمه، وإن استطاع أن يتغلب في جولة فإنه سيخسر باقي الجولات وربما بمنطق الحكم للأقوى نفسه.

إن الدولة القطرية القومية العراقية وقعت في مطب سياسي كبير، ترجم هذا المطب بتثوير الأقليات الإثنية في الداخل، مما إنعكس على علاقات الدولة العراقية في الخارج، فإرتدت سياستها الخارجية عن السير قدما في الساحة الدولية، وأخذ النظام يعاني وأصبح جل جهده لملمة الداخل حتى تبقى الدولة قوية والنظام قائم.

وفي هذا المطلب سنعمل على تحقيق أهدافه من خلال فقرتين رئيسيتين هما:

أولا: القوميات الأخرى في الدولة العراقية.

ثانيا: تجاهل الفكر القومي مسألة القوميات الأخرى.

أولا: القوميات الأخرى في الدولة العراقية:

الأقليات الإثنية هي التي تسكن العراق والمقيمة داخل الحدود السياسية لهذا القطر العربي، وقد تجاوز سكان هذا القطر(٣٣) مليون حسب تقديرات الجهاز الإحصائي للمركز العراقي، هذا وقد حدثت تغييرات في البنية السكانية ما قبل احتلال العراق الأخير طالت كثيرا من الأعراق وأصحاب الديانات كاليهود والمسيحيين، على الرغم من هذا فإن الناظر في الخريطة السكانية للعراق من وجهة نظر قومية يجد العراق فيه عددا من القوميات ولا يقتصر الأمر على قومية واحدة، وهذه القوميات هي: القومية العربية والقومية الكردية، والقومية التركمانية، والقومية الآشورية(فرهاد، ١٩٩٦: ٢٠٩-٢١٠) إن هذه القوميات لم ترض بالطرح القومي على أساس الجنس، بمعنى أنه عندما طرحت القومية العربية أخذوا بالتفكير الخروج عليها، على اعتبار أن القومية العربية لا تقل قوميتهم عنها في الأهمية، وفي هذا الصدد سنبين هذه القوميات التي أخذت تعمل على تصديع الجبهة الداخلية العراقية والخروج عليها، وهذه القوميات هي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١.**القوميات الكبرى في العراق:** تبرز القوميات الكبرى في العراق في الثوب العروبي(العرب)، والثوب الكردي، وسنتناول القومية الكردية، ولا داع للحديث عن الشعب العربي في العراق لأنه لا أحد ينكر وجوده في هذه المنطقة منذ الأزل، وبهذا سنقتصر الحديث عن الأقلية الكردية كأكبر أقلية تأتي بعد العرب

١.القومية الكردية: أكراد العراق، جزء من الشعب العراقي، ويسكنون في الشمال وأجزاء

أخرى من العراق ويتواجد أغلبهم في محافظات دهوك وإربيل والسليمانية وكركوك وديالى مع نسبة في نينوى، وتعتبر القومية الكردية الأكثر جدلا والأكثر تعقيدا في القضية الكردية، لكونها نشأت مع بدايات إقامة الدولة العراقية عقب الحرب العالمية الأولى، وكان الطابع المسلح متغلبا على الصراع منذ بداياته، لكون العراق دولة ذات خليط عرقي وديني وطائفي معقد، حيث تم وصف الأكراد بين الحين والآخر أنهم أصحاب نزعات انفصالية، وأنهم لم يشعروا بالانتماء إلى العراق بحدوده الحالية، نشأت نتيجة هذا الصراع الطويل تيارات قومية متعصبة كون أن الأكراد لم يستوطنوا سابقا فهم ليسوا بالأصليين بل قدموا من خارج العراق(أفيشن، ٢٠١٥: 11/٣) .

يتوزع الأكراد في أكثر من دولة من دول الجوار العراقي فهناك أكراد تركيا وأكراد في إيران وأكراد في سوريا وأكراد في أرمينيا، ونسبة الأكراد في هذه الدول إلى عدد الأكراد في العالم فإنها على النحو التالي:

١. أكراد تركيا يشكلون(٥٦%) من مجموع الكرد في العالم، وعددهم(١٥,٠١٦,٠٠٠)نسمة أي ما يقارب (٢٠%) من مجموع سكان تركيا، ويعيش معظمهم في الجنوب الشرقي لتركيا.
٢. أكراد إيران ويشكلون حوالي(١٦%) من مجموع الكرد في العالم، وعددهم(٤٣٩٨٠٠٠) نسمة، أي حوالي (٦%) من مجموع سكان إيران، ويعيش معظمهم في غرب وشمال غرب إيران.
٣. أكراد سوريا ويشكلون(٦%) من مجموع الكرد في العالم، وعددهم(١,٦٦١,٠٠٠)نسمة أي حوالي(٨%) من مجموع سكان سوريا، يعيش معظمهم في شمال شرقي البلاد.
٤. أكراد أرمينيا ويشكلون(١,٥%)من سكان أرمينيا.
٥. أكراد العراق ويشكلون(١٥%)من مجموع الكرد في العالم وعددهم(٣,٩١٦,٠٠٠)نسمة أي حوالي(١٢%) من مجموع سكان العراق، وقد دمجوا مع تكوين الدولة العراقية في سنة(١٩٢٣) وفقا لاتفاقية "سايكس بيكو" المنعقدة عام(١٩١٦)، ويستوطنون في العراق الحدود الشمالية والشمالية الشرقية للدولة، ويشكلون)(١٧%)من سكان العراق(الموسوعة الحرة، ٢٠١٦: 3/٧)

إن التقارب الجغرافي في التوطين للأكراد أكسبتهم قوة حيث إن التقارب السكاني يخلق هلعا وقلقا للأنظمة السياسية التي يتواجد فيها الكرد؛ لأنه يساهم في قيام دولة فيما إذا ضعفت الدول التي تحكم الشعب وهذا لا ترضاه الدول. ومما يجدر ذكره أن الأكراد منقسمون جغرافيا وسياسيا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولغويا وقبائليا وأيديولوجيا، وهذا ما يجعل الدول تقلل من خشيتها في إمكانية تشكيل دولة خاصة بهم.

وأما ما يتعلق بالعراق فإن الأكراد في الأصل لم يكونوا راضين عند إقامة الدولة العراقية ليكونوا من شعبها، وقد أججت التوجهات القومية العراقية المشاعر الكردية، وثاروا على اعتبارهم ليسوا عربا.

٢.**القوميات الأخرى:** هناك أقليتان قوميتان لهما دور كبير في العراق، ونالت هذه من الإجحاف الكثير من السلطات القومية العراقية، وسنتناولها على النحو التالي:

أ. التركمانية: تعتبر هذه الأقلية القومية الثالثة في العراق، والتركمان قبيلة من القبائل التركية التي وفدت من وسط آسيا وتحديدا من منغوليا موطنهم الأصلي، وتشير الوثائق التاريخية إلى أن الحضور التركماني الحقيقي في العراق الذي دونه التاريخ يعود إلى أوائل الفتح الإسلامي، حيث استوطن أجداد التركمان في العراق منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف، شاركوا إخوانهم العراقيين في السراء والضراء، وقدموا التضحيات والشهداء في حروب العراق ومعاركه وثوراته، وأما موطن التركمان في العراق فيمتد من شمال(تلعفر) شمال محافظة الموصل وينحدر إلى الجنوب الشرقي منها بإتجاه محافظة (كركوك) ثم يتجه إلى الشرق باتجاه محافظة(أربيل) حيث إن نصف سكان أربيل من التركمان من بقايا الدولة الأتابكية التركمانية ويقطن بغداد حوالي خمسين ألف تركماني، ومن الناحية المذهبية ينقسم التركمان إلى حوالي(٥٥%)من السنة، و(٤٥) من الشيعة، وأما عدد السكان التركماني فقد اختلف فيه مصادر البحث، إلا أن الأكثر ترجيحا من المصادر أشار لها إلى أن عدد سكان التركمان في العراق(٢,٦)مليون نسمة، وبهذا العدد يشكل التركمان ما نسبة(١٠%) من سكان العراق تقريبا كثالث أكبر قومية فيه(مردان، ٢٠١٦: 1/٣).

تعرض التركمان منذ عام(١٩٢٧-٢٠٠٣) لاضطهاد وحرمان كبير لحقوقهم كمواطنين عراقيين، وفرض عليهم حالة من الاغتراب القسري داخل الوطن، في الوقت الذي أدوا فيه واجباتهم تجاه وطنهم العراق بإخلاص، فالبرغم أنهم يمثلون القومية الثالثة في العراق بعد العرب والأكراد، إلا أن دساتير العراق وتعديلاتها في الأعوام(١٩٧٣، ١٩٧٤، ١٩٧٧، ١٩٩٠) لم تتطرق إليهم بشكل خاص بل الأدهى من ذلك أنهم حرموا حتى من حقوق المواطنة منذ عام(١٩٨٣) لم يحق لأي تركماني أن يمتلك عقارا أو أرضا في مدينة كركوك وضواحيها إلا بعد تغيير قوميته إلى العربية، وإعلان انتمائه إلى إحدى العشائر العربية، وأكثر من ذلك فقد تنكرت له السلطة الحاكمة العراقية وعلى لسان"طارق عزيز" وزير خارجية النظام السابق من حيث مدة إقامتهم في العراق حيث قال: "إن التركمان طارئون على العراق، ولم يمض على وجودهم سوى (٧٠٠)عام فقط(مردان، ٢٠٠٤: 2/٢٤)، لقد شطب طارق عزيز(٦٠٠)عام من تاريخهم في العراق، وتناسى أن الدول المتحضرة تمنح الجنسية للأطفال الذين يولدون في الطائرات التي تمر عبر أجوائها، لقد صنع طارق عزيز كوزير له دوره في النظام من أبناء شعبه أعداء للعراق ومن الملاحظ أن إجبار فئة في تغيير قوميتها يؤدي إلى الحقد والضغينة في صدور أبناء هذه الفئة يتحينون الفرصة المواتية للانقضاض على النظام عندما يحين، وهذا ما حدث للتركمان لتغيير قوميتهم واستبدالها بالقومية العربية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب.القومية الآشورية: يطلق لفظ الآشوريون على مجموعة عرقية سكنت في شمال بلاد الرافدين، حيث تعود تلك المجموعة في أصولها إلى أحد أبناء سام بن نوح وهو آشور فنسبوا إليه، وهم من أقدم الشعوب التي اعتنقت المسيحية منذ القرن الأول الميلادي، وساهموا في انتشار الديانة لاهوتيا، ونشروها في مناطق آسيا الوسطى والهند والصين، وشكلوا امبراطورية هزمت الكثير من الجيوش، وأقاموا حضارة منحت حضارتها الكثير لحضارات الأمم الأخرى، إلا أن نهايتها كانت عام(٦١٢)ق.م، حيث قام البابليون بهجمات كثيرة لفتح نينوى، وتحالفت قوى الطبيعة أيضا مع الأعداء لتحطيمها وتخريبها، لأن الأمطار القوية أدت إلى فيضان نهر دجلة، فحطمت المياه الأسوار العالية، وبعد نهاية الإمبراطورية الأشورية أقام الأشوريون حكما آخر أصغر بكثير وذلك بالاتفاق مع الرومان الأقوياء في ذلك الوقت، واستمر الحكم حتى سنة(٣٣٦)م حين نشبت حرب قوية بين الروم والفرس، وانهزم الروم وسقطت مدينة(أورهي) بيد الفرس وطرد الأشوريون من مملكتهم وانتهت المملكة، وبقوا تحت الحكم الفارسي مبعثرين في(أورهي) التركية، وفي نصيبين السورية وقسم في أنحاء الموصل وغيرها(المحرر، ٢٠١٥: 2/٢٦).

وأما أماكن تواجدهم فيسكنون في شمال ما بين النهرين في العراق وسوريا وتركيا وبأعداد أقل في إيران، كما يوجد أعداد أخرى في المهجر في الولايات المتحدة، ودول أوروبا وخاصة بالسويد وألمانيا، وتنتمي هذه المجموعة إلى كنائس مسيحية سريانية متعددة ككنيسة السريان الأرثوذكس والكاثوليك والكنيسة الكلدانية وكنيسة المشرق، كما يتميزون بلغتهم الأم السريانية وهي لغة سامية نشأت كإحدى اللهجات الآرامية في مدينة الرها.

لم يظهر الشعور القومي الآشوري بشكله الحديث إلا بأواخر القرن التاسع عشر، حتى ذلك الوقت كانت الطائفة واللغة أهم ما يجمع بين مسيحي شمال بلاد ما بين الرافدين، وأن المدارس الإرسالية الفرنسية والبريطانية والأمريكية والروسية التي ظهرت في بداية القرن التاسع عشر عملت على توحيد لهجات السريانية الآرامية المستعملة بين الآشوريين والكلدانيين، وإخراج جيل مثقف يختلف عن سابقه ينادي بوحدة المؤمنين المسيحيين(الموسوعة الحرة، ٢٠١٦: 3/٣).

لقد لعب المثقفون المسيحيون في العصر الحديث دورا كبيرا في الثقافة العراقية، وفي تمدن الشعب العراقي، ومنذ تأسيس الدولة العراقية في العشرينات وحتى نهاية القرن العشرين لا توجد مشاكل اجتماعية لحقت بالآشوريين، إلا أنه خلال السنوات العشر الأخير، أي في العقد الأول من القرن الحالي برزت مشكلات ثلاث هي: (شبيرا، ٢٠١٦: 3/٣)

١. مشكلة التجنس والهوية حيث لم يسمح للسريان والكلدان والأرمن والآشوريين بتدوين أسماء قومياتهم في التعداد السكاني العام إذ لم يوجد في خانة الهوية سوى قومين عرب وأكراد.
٢. وهي مشكلة تخص الشعب العراقي بشكل عام، فسوء الأوضاع الاقتصادية أدت إلى هجرة الكثير من العراقيين إلى مختلف دول العالم.

٣.استقواء الأقلية الكردية على باقي الأقليات وقد أخذت بعد احتلال العراق تتسبب بكثير من الجرائم ضد الأقلية الآشورية خاصة وبقية الأقليات الصغرى في الشمال عامة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الإجحاف الذي لحق بهذه القومية الآشورية وهو آخر المستجدات القومية في السياسة العراقية تشير إلى قيام نظام الحكم بتوزيع استمارة الإحصاء السكاني لعام(١٩٩٨) وهو الإحصاء التجريبي، وقد خلت الاستمارة من فقرة القومية التي تم بموجبها تحديد قومية المواطن، فقد وردت الإجابة مطبوعة سلفا في الاستمارة باختيار تسميتين فقط عربي أو كردي، وبهذا يكون النظام قد أقدم على خطوة غير مبررة بإلغاء الوجود القومي الآشوري رسميا في العراق. إن مشروع الدستور العراقي لعام(١٩٩٠) وفي خضم انشغال العراق بقضية الكويت قد قسم العراق بين قوميتين فقط العرب والأكراد، ولم يرد ذكر بقية القوميات بل تحفظ على تسميتهم، وبهذا خلق النظام القومي العراقي مشكلة أخرى تضاف إلى مشاكله وفي مقدمتها تلك التي قادته لدخول الكويت وتأجيج الرأي العام العالمي ضده، وتحريك الدول الطامعة في خيراته أساطيلها للقضاء عليه. وهذه خطيئة كبرى وقع فيها النظام(ميخائيل، ٢٠٠١: ٢٧).

إن الآشوريين وغيرهم من القوميات الأخرى لم تكن في حالة رضا عن النظام القومي العراقي لكونه أراد أن ينسى هذه القوميات أصولها ويلحقها بإحدى القوميتين الكبيرتين في العراق الأكراد والعرب، لذا فهذا الأمر له من المخاطر الكثيرة في واحدة منها أن تعمل مع من يعمل على القضاء على النظام الحاكم أو على أقل تقدير عدم الوقوف مع النظام عندما يستدعي الأمر وتأخذ بعض الدول في مهاجمة النظام توطيدا للقضاء عليه.

ثانيا: تجاهل الفكر القومي القوميات الأخرى:

إن مسألة القوميات للأقليات التي تعيش في بلد من البلدان وليكون العراق على سبيل المثال لا الحصر تعتبر من أكثر المسائل حساسية وخطورة لذلك يحتاج التعامل معها من قبل السلطة الحاكمة بحذر وتأن؛ حتى لا يتألب قلوب أتباع تلك القومية على السلطة الحاكمة ومن ثم الدولة وشعب الدولة ممن هم يشكلون الأكثرية، إن التفريط بحقوق القوميات الأخرى أو تجاهلها أو التوجس منها بأي حجة من الحجج يعود بالدولة إلى حياة غير مستقرة وتوتر وإن بدا أحيانا استقرارا ولكن إلى حين، لأن مثل هذه السياسات تؤدي لا محالة نتائج حتمية قائمة على تفكيك الدولة وتفتيتها، تستهدف البنى القومية التي تنادي بها الدولة من خلال سياساتها وإجراءاتها لبلوغ التوجهات التي مصدرها القومية، كما تستهدف كل الإنجازات الوطنية وتستهدف أيضا البنى السياسية والاقتصادية والثقافية، ولا سيما أن الدولة الوطنية العراقية مستهدفة من قبل الكثير من الدول الإقليمية التي تعيش في إقليمها أو الدول الأخرى الدولية التي ترى بمنطقة الخليج منطقة مصالح لها، فهي غير راغبة في أن تكون هناك دولة قوية تناهض سياستها، وتنادي بتوجهات قومية وحدوية تؤدي إلى القوة التي ربما تقف يوما من الأيام في وجهها، وتكون عندها أهدافها عصية عن التحقيق(الجباعي، ١٧).

إن دولة العراق بتوجهاتها القومية في ظل تنوعها العرقي والديني والمذهبي والقومي واللغوي والثقافي بحاجة إلى سياسة متأنية تصهر هذه التنوعات في قالب واحد وإلا كانت النتائج عكسية بما هو معناه سرعة تفكيك الدولة، وتأثر أجزائها وهذا سيتم في ظل الدعوة إلى القومية العربية، وإجبار القوميات الأخرى إلى تناسي أصولها وإرغامها على اتباع ما هو إلى غيرها من القوميات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن المجتمع العراقي يمكن أن نطلق عليه مجتمع الفسيفساء أو مجتمع "الموزايك"، وذلك ليس إشارة إلى تعدد مكونات هذا المجتمع وتنوعها فحسب، بل إشارة إلى عمق الفروق الأصلية بين مكونات هذا المجتمع وممانعتها للاندماج الوطني والاجتماعي للوصول إلى الاستقرار الاجتماعي السياسي.

لقد تجاهل الفكر القومي التقليدي الذي حمله حكام الدولة القطرية العربية العراقية، فتلقى نتيجة هذا التجاهل الاضطرابات والأزمات التي تولدها القوميات الأخرى داخل القطر العراقي نفسه، وقد أدت إلى انفجار تلك القوميات داخليا، ويقود هذا إلى استقدام التدخل الخارجي أن القضية الكردية أدت بالجيش التركي إلى التوغل في أرض العراق عام(١٩٩٧)(الهزايمة، ٢٠٠٧: ٢٦٠)، واستثمرت إيران القضية الكردية بتشغيل إذاعة كردية في إيران لتأليب قلوب الأكراد على الدولة المركزية العراقية، وتبنت شعار الحكم الذاتي لأكراد إيران في خطوة غير مسبوقة لإبقاء شعلة التوترات الكردية لإقلاق الحكومة العراقية(جواد، ١٩٨٩: ٢٦-٢٧)، وامتدت يد الكيان الصهيوني القابع في فلسطين المغتصبة فقد مكنت الأكراد من الانتصار على الجيش العراقي في معركة(هندرين)عام(١٩٦٦)، ودعمت (الملا مصطفى البارزاني) في تصعيد الثورات ضد الحكومة المركزية العراقية(الحمد، ٢٠٠٠: ٧٨-٨٠)، هذا وكان للدول الغربية الأخرى دور مثل الولايات المتحدة وبريطانيا، وقد أسال رائحة النفط لعاب البلدين حيث قامتا بدعم القضية الكردية والمناداة بحقوق الإنسان للقوميات الأخرى التي تعيش في كنف النظام العراقي(حرفوش، ١٩٨٨: ١٣-١٤).

إن تجاهل الفكر القومي الذي حمل لواءه أصحاب السلطة في العراق، لقضية القوميات الأخرى من كردية إلى آشورية وتركمانية وغيرها، يعني ما يعنيه من ابتعاده عن الواقع وعلى غلبة العنصر الأيديولوجي على العناصر الواقعية العقلانية في بنية هذا الفكر، لذا كان لا بد من القفز فوق الجنس المكون الأساسي الذي نادى به الفكر القومي إلى الأخذ بالمكون الديني ومراعاة ذلك وفق الرؤية الدينية الإسلامية، فالإسلام الذي تقوم رؤيته في التوجه لمعالجة الديانات والأعراق الأخرى كانت أبقى على الديانات والمذاهب لأصحابها وجعل أتباعها في ذمة المسلمين، هذا وقد دخل الإسلام أعراقا وأقواما شتى تعرب بعضهم وأسلم واحتفظ بعضهم بهويته القومية، وشأن الإمبراطوريات القديمة ضمت الإمبراطورية العربية الإسلامية مللا ونحلا وديانات ومذاهب وقوميات شتى دخلت جميعها كليا أو جزئيا في النسيج الاجتماعي والسياسي والثقافي العربي الإسلامي(الهزايمة، ٢٠٠١: ٣٣).

إن التوجهات القومية العربية وما تحمله من أفكار القيادة القطرية في الدولة العراقية إعتمدت على أن العرب يشكلون(٨٠%)من سكان العراق، فالعرب والحالة هذه يشكلون الأكثرية في هذه الدولة، فهذه الأكثرية هي التي صنعت القومية للأقليات الأخرى في العراق، وهي القادرة على عدم صناعة هذه الأقلية وذلك من خلال منحها الامتيازات أو حرمانها الحقوق، وللمنح والحرمان أثر واحد في نهاية التحليل، إن منح جماعة معينة امتيازات من أي نوع ومن أي درجة من شأنه يضاعف عزلة هذه الجماعة عن الجماعات الأخرى ويقوي لديها شعورها بالإختلاف والتمايز، أي من شأنه أن يولد لديها وضدها في الوقت نفسه نعرة عرقية قومية أو دينية أو مذهبية، الزيادة هنا أخت النقصان فكل من يحظى بما ليس من حقه يكون هضم حقوق الآخرين أو أسهم في ذلك من دون قصد، ولا أدل على ذلك من قيام القيادة القومية العراقية من إغفال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القوميات كالآشورية والتركمانية وغيرها وتحديد قومية المواطن العراقي في إستمارة الإحصاء السكاني لعام(١٩٨٨) وهو الإحصاء التجريبي، من خلال توزيع الإستمارة المنوه عنها وقد طبعت تسميتين قوميتين عربي/ كردي وبهذا ألغى الوجود الآخر للقوميات التي يعج بها العراق(ميخائيل، ٢٠٠١: ٢٧).

إن الفعل الحكومي العراقي جعل من القوميات الأخرى تنمية إدراك الخطر الذي يلحق بها من جراء هذا الفعل، فأخذت تعمل في اتجاه تحصين النشء بكل ما تعتقده الاحتفاظ بتمايزها وإثبات وجودها أمام القوميات الأخرى وخاصة القومية الكردية التي تغولت على باقي الأقليات القومية الأخرى وأوقعت بينها الخسائر في الأرواح والممتلكات نتيجة تمايزها من خلال النظام الحاكم والاعتراف بقوميتها دون القوميات الأخرى.

لقد لحق الأذى الكثير وهضم الحقوق على سبيل المثال للقومية الآشورية، فقد عمل الأكراد على ارتكاب الجرائم وإنهاء الكيان القومي الآشوري كشعب أصيل صاحب الأرض والتاريخ على أرض العراق وإقصاء وجوده في بلاد عاش عليها، فمن التدابير التي اتخذت بشأنهم هي(حنا، ٢٠١٤: 3/٦):

١- قتل أفراد وأعضاء من هذه القومية.
٢- إلحاق الأذى والضرر الجسدي والعقلي للكثير من أعضاء هذه القومية.
٣- إخضاع هذه القومية إلى ظروف وأحوال معيشية قاسية.
٤- نقل أطفالهم إلى جماعات أخرى.

إن هذا ما كان لولا أن الفكر القومي الذي يتحكم في عقلية أصحاب السلطة في الدولة المركزية لم يعط الأكراد حجما أكبر ويتناسى بقية المكونات الديمغرافية للشعب العراقي.

وأما القومية التركمانية فقد لحق بها ما لحق من نتائج الفكر القومي الذي ارتكز على الجنس وتناسى مقوم الدين، فالدساتير العراقية عام(١٩٧٣، ١٩٧٢، ١٩٧٧، ١٩٩٠) لم تتطرق لهذه الأقلية القومية، وحرموا من حقوق المواطنة منذ عام(١٩٨٣)، فقد طغت القومية الكردية وأخذت تملي إملاءات على أصحاب القومية العربية، وهذا يتضح من عدم السماح للتركمان من امتلاك عقار أو أرض في مدينة كركوك أو ما حولها إلا بعد تغيير قوميته إلى العربية، وإعلان انتمائه إلى أحد العشائر العربية، وتنكرت له السلطة العراقية على لسان وزير خارجية الدولة العراقية (طارق عزيز) عندما قال إن التركمان طارئون على الدولة العراقية(مردان، ٢٠٠٤: 2/٢٤).

إن الأبعاد السياسية التي تركتها التوجهات القومية على الدولة القطرية نتيجة الاعتماد على الجنس كمحرك رئيس للقومية العربية، وإغفال مقوم الدين الذي عاش العربي مع غيرهم من أهل الأجناس والديانات والمذاهب المختلفة ردحا من الزمن في استقرار وتعايش لا مثيل له، ويمكن إجمال ذلك بما يلي: (سمهدانة، ٢٠١٠: ٥-٦)

١- هدر الموارد البشرية والمادية من جراء الصراع بين القوميات الأخرى كالأكراد والآشوريين والتركمان وغيرهم، وهدر الطاقة المحلية بوجه الأقلية، واستخدام موارد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدولة في غير مكانها ضمن صراع مع القوميات الأخرى، وهذا ما جرى في العراق مع توجهات القومية المنقوصة.

٢- التركيز على أدوات الصراع مع القوميات الأخرى وتوجيه الموارد إلى الصراع مما أدى إلى تأخير عملية التنمية المستدامة في العراق نتيجة وضع كل الإمكانيات لكسب معركة الصراع الدائرة مع القوميات الأخرى.

٣- إضعاف كيان الدولة سياسيا بسبب انشغالها في الداخل مع الأقليات مما جعلها مطمعا لكثير من الدول الطامعة أصلا في أرض العراق وهي كثيرة.

٤- وضع العراق أمام مسؤولية دولية أمام لجان حقوق الإنسان الدولية.

٥- أصبحت القوميات الأخرى العراقية مصدر تهديد للدولة العراقية، من خلال استخدام الدول الأخرى هذه القوميات الأخرى أداة من أدوات سياستها الخارجية أو استغلالها كموطئ قدم للتدخل الخارجي في العراق، وهذا ما تم فعله أثناء الحرب العراقية مع التحالف عام(١٩٩١) واحتلال العراق عام(٢٠٠٣).

٦- أصبحت القوميات الأخرى مصدر تهديد اقتصادي للدولة العراقية، حيث إن العراق حرم من الخيرات الكثيرة في شمال العراق وخاصة النفط.

وأما إقليميا فإن القوميات الأخرى كالأكراد، والآشوريون، والتركمان أخذت تتطلع إلى دول الجوار لعلها تجد في ذلك الحفاظ على كيانها الوجودي في العراق، وهذا ما دفع دول الجوار العراقي إلى التدخل في الشؤون الداخلية العراقية، واتباع سياسات ترمي إلى تقويض كل مقوم قومي عربي في العراق خاصة والبلاد العربية عامة، وذلك عن طريق دعم القوميات العراقية الأخرى غير العربية من خلال تدريب وتسليح عناصرها للتمرد ضد السلطة المركزية في بغداد(الهزايمة، ٢٠٠٧: ٢٦١)، وهذا لاقى ترحيبا من الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها وكذلك دولة الكيان الصهيوني في فلسطين، فقد استثمرت هي الأخرى مسألة القوميات الأقلية في العراق لصالحها.

ومن هذا نرى التوجهات القومية للدولة القطرية العراقية أدت بها إلى ما يلي:

١. إن القوميات الأخرى كانت عونا للدول المجاورة وغير المجاورة على النظام العراقي صاحب التوجهات القومية.
٢. إن الدول الطامعة أخذت تستخدم القوميات الأخرى كالأكراد، والتركمان، والآشوريين، كأداة من أدوات سياستها الخارجية.
٣. إن النظام الحاكم لم يراع سلبيات التوجهات القومية عندما لم يجعل للدين مكانة بين مقومات التوجهات القومية، ومعاملة الأقليات وفق الأسس التي نادى بها الإسلام.

إن النظام الداعي للقومية في العراق جعل من دعوته هذه سببا في تأليب الداخل للقضاء عليه، ودعوة للدول الأجنبية الأخرى سواء كانت المجاورة أو غير المجاورة للقضاء عليه، وذلك بدعاو كثيرة ومعظمها لا أساس لها من الصحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني:

ذهاب القومية العربية بسقوط النظام الداعي لها

مما لا شك فيه أن التوجهات القومية تبقى فاعلة وينظر إليها بنظرة السمو، وتتطلب السعي نحو تحقيقها ما دامت سلطة ترفعها قابلة للتطبيق، وأما إذا ما ضعفت السلطة فإن المناداة بها تضعف، فما بالك إذا سقطت السلطة المنادية بها، فإنها بلا شك تذهب أدراج الرياح كتلك القومية التي رفعت شعارا في العراق ونادى حكم البعث بضرورة العمل على تحقيق أهدافها؛ لأنها تكمل في ثناياها مصلحة العرب كل العرب.

إن العراق محل مطامع للدول المجاورة والدول الكبرى كذلك، وقد أخذت هذه الدول تتحين الفرص للنيل من العراق، فبعد أن قامت بتصديع الجبهة الداخلية للدولة، وإثارة الفتن والقلاقل في الداخل، وقيامها بتضخيم التصريحات العراقية الرامية إلى التهويل بالقوة العراقية بعد أن سممت الداخل العراقي، هذا التهويل له مقاصد في مقدمتها تأليب دول الجوار والرأي العام على أن العراق له أهداف توسعية على حساب جيرانه، وامتلاكه أسلحة ذات خطورة بالغة، الأمر الذي أدى بتكالب دول الجوار الجغرافي والدول العظمى وفي مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا وبدعاوى متعددة إلى القيام بتجييش الجيوش للقضاء على نظام الحكم القائم في العراق، وقد قامت الولايات المتحدة المتزعمة للعمل العسكري بإنهاء النظام الحاكم وذلك من خلال عمليتين عسكريتين، الأولى كانت بحجة حماية الدول الصديقة كالسعودية ودول الخليج العربي من قيام النظام باجتياحها كما فعل العراق بالكويت عام(١٩٩٠م)، والمرة الثانية بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وغيرها من الأسباب الواهية لتدمير هذا القطر وإنهاء نظامه الحاكم.

ولتحقيق أهداف هذا المطلب فإننا سنتناوله في فقرتين رئيسيتين هما:

أولا: إنهاك النظام القومي العراقي (حرب الخليج١٩٩١).

ثانيا: رحيل القومية العربية برحيل النظام الحاكم.

أولا: إنهاك النظام القومي العراقي(حرب الخليج ١٩٩١):

لقد قامت أمريكا وريثة الاستعمار بكل أشكاله والساعية للسيطرة على ثروات العالم، وإيجاد أسواق استهلاكية لمنتجاتها" بوضع استراتيجية قومية للولايات المتحدة الأمريكية وذلك بالأمر الرئاسي رقم(١٠) الذي أصدره الرئيس "جيمي كارتر" والمتضمن الإستراتيجية القومية للولايات المتحدة الأمريكية" وذلك بعد قرار الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية بمنع تصدير النفط للدول التي تدعم الكيان الصهيوني في فلسطين أثر حرب(١٩٧٣)، وتتضمن هذه الإستراتيجية تفصيلات للأسس السياسية والعسكرية لمذهب "كارتر"، وهي:

١. ضرورة الإعداد لحروب صغيرة.
٢. إنشاء قوات للانتشار السريع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. توجيه ضربات إلى مناطق الشرق الأدنى والشرق المتوسط، وإيران، وباكستان، والخليج العربي.
٤. اعتبار منطقة الخليج ضمن المصالح العسكرية الإستراتيجية للولايات المتحدة، ولها حق التدخل لصد أي عدوان خارجي، والدفاع عن الحلفاء، وضمان تدفق النفط.
٥. إعلان أسس التدخل في منطقة الخليج العربي والقائمة على ضرورة التدخل باستخدام كافة الوسائل الضرورية بما فيها القوة العسكرية في حالة التطاول على المصالح الأمريكية في الخليج العربي، بغض النظر عن طابعه غزو خارجي أو قلب نظام الحكم.
٦. إن أي خطر يهدد أي دولة من الدول النفطية هو بمثابة تهديد مباشر لمصالح الولايات المتحدة. (الهزايمة، ٢٠٠٧: ١٩٢-١٩٣).

وبناء على ما تقدم فقد قررت الولايات المتحدة الإنزال العسكري في المملكة العربية السعودية في الحالات التالية:

- وقوع انقلاب عسكري في الرياض تنظمه عناصر معارضة للحكم.
- محاصرة مضيق هرمز من قبل إرهابيين أو معادين للسلطة السعودية، أو عند إغراق ناقلات النفط الكبرى وبث الألغام في المضيق.
- إذا أوقفت العائلة السعودية ضخ النفط.
- غزو القوات العراقية للكويت والعربية السعودية،(السمان، ١٩٩٦: ٩٠-٩٢).

وحتى تنفذ الإدارة الأمريكية الخطة قررت ما يلي:

أ.زيادة التواجد البحري للولايات المتحدة في المنطقة المجاورة للخليج العربي.

ب.إنشاء قوات التدخل السريع.

ج.إنشاء القيادة المركزية للخليج ومقرها ولاية (فلوريدا) الأمريكية (الهزايمة، ٢٠٠٧: ١٩٣).

لقد سعت الولايات المتحدة للبحث عن أية ذريعة للتدخل، وأغرت الكويت بزيادة إنتاجها النفطي لكي تهبط أسعار البترول عالميا؛ مما دفع العراق لاتهام الكويت بالمشاركة بمؤامرة أمريكية تستهدف أمن العراق ومصالحه الحيوية. وأدان العراق كذلك قيام الكويت بإقامة منشآت نفطية على الجزء الجنوبي من حقل الرميلة، وضخ النفط من هذا الحقل المشترك دون دفع أي دولار للعراق من ريع هذا النفط وخاصة أن العراق دافع عن البوابة الشرقية للوطن العربي وللخليج بشكل خاص، وصرف مليارات الدولارات من العملة الصعبة لتمويل هذه الحرب، وطالب الكويت بإلغاء ديونها البالغة (٣٥مليار) دولار، ولكن الأخيرة تمنعت وبتحريض من أمريكا وعرضت بيع ديون العراق في الأسواق العالمية للضغط على العراق وميزانيته، ولما لم تجد المحادثات نفعا مع الكويت قرر العراق غزو الكويت في(٢ آب عام١٩٩٠)، وكانت كارثة الكوارث وفتح أبواب الجحيم على العراق والعالم العربي.

وقد كان دخول العراق للكويت أزمة بالمعنى الحقيقي، وعناصر هذه الأزمة هي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأول: المفاجأة، حيث إن الدخول كان غير متوقعا، ولكن الإدارة الأمريكية كانت راغبة فيه لتحقيق أهدافها السابقة الذكر.

الثاني: ضخمت وسائل الإعلام العالمية بعض التصريحات التي كانت تصدر عن المسؤولين العراقيين بأنها تهدد الأقطار الخليجية جميعها، وتهويل قدرة الجيش العراقي بأنه الجيش الرابع في العالم.

الثالث: الرعب الذي دب بالأقطار العربية المتأثرة بالأزمة وخاصة العربية السعودية مما دعاها للإستعانة بدول خارج النظام الإقليمي العربي لدفع الضرر.

وأما أسباب الأزمة بين الكويت والعراق فكانت معظم نقاط الخلاف اقتصادية، وفي مقدمتها(الفانك، ١٩٩٢: ٥٧-٥٨) :

١- اتباع الكويت لسياسة نفط تخريبية حسب الرؤيا العراقية هدفها تخفيض سعر النفط.
٢- اعتبر العراق أنه قام بالحرب نيابة عن الكويت وبقية دول الخليج التي كانت مهددة من إيران وبالتالي لا بد من إسقاط الديون الكويتية عن العراق.
٣- اتهام الكويت بالاعتداء على حقل الرميلة النفطي لاستخراج النفط لصالحها.
٤- عدم تأجير جزيرتي (وربه وبوبيان) للعراق بحيث يحرم العراق من سواحل بحرية حيث إن سواحله على الخليج ضيقة جدا، ولا تكفي حاجة العراق لتصدير منتوجاته، بينما الكويت بلد صغير جدا بحجم محافظة من محافظات العراق وتملك ساحلا واسعا يعادل عشرة أضعاف الساحل العراقي على الخليج.

سعت الولايات المتحدة لاستثمار الأزمة لصالحها في مسعيين، الأول على صعيد هيئة الأمم المتحدة، والثاني على صعيد الدول المنتمية لهذه الهيئة، فعلى صعيد الأمم المتحدة تمكنت من الوقوف وراء عدة قرارات أصدرها مجلس الأمن تتعلق بأزمة الخليج العربي والجدول رقم(١)يبين ذلك (خشيم، ١٩٩٢: ٤٠)، وأما على صعيد الدول المنتمية لهيئة الأمم المتحدة فقد استطاعت الولايات المتحدة تجييش دول العالم للمشاركة في تنفيذ القرارات الدولية، أما الدول التي أسهمت عسكريا ولا عسكريا في التحالف المضاد للعراق أثناء الأزمة والحرب معا فهي(خشيم، ١٩٩٢: ٣٩):

١. دول ساهمت عسكريا هي: الولايات المتحدة، السعودية، بريطانيا، مصر، سوريا، فرنسا، الكويت، الباكستان، تركيا، كندا، بنجلادش، المغرب، قطر، الإمارات العربية، البحرين، عمان، إيطاليا، إسبانيا، أفغانستان، الأرجنتين، أستراليا، بلجيكا، بلغاريا، الدنمارك، ألمانيا، اليونان، هندوراس، هولندا، نيوزلندا، النيجر، النرويج، السنغال، سيراليون، بعدد إجمالي(٣٣) دولة.
٢. الدول ذات إسهامات غير عسكرية هي: اليابان، كوريا الجنوبية، تشيكوسلوفاكيا، المجر، بولندا، البرتغال، سنغافورة، سيرلانكا، السويد، بعدد إجمال(٩) دول.

وقد فشل الحل العربي ووضع الأمن القومي العربي في مهب الريح، وقاتل العربي أخاه العربي وجها لوجه من أجل مصالح غير العرب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: رحيل القومية العربية برحيل النظام القومي:

لم تكتف الولايات المتحدة بتحقيق أهدافها من حرب الخليج عام(١٩٩١)، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، فأخذت تضع الخطط لاحتلال العراق وإسقاط نظامه حتى لا يبقى من ينادي بالقومية العربية التي تشكل بنظرهم خطر توحد الأمة العربية والإضرار بمصالحهم، وخاصة أن النظام في العراق كان قد أمم البترول أثر حرب عام(١٩٧٣) بين العرب وإسرائيل، وأنشأ شركة وطنية عراقية لاستخراج وتسويق النفط، وكان ذلك ضربة موجعة للمصالح الغربية وشركاتها العملاقة متعددة الجنسيات والعابرة للقارات فبدأ الكيد للعراق ونظامه منذ ذلك التاريخ.

وقد أطلقوا على الحملة العسكرية على العراق عام(١٩٩١م) إسم(درع الصحراء)ويبرز السؤال هنا لحماية الصحراء ممن؟ والجواب هو لحمايتها من أهلها أنفسهم أي لحماية الثروات المعدنية الموجودة في هذه البلدان وتوفيرها لشركاتهم ومصالحهم وإبقاء مستوى الرفاهية لشعوبهم عال جدا، حيث إن ما تستنزفه هذه الشركات من خيرات هذه البلدان يعود بالفائدة العظيمة على شعوبها، حتى أن كلابهم تعيش بمستوى أرستقراطي عال جدا يفوق مستوى معيشة كثير من البشر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وجاءت حرب تحرير العراق عام(٢٠٠٣م) لتحرير العراق من نظام صادر حرية شعبه وغلهم بالأغلال، ولكن لو نظرنا إلى العراق بعد إحتلاله ما هي الديمقراطية المزيفة التي جلبوها له؟، جلبوا مجموعة من الحاقدين على النظام وشعب العراق، وكانوا من طائفة معينة كتب لهم (بريمر) الحاكم المدني الأمريكي دستورا على مقاسهم، حيث أنه مهد في هذا الدستور للنظام الكونفدرالي بين مكونات الشعب العراقي، وذلك لتقسيم العراق وتفتيته، وبدأت بشائر هذا التقسيم الآن على النحو التالي:

١. تمدد الأكراد في مناطق السنة في الشمال والشمال الغربي بحجة طرد عصابات داعش الإرهابية من المناطق السنية التي سيطروا عليها، وعند تحرير هذه المناطق كانوا لا يسمحون لأهل المناطق المحررة بالعودة إلى منازلهم، أي أن حدود إقليم كردستان العراق قد توسعت وبدعم غربي فاعل لدعم جهد الأكراد العسكري، وهم الآن على وشك إعلان استقلال إقليمهم بدولة كردية.
٢. تمدد الشيعة في مناطق الجنوب والوسط وخاصة بغداد، وتم طرد أعداد هائلة من أبناء المكون السني من عاصمة بلدهم، وإذا حاول أحدهم العودة إلى العاصمة بلده يحتاج إلى كفيل من داخل بغداد.
٣. أصبح المكون السني في الغرب والشمال الغربي لا حول لهم ولا قوة، حتى أنهم يسمون "أيتام صدام" نسبة إلى قائد النظام العراقي السابق، وقد وقعوا بين مطرقة عصابات داعش التي سيطرت على معظم مناطقهم، وسندان المليشيات الشيعية الحاقدة أو ما يسمى "بميليشيات الحشد الشعبي" التي ما إن تحررت منطقة من سيطرة داعش حتى تعيث فيه فسادا من قتل وتدمير وحرق للمنازل، ونهب للمتاجر، أي أنهم يجعلونها أرضا محروقة لا تصلح للحياة، وهذا دفع بالسنة إلى التفكير بالانفصال أيضا عن الجسم المركزي العراقي.
٤. نتج عن تسريح الجيش العراقي الذي قام به"بريمر" وتسريح القوات الأمنية السابقة أن جاءت قوات أمنية يتبع معظمها للرموز الشيعية الموجودة في العراق والتي أصبحت متنفذة وقوية، وأصبحت دولا داخل دولة العراق، حتى أن رئيس الوزراء أصبح مكتوف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأيدي إزاء قوة ونفوذ هذه المليشيات ورموزها، حيث تغلغلوا في مفاصل الدولة العراقية بقوة وبأس شديدين، فهو مقيد بالولي الفقيه وفتاويه حسب المذهب الشيعي.

يتبين لنا مما سبق أن لا ديمقراطية قد تحققت في القطر العراقي حسب ادعاءات الغرب الكاذبة، وهي ديمقراطية على مقاسهم، وتحقق لهم ما وعد به الرئيس الأمريكي الأسبق"بوش الأب" بأنه أعاد العراق للعصر الحجري، من دولة صناعية متقدمة تسيطر على ثرواتها إلى دولة ينخرها الفساد والانقسام، وأصبحت صناعة القتل وسفك الدماء والتطهير العرقي أهم صناعة داخل العراق الجديد، فلا ديمقراطية قد تحققت ولا ظلم ولا هوان أزيح عن كاهل الشعب العراقي بإزاحة النظام السابق وتصفية كافة رموزه، بل ازدهرت أعمال الشركات الغربية التي ولغت في ثروات العراق الذي يعوم على بحر النفط والغاز والمعادن الأخرى، إن الحقيقة شيء والادعاء شيء آخر.

المسوغات التي اعتمدت عليها الولايات المتحدة لإنهاء النظام العراقي:

هناك (٣) مسوغات ساقتها الولايات المتحدة لدول التحالف التي اشتركت معها في تدمير العراق وهي:

١. البترول(الذهب الأسود): المقولة البريطانية التي تتحدث عن"الذهاب حيث يكمن النفط" (السائحي، ٢٠٠٣: ١٨)، وقد سارت الولايات المتحدة بكل قوتها وجبروتها بحرب لا هوادة فيها، حشدت لها كل أسباب القوة والنجاح في حرب هندسها ودفعها بقوة أرباب النفط، بعد أن أصبح لهم ولشركاتهم النفطية النفوذ الواسع والذراع الطويل في كواليس الحكم وأروقة صناع القرار في دول التحالف، وقد دخلت دولة العراق التاريخ من أوسع أبوابه عندما وضعته أعظم قوة اقتصادية وعسكرية في العالم(أمريكا) نصب عينيها للاستيلاء والسيطرة عليها، لأنها تريد ذهبه الأسود كنز القرن الحادي والعشرين،(جورج، ٢٠٠٣: ٤١).

وهذه السيطرة كانت وما زالت هدفا غربيا من قبل أن ترث الولايات المتحدة الدور الاستعماري البريطاني في المنطقة، فقد كان العراق منذ عام(١٩٢٥م) بوابة الشركات البريطانية والأمريكية إلى آبار النفط العربية وخاصة إذا علمنا أن البترول العراقي له الخصائص التالية: (الهزايمة، ٢٠٠٧: ٢٠٠)

أ.تعطي البئر العراقية أكثر من ثلاثة عشر ألف برميل يوميا في غالب الحالات، أي ما يعادل ما تعطيه (٩٠٠) بئر أمريكية، وأضعاف ما تعطيه الآبار السعودية والكويتية والإيرانية بنسب تتراوح ما بين(٥٥-٦٠%).

ب.يتميز النفط العراقي بقلة كلفة الإنتاج حيث تبلغ تكلفة إنتاج البرميل الواحد ما بين دولار ودولار ونصف فقط، في حين تصل هذه التكلفة إلى حوالي(١٢) دولار في أمريكا الشمالية و(١٨) دولارا في أمريكا الجنوبية بالإضافة إلى جودته العالية، كما أن(٥٠%) من الحقول النفطية العراقية لم يجر تقويمها بعد، ومنها منطقة الصحراء الغربية(جورج، ٢٠٠٣: ٤٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج.الاحتياطي النفطي الهائل في العراق، لأن العراق ينام على بحيرة من النفط قدرتها الدراسات ب(١١٢) مليار برميل ذي جودة عالية لاحتوائه على مستويات متدنية من الكبريت، وزاد من أهمية التعلق بالعراق اكتشافه الجديد لحقل نفط في صحرائه الغربية، وفيه ما يفوق ما تحويه السعودية برمتها من النفط، وبكلفة إنتاج لا تتجاوز(٩٧) سنتا للبرميل الواحد حسب قول"جون تلنق" رئيس إحدى الشركات النفطية الغربية، مقارنة بنفط الشمال الذي تصل كلفة إنتاج البرميل الواحد ما بين(٣-٤)دولارات، الأمر الذي يجعل بترول العراق يوفر أرباحا تصل إلى(٩٧%) (السائحي، ٢٠٠٣: ١٨)، وهذا الاحتياطي العملاق يفوق احتياط أمريكا عدة مرات حيث تملك الأخيرة(٢١) مليار برميل وتستهلك حاليا(١٧)مليون برميل يوميا، سيقفز إلى(٢٦) مليون برميل عام(٢٠٢٠م)، مع العلم أن إنتاج أمريكا اليومي لا يزيد على(٩) مليون برميل حيث إنهم بحاجة لإستيراد(٧) مليون برميل يوميا(جورج، ٢٠٠٣: ٤٣).

هناك عوامل سياسية إلى جانب العامل الاقتصادي الكامن في الثروة النفطية وتتلخص بما يلي:

- إن الوصول إلى سدة الرئاسة في الولايات المتحدة والوصول إلى أعلى المناصب يتطلب استرضاء شركات البترول والتي لها باع طويل في ترشيح من يخدم مصالحها لأعلى المناصب(السائحي، ٢٠٠٣: ١٨).
- إدامة الهيمنة والسيطرة على العالم، ولتحقيق هذه الهيمنة لا بد من السيطرة على نفط العالم(السائحي، ٢٠٠٣: ١٨)، وهذا جوهر المقولة القائلة "إذا أردت أن تحكم العالم فعليك السيطرة على النفط، كل النفط وفي كل مكان".
- قول "هنري كيسنجر" لزعماء أوروبا "إن حضارتنا جميعا ستبقى في خطر إذا بقي العرب يسيطرن على النفط الذي يشكل دم الحياة للحضارة الغربية"، كما إن"جورج بوش الابن" الذي أدار غزو العراق عام(٢٠٠٣) له خبراته الواسعة في مجال النفط منذ أن كان في ولاية تكساس، وأن"ديك تشيني" وزير الدفاع الأمريكي الأسبق كان مديرا لأهم شركات النفط العالمي"هاليبورتون"، كما أن"كونداليسارايس" كانت مستشارة إدارية لشركة"شرفون" البترولية(مجلة المجتمع الكويتية)، ٢٠٠٢: ٢٣).

٢. أسلحة الدمار الشامل: ألصقت هذه التهمة بالعراق وهي تهمة باطلة، ورغم نفي العراق لهذه التهمة مرارا وتكرارا، ورغم التفتيش الدولي المذل على مدى اثني عشر عاما من الحصار ولم يجدوا شيئا من تلك الأسلحة المزعومة، إلا أن أمريكا وحلفاءها بقوا مصرين أن النظام العراقي يمتلك أسلحة دمار شامل هائلة، وعلى رأي المثل القائل "عنزة ولو طارت" حتى يبرروا غزوهم لهذا البلد وتدميره والاستيلاء على ثرواته، ورددت أبواقهم الإعلامية هذه الدعاية الكاذبة، وقد أثيرت هذه القضية بعد أزمة(١٩٩٠م)، في حين لم يلحظ أحد من المراقبين استخدام النظام العراقي مثل هذه الأسلحة في حربه تلك، وفي عام(٢٠٠٢م) وتعليلا لإدارة الحرب واحتلال العراق صرح "رامسفيلد" بالقول "إن صدام يبغض الولايات المتحدة ويمتلك أسلحة الدمار الشامل" (لوران، ٢٠٠٣: ٤٤-٤٥).

ورغم نفي رؤساء لجان التفتيش أمثال"هانزبليكس" كل الادعاءات وحسم الموضوع بقوله "لم نحصل على أي دليل بوجود أسلحة للدمار الشامل في أي من المواقع" ، وأكد أن المعلومات الاستخبارية التي استندت إليها واشنطن ولندن كانت كاذبة، وكذلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تصريحات "جيمس ريتر" رئيس مفتشي"يونسكوم" أمام مجلس الشيوخ ومجلس العموم البريطاني، "بأن لجانه دمرت(٩٥%) من أسلحة العراق ووسائل إنتاجها، فلم يعد بإمكانه تطوير أي قدرات بهذا الاتجاه" (الهزايمة، ٢٠٠٧: ٢٠٧)، وكذلك لم يعثر الأمريكيون والبريطانيون على أي أثر لهذه الأسلحة حتى بعد احتلال العراق بأشهر.

٣. بابل وأساطير التوراة: لم ينس الصهاينة أن العراق ضمن الدول الموصوفة في الكتاب المقدس، فقد نسبوا إلى الرب قوله لإبراهيم: "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" (سفر التكوين، الإصحاح: ١٥(٤٨-٤٩)، فمع احتلال العراق اقترب اليهود من تحقيق حلمهم، لأن المشروع بدأ من جديد ليس مجرد نص توراتي، بل أصبح محتوى الخطة التي أودعها"هرتزل" في كتابه الدولة اليهودية، والذي يمضي بلا توقف عبر مراحل من الحرب أو السلام الخادع وكل مرحلة تقطع شوطا على درب التنفيذ(كامل، ٢٠٠٣: ٥٢)، والعراق كان على مائدة التخطيط لدى من وضعوا ما عرف في عقد الثمانينات من القرن الماضي ب"مخطط الدويلات الطائفية"، وهو مخطط نشرت محتواه مجلة "كيفونيم" الإسرائيلية عن تقرير للمنظمة الصهيونية العالمية بالقدس، والفقرة التي تخص العراق قالت: "أما العراق فهو غني بالبترول، وفريسة لصراعات داخلية، وسيكون تفكيكها أهم بالنسبة لنا (اليهود) من تفكيك سوريا لأن العراق يمثل على الأجل القصير أخطر تهديدا لإسرائيل" (جريدة العرب تايمز، ١١كانون الأول١٩٩٢).

أما ما يتعلق ببابل فتعود القصة إلى سبي اليهود على يد(نبوخذ نصر) البابلي وتدمير ملكهم، بالرغم من أن السبي وقع عام(٥٨٦ ق. م)(التوراة، سفر الملوك الثاني، الإصحاح٢٤: ١٠-١٧)، إلا أن الخشية من ملك يأتي من العراق الذي يضم تحت جناحيه بابل لا زالت قائمة.

إن السبي البابلي والنصوص التوراتية أسباب موجبة لضرب العراق تضاف إلى بقية الأسباب المسوغة لضربه والتي تبنتها التصريحات وتناقلتها الصحافة العالمية، وحتى يكون العراق مدمرا لا بد وأن يتم ما يلي: (صالح، ٢٠٠٣: ٥٨)

- تدمير الجيش العراقي تدميرا شاملا، وتسريح من بقي منهم حيا من الخدمة فيما بعد.
- تدمير البنية التحتية العراقية.
- السيطرة على نظام الحكم في العراق.
- التغلغل داخل البنية العراقية اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وعسكريا واجتماعيا وسلوكيا وطي الحضارة الإسلامية(الهزايمة، ٢٠٠٧: ٢١١).

إن الأسباب التي سوغت لغزو العراق هي أسباب واهية جدا، والواقع الصحيح أن هناك أحوالا إنسانية، وصراعات سياسية، ومطالب إمبراطورية غربية، وضرورات بترولية، ولوازم انتخابية وأمور دينية روحية....الخ(الهزايمة، ٢٠٠٧: ٢١١).

وبعد سوق هذه المسوغات وما لها وما عليها نرى أن الهدف كان واضحا اقتصاديا وسياسيا، وكان هدف القضاء على النظام الذي كان ينادي بالقومية العربية كان واضحا، وبرحيل هذا النظام والذي سببت له الدعوة إلى القومية كل هذه المشاكل الخارجية والداخلي معا، يكون قد أقفل آخر باب من أبواب القومية ودعاتها، حيث إن الدعوة إلى القومية في العراق سببت له من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المشاكل الداخلية الشيء الكثير من تمرد كردي إمتد لعشرات السنين ومن تمرد شيعي خلال حرب(١٩٩١) وتمرد كردي آخر في الشمال، فقد كانت القومية والدعوة إليها وبالا على العراق وأهله وجلبت الويل والدمار لهذا البلد.

بعد أن سوغت الولايات المتحدة لحربها على العراق فما كان عليها إلا بدء الحرب بعد أن أقنعت الرأي العام الأمريكي بتزييف الواقع واعتبرته حقائق ثابتة، وقد كانت بداية الغزو الأمريكي البريطاني على العراق يوم الخميس العشرين من آذار(٢٠٠٣) بعد ساعة ونصف من انتهاء مهلة(٤٨ ساعة) التي حددها الرئيس الأمريكي جورج بوش للرئيس العراقي (صدام حسين) للتنحي عن السلطة وترك البلاد مع ولديه، حيث بدأت حرب الخليج الثالثة بإطلاق ٤٠صارخ كروز من سفن وغواصات أمريكية على بغداد، وتبعتها ضربات جوية استهدفت أبرز عناصر القيادة العراقية، هذا وقد ألقى الرئيس الأمريكي "جورج بوش" الابن كلمة إلى الشعب الأمريكي في ساعة مبكرةيخبرهم بأن العمليات الصاروخية والجوية قصدت أهداف منتقاه وتعهد فيها باستخدام القوة الحاسمة لتقصير أمد الحرب، وأشار مصدر عسكري بريطاني أن الهجوم البري الرئيسي قد بدأ وشاركت القوات البريطانية فيه، وأطلق العراق(٩)صواريخ استهدفت القوات المتحالفة شمال الكويت وأضرم النار في عدد من آبار النفط العراقية قرب الحدود مع الكويت.

ومن الجدير بالذكر أن المجال الجوي التركي كان مغلقا أمام الطائرات الأمريكية لأن البرلمان التركي لم يوافق على عبور الطائرات المغيرة على العراق من أجوائه، وكذلك لم يسمح باستخدام قواعده الجوية لطائرات الحلفاء، وقامت بعدها الطائرات الأمريكية والبريطانية منطلقة من قواعدها في السعودية ودول الخليج والأردن وحاملات الطائرات بألف طلعة جوية أطلقت خلالها(١٠٠٠) صاروخ على العراق، وقد أعلن أن الهجوم الكبير على العراق قد بدأ، وقد صمد ميناء (أم قصر) الإستراتيجي في وجه القوات الغازية صمودا أسطوريا، وبدأ بعدها العراق بإطلاق الصواريخ على إسرائيل وحصل أول اشتباك بين فرقة من الحرس الجمهوري والقوات الغازية قرب النجف وحصلت خسائر كبيرة في كلا الطرفين، وأعلن وزير الدفاع البريطاني أن المعركة أصبحت حاسمة لدخول بغداد، وترافق مع ذلك مئات الطلعات الجوية اليومية ومئات صواريخ (كروز وتوماهوك) ولم تستطع الطائرات العراقية المقاومة وذلك بسبب السيطرة الجوية المطلقة للحلفاء حتى أن العراق هرب حوالي(١٦٨) طائرة مقاتلة إلى إيران لحمايتها من التدمير، وقد صادرتها إيران لنفسها في ذلك الوقت وأسرت االطيارين، وحصلت خسائر كبيرة في المدنيين والمواقع الإستراتيجية ومجمعات قصور الرئاسة وكان القصف لا ينتهي على مدار الساعة، حيث حشدت لهذه العمليات ما يقارب(٣٠٠٠) طائرة قاذفة ومقاتلة، وقد أبيدت فرقة بغداد من الحرس الجمهوري نتيجة استهداف مواقعها بالقصف الشديد، وقد دارت في هذه الأثناء معركة مطار بغداد الذي تكبدت به القوات الغازية عشرات القتلى والجرحى وقد أعلن "توني بلير" رئيس الوزراء البريطاني أنه يتعهد فور سقوط نظام صدام حسين ببدء العمل على بناء عراق جديد حر وموحد، ويؤكد الرئيس صدام حسين صمود بغداد في وجه الغزاة ويضع مجلس النواب الأمريكي قانونا يستبعد فرنسا وألمانيا وسوريا وروسيا من عقود إعادة إعمار العراق لمعارضتهم الغزو.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ساعدت القوات الكردية القوات الغازية على العبور من الشمال باتجاه الموصل وقدمت لها كل التسهيلات وشاركت معها في القتال، وبعد أن أحكمت القوات الأمريكية الطوق حول بغداد خاضت عمليات اقتحام متفرقة بحيث وصلت دباباتها إلى مركز المدينة بعد احتلال المواقع الرئيسية فيها، وقد حدث ارتباك شديد في القيادة العراقية التي لم تعد تسيطر على قواتها حيث قتل المئات، وجرح الآلاف، وتقطعت السبل بالقوات المدافعة عن بغداد بسبب الصدمة والرعب من السيطرة الجوية المطلقة والقصف الصاروخي الرهيب الذي لم يحشد مثله منذ الحرب العالمية الثانية ولغاية الآن؛ مما سهل على الحلفاء دخول بغداد بخسائر خفيفة قياسا بحجم القوات المشاركة في القتال، وقد ابتهجت جموع كبيرة من الشيعة بسقوط بغداد(عاصمة بلدهم) بيد الغزاة، وأخذوا يحيون القوات الغازية في الميادين الرئيسية.

أما في الشمال فقد سقطت مدينة الموصل بدون قتال بعد إستسلام القوات العراقية المدافعة عنها وكذلك مدينة كركوك، وقد سيطرت مشاة البحرية الأمريكية على مدينة تكريت مسقط رأس الرئيس العراقي، وقد قالت وزارة الدفاع الأمريكية أن عدد الجنود الأمريكيين الذين قتلوا في العراق بلغ (١٢٣) وأن(٤٩٥) جرحوا، وقد اكتمل احتلال كامل الأرض العراقية وغاب الرئيس صدام والقيادة العراقية عن مسرح الأحداث(الخليل، ١٤٢٤ه: 10/22).

لقد رحل النظام العراقي ورحلت معه الدعوة القومية، واليوم في العراق الجديد لم نجد أي طنين أو خبر ينادي بالقومية أو يدعو لها؛ لأنهم يرون بالعراق اليوم غير قادر على لملمة جراحه فكيف ينادي بتيار فكري، وعلى ما أعتقد أن النخبة السياسية هناك تعادي هذا التوجه وتحاربه، وتنادي بالتوجه الطائفي الذي مزق هذا البلد ووصل به إلى درجة الحضيض فأصبح دولة(فاشلة)، وهكذا يتبين لنا ما يلي:

١. إن الأقليات التي نادت بكونها غير عربية عندما أطلقت صيحة القومية وتم استثناء الدين كأمل أساسي ومرجعي في هذه الصيحة، جعلت من الأقليات سهاما أخرى تضاف إلى سهام الولايات المتحدة وبريطانيا، وتتماشى مع مخططاتها حتى تحقق مصالحها هي الأخرى، كما تسعى الولايات المتحدة وبريطانيا لتحقيق مصالحها.
٢. إن النظام القومي العراقي لم يحسن استخدام الدعوة إلى القومية وهذا تبين من خلال تهميش الأقليات الأخرى غير الإسلامية.
٣. إن الدول الإقليمية هي الأخرى لا ترغب بإقامة دولة قومية عربية لكون هذه الأقطار تكون من وجهة نظرها في مرمى دائرة الخطر، ولا يهمها إلا المحافظة على مصالحها الخاصة.

وأخيرا علينا القول: إن النظام السياسي العراقي أخطأ بتوجهاته القومية التي أسقطت عامل الدين ولم تستثمره، ولنا في التاريخ عبرة والتي قامت على عدم إستعداء أي فريق صغر أم كبر بمعنى أي إثنية كبرت أم صغرت، ففي حرب التحرير الجزائرية حاول البربر(الأمازيغ) الانشقاق عن الصف الجزائري لكونهم ليسوا عربا، فكانت الخطوة التي لا تقدر بثمن جاء بها شيخ المجاهدين(عبدالحميد ابن باديس) حيث أقنع البربر على أن الاعتبارات العرقية ليست أساس المفاضلة بين هذا وذاك، وذلك عندما رفع لواء الإسلام في هذه الحرب حيث نادى بأعلى صوته وتبعه الجزائريون في تلك الصيحة والتي مفادها:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب"، فهب الجميع عرب وبربر يناضلون حتى تمكنوا من إخراج الفرنسيين من بلادهم، وعادت الجزائر إلى أحضان العروبة والإسلام بعد أن غابت(١٣٠)سنة في أحضان فرنسا.

إن القوميين العراقيين إستبعدوا الدين وإعتمدوا على العرق كأساس لدعوتهم القومية، وكان ما كان من تعاون الإثنيات غير العربية مع أعداء العراق حتى تم تحطيم العراق، وأحيل النظام القومي ولم يعد في العراق من ينادي بهذه القومية التي ملأت بطون الكتب، وبحت الحناجر بالمناداة لها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة:

إن الدولة القطرية العربية وتوجهاتها السياسية تحسب عليها، وبالتالي فإن أحسنت اختيار التوجه في ظل الظروف الدولية والإقليمية السائدة فهي تصل إلى تحقيق أهدافها ولو على الأقل أن يكتب لها بالبقاء، وخلاف ذلك فإن الدولة القطرية تقع في فخ سياسة أن تكون أو لا تكون. لقد جاءت هذه الدراسة والموسومة ب: (القومية العربية وآثارها على الدولة القطرية العربية) وفق مقتضيات المنهج العلمي الذي يأخذ بالمقدمات وصولا إلى النتائج، حيث لو أردنا إجمال أثر القومية باقتضاب لقلنا إن آثارها واضحة حيث ذهبت بالنظام الذي كان ينادي بها، إن هذه الدراسة جاءت وفق فرضية مفادها(أن هناك علاقة ارتباطية بين التوجهات القومية واستقرار أو عدم استقرار الدولة القطرية العربية) وجاءت مؤكدة لصحتها، هذا وقد أوصلتنا الدراسة إلى كيفية الوصول إلى صحة الفرضية وكذلك إلى عدة استنتاجات وعدة توصيات، وسنتناولها فيما يلي:

أولا: دلائل صحة الفرضية: إن الدلائل التي قادتنا إلى صحة الفرضية كانت تعتمد على ما يلي:

أ.استقراء الأحداث والنتائج التي آلت إليها عندما نادى العراق بالتوجه القومي.

ب.نفور الأقليات العراقية ومعاداتها للنظام على اعتبار أن هذه الأقليات ليست عربية، ولطالما كان الجنس العامل الأساسي في بناء التوجه القومي فكان الاحتجاج من قبل هذه الأقليات أنهم ليسوا عربا، وبالتالي ليسوا معنيين ببناء القومية العربية، وهذا ما كان على أرض الواقع ومستخلص مادة الرسالة.

ج.مساندة الأقليات للغزاة في احتلالهم للعراق وبالتالي كانت سهامهم تسبق سهام الغزاة لأن الأمل كان يحدوهم بإقامة كيان سياسي يضم أبناء جلدتهم بعيدين عن العراق الذي عاشوا في أكنافه سنينا طويلة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: الاستنتاجات:

لقد أفضت الدراسة إلى عدة إستنتاجات هي:

١. إن القومية تيار فكري جاء من التيارات الفكرية الغربية، ونقلها أولائك الذين درسوا في تلك البلدان، إذا النشأة خارج الوطن العربي.
٢. إن الدولة القطرية العربية دولة لا تستطيع العيش بإمكانياتها وبالتالي فهي تعيش بمساعدة الدول التي أوجدتها؛ لأنها تمثل كيانا سياسيا يحقق أهداف الدول الكبرى بالمنطقة ولم تعرف مثل هذه الكيانات من قبل المنطقة العربية.
٣. إن الفكر القومي لاقى مواجهة عنيفة داخل المنطقة العربية وخصوصا من الفكر الإسلامي الذي يرى بالقومية مخالفة للدين ولا تتماشى معه.

٤. إن الدولة القومية العربية(العراق) لم تستطع التوفيق بين الدعوة القومية وعناصرها، ومتطلبات الأقليات الإثنية التي تعيش على أرضها، فخلقت من هذه الأقليات سهاما تضاف إلى سهام الأعداء في إنهاء الحكم العراقي.
٥. إن الدول الإقليمية(إيران وتركيا) كانتا تريا بالقوة القومية انحسارا لنفوذهما في المنطقة العربية وبذلك تمت معاداة العراق بكل ما أوتيت من قوة.
٦. إن الدول الكبرى ونخص (الولايات المتحدة وبريطانيا) لا ترغبان بإقامة دولة وفق توجهات قومية لأن ذلك من شأنه إضافة إلى هذه الدولة دولة أخرى، وهكذا فتصبح قوة تقف حائلا بين هذه الدول وأطماعها في المنطقة العربية.
٧. إن تكالب كل القوى على العراق وإنهاء الحكم فيها ما كان بهذه الصورة لولا الدعوة التي نادى بها والقائمة على القومية العربية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا:التوصيات:

إن الاستنتاجات السابقة استوجبت التوصيات التالية وهي:

١. ضرورة عدم تهميش الأقليات في الوطن العربي حتى لا يكونوا عونا للأجنبي إذا ما أراد سوءا بأي دولة عربية.
٢. ضرورة الأخذ بتوجهات وحدوية يكون للجميع نصيب في بناء هذه الوحدة.
٣. وضع مخطط عربي شامل يقوم بداية على الوحدة الاقتصادية كسوق عربي مشترك وصولا إلى ما وصلت إليه الدول الأوروبية من وحدة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملحق(أ):

تاريخ احتلال واستقلال الأقطار العربية.

الرقم	الدولة	الدولة أو الدول المحتلة	تاريخ الاحتلال	تاريخ الاستقلال
١.	السودان	بريطانيا	١٨٩٨م	١٩ ديسمبر ١٩٥٥م
٢.	الجزائر	فرنسا	٥ يوليو ١٨٣٠م	٥يوليو ١٩٦٠م
٣.	ليبيا	إيطاليا وصاية إيطالية على طرابلس وصاية بريطانية على برقة وصاية فرنسية على فزان	٣ اكتوبر ١٩١١م ٢٤ ديسمبر١٩٤٣م	١٠ فبراير ١٩٤٧م ٢٤ ديسمبر ١٩٥١م استقلال نهائي
٤.	موريتانيا	فرنسا	١٩٠٣م	٢٨ نوفمبر ١٩٦٠م
٥.	مصر	فرنسا بريطانيا	٢ يوليو ١٧٩٨م ١١ يوليو ١٨٨٢م	١٨٠١م عن فرنسا ٢٨ فبراير ١٩٢٢م عن بريطانيا
٦.	المغرب	فرنسا إسبانيا البرتغال إسبانيا	١٨٣٠م احتلت مليلة ١٤٩٧م وانتزعت سبتة ١٦٤٠م ١٤١٥م جزر شمال المغرب ١٨٤٨م	٢ مارس ١٩٥٦م عن فرنسا ٧ ابريل ١٩٥٦م عن اسبانيا
٧.	الصومال	بريطانيا إيطاليا فرنسا	١٨٢٧م ١٩٣٦م الساحل الشمالي ١٨٨٤م	١ يوليو ١٩٦٠م ٢٢ يوليو إعلان الاستقلال والوحدة
٨.	اليمن	بريطانيا	١٩ يناير ١٨٣٩م	٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م
٩.	العراق	بريطانيا أمريكا	١٩١٩م ٢٠٠٣م	٣ اكتوبر١٩٣٢م عن بريطانيا لا يزال تحت الهيمنة الأمريكية
١٠.	سلطنة عُمان	بريطانيا	١٧٩٨م	١٩٥١م
١١.	سوريا	فرنسا+إسرائيل	١٩٢٠م الجولان ١٩٦٧م	١٩٤١م ١٩٤٦م الجلاء التام ١٧ ابريل
١٢.	تونس	فرنسا	١٢مايو ١٨٨١م	٢٠ مارس ١٩٥٦م
١٣.	الأردن	بريطانيا	مارس ١٩٢١م	٢٥ مايو ١٩٤٦م
١٤.	الإمارات	بريطانيا	١٨١٩ ديسمبر	٢ ديسمبر ١٩٧١م
١٥.	جيبوتي	فرنسا	١٨٩٦م	٢٧ يونيو ١٩٧٧م
١٦.	فلسطين	بريطانيا+إسرائيل	١٩٢٠م+١٩٤٨م	١٩٤٨م الجلاء البريطاني محتلة من قبل إسرائيل الآن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٧.	الكويت	بريطانيا	١٨٩٩م	١٩ يونيو ١٩٦١م
١٨.	قطر	بريطانيا	١٩١٦م	٣ سبتمبر ١٩٧١م
١٩.	لبنان	فرنسا	١٩٢٠م	١٩٤١م الاستقلال ٣١ ديسمبر ١٩٤٦م الجلاء
٢٠.	جزر القمر	فرنسا	١٨٤٣م	٦ يوليو ١٩٧٥م
٢١.	البحرين	بريطانيا	١٨٦١م	١٤ أغسطس ١٩٧١م

الجدول(١):القرارات التي أصدرها مجلس الأمن الدولي فيما يتعلق بأزمة الخليج العربي:

رقم القرار	تاريخ صدوره	فحوى القرار	ملاحظات بشان التصويت على القرار
٦٦٠	١٩٩٠/٨/٢	إدانة الغزو العراقي للكويت	لم تشترك اليمن في التصويت
٦٦٢	١٩٩٠/٨/٦	فرض مقاطعة إجبارية على العراق	امتناع كل من اليمن وكوبا عن التصويت
٦٦٢	١٩٩٠/٨/٩	عدم شرعية ضم العراق للكويت	صدر القرار بالإجماع
٦٦٤	١٩٩٠/٨/١٨	يتعلق بوضع الأجانب والبعثات الدبلوماسية في الكويت والعراق	صدر القرار بالإجماع
٦٦٥	١٩٩٠/٨/٢٥	التأكيد على إجراءات المقاطعة ضد العراق	امتناع كل من اليمن وكوبا عن التصويت
٦٦٦	١٩٩٠/٩/١٣	مراعاة الظروف الإنسانية في العراق والكويت في عملية المقاطعة	معارضة اليمن وكوبا
٦٦٧	١٩٩٠/٩/١٦	مراعاة العراق لاتفاقيتي فينا لعام ١٩٦١،١٩٦٣ بشان البعثات الدبلوماسية والقنصلية	صدر القرار بالإجماع
٦٦٩	١٩٩٠/٩/٢٤	تقديم مساعدات إلى العراق وفق نص المادة ٥٠	صدر القرار بالإجماع
٦٧٠	١٩٩٠/٩/٢٥	امتداد إجراءات مقاطعة العراق إلى وسائل النقل الجوي	صدر القرار بالإجماع
٦٧٤	١٩٩٠/١٠/٢٩	التصميم على ضمان امتثال العراق لقرارات مجلس الأمن	معارضة كوبا
٦٧٧	١٩٩٠/١١/٢٨	يتعلق بوضع الكويتيين في العراق المحتلة	امتناع كل من اليمن وكوبا عن التصويت
٦٧٨	١٩٩٠/١١/٢٩	منح العراق فرصة أخيرة للامتثال لقرارات مجلس الأمن في موعد أقصاه ١٥ يناير ١٩٩١	امتناع كل من اليمن وكوبا عن التصويت
٦٨٦	١٩٩١/٣/٢	يتعلق بالحرب الدائرة في منطقة الخليج العربي	إمتناع كل من اليمن وكوبا عن التصويت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

أولا: **الكتب العربية**:

١. ابراهيم،جميل عطية؛عيسى،صلاح(١٩٩١)،حبك المؤامرات وعد بلفور،بيروت:دار الفتي العربي.
٢. ابن باجه،علي(٢٠٠٨)،الاتحادات العربية،الدار البيضاء:دار باجه للنشر.
٣. ابو زيد،محمد الهادي(٢٠٠٨)،الشيعة والسنة والاكراد في العالم،الجيزة:هلى للنشر والتوزيع.
٤. ابو هيف،علي صادق(د.ت).القانون الدولي العام،الاسكندرية:نشأت المعارف.
٥. اركون،محمد(١٩٩٦)،تاريخ الفكر العربي الاسلامي(ترجمة هاشم صالح)،الرباط:مركز الثقافي العربي.
٦. الانصاري،محمد جابر(١٩٩٥)،تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية،مدخل إلى اعادة فهم الواقع العربي،بيروت:مركزدراسات الوحدة العربية.
٧. الانصاري،محمد جابر(١٩٩٤)،تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية،مدخل الى اعادة فهم الواقع العربي،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.
٨. الانصاري،محمد جابر(١٩٩٤)،تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية،مدخل الى اعادة فهم الواقع العربي،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.
٩. باشميل،محمد احمد(١٩٦٠)،القومية في نظر الاسلام،بيروت.
١٠.بركات،نظام ،واخرون(١٩٩٦)،مبادئ العلوم السياسية،عمان:دار الكرمل للنشر.
١٠. بشارة،عزمي(٢٠٠٩)،ان تكون عربيا في ايامنا،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.
١١. البطل،محمود لطيف(٢٠١٦)،القومية العربية هي الحل،الشبكة العنكبوتية.اطلاع ٢٧ كانون الثاني.
١٢. بورغا،فرانسوا(٢٠٠١)،الاسلام السياسي،صوت الجنوب،(ترجمة حيدر مجيد) بيروت:دار العالم الثالث.
١٣. بوينت،نورث(١٩٩١)،درع الصحراء،عمان:دار الكرمل.
١٤. بيبرد، نوفان(١٩٨٢)،مفاوضات السلام معاهدة فرساي(ترجمة رياض الداؤودي).
١٥. الجابري،محمد عابد(١٩٩٢)، وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.
١٦. الجابري،محمد عابد(١٩٩٧)،قضايا في الفكر المعاصر،العولمة صراع الحضارات العودة الى الاخلاق،التسامح،الديمقراطية ونظام القيم،الفلسفة والمدنية،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.
١٧. جار،تد روبرت(١٩٩٥)،اقليات في خطر(ترجمة مجدي عبد الحكيم وسامية الشامي ولورانت شابري واني شابري)سياسة واقليات في الشرق الادنى،القاهرة:مكتبة مدبولي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٨. الجباعي، جادالكريم(٢٠٠٥)،مسألة القوميات ،بغداد: لجنة الدفاع عن الحريات.
١٩. جرار،الاء(٢٠١٤)،اتفاقية سان ريمو،الشبكة العنكبوتية.اطلاع ٢٥/تموز.
٢٠. الجريبيع،محمد عبد الله(٢٠١٥)،مدخل لدراسة الهوية الوطنية،الشبكة العنكبوتية.اطلاع ٢٤ كانون الثاني.
٢١. جواد،سعد ناجي(١٩٨٩)،الوحدة الوطنية ومشكلة الاقليات في العالم الثالث،بغداد:مركز دراسات العالم الثالث.
٢٢. جيمس،بار(١٩١٨)،خط في الرمل الصراع الانكليزي الفرنسي في الشرق الاوسط.
٢٣. حتي،فليب(١٩٧٣)،نشأة القومية العربية،بيروت:دار صادر.
٢٤. حتي،ناصيف(١٩٨٧)،استشراف مستقبل الوطن العربي،بيروت:مركز الدراسات.
٢٥. الحريري،ابو موسى(١٩٨٤)،العلويون النصيريون بحث في العقيدة والتاريخ،بيروت:سلسلة الحقيقة الصعبة.الطبعة الثانية.
٢٦. حسين،محمد محمد(١٩٧٨)،الاسلام والحضارة،القاهرة:دار النهضة.
٢٧. الحصري،ساطع(١٩٦٥)،مختارات ساطع الحصري،القاهرة:دار القدس.
٢٨. الحصري،ساطع(١٩٥٩)،محاضرات في نشوء الفكرة القومية،بيروت:دار العلم للملايين.الطبعة الثانية.
٢٩. الحصري،ساطع(١٩٦٤)،ابحاث مختارة في القومية العربية،القاهرة:دار المعارف.
٣٠. الحصري،ساطع(١٩٨٥)،حول القومية العربية،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.
٣١. الحمد،تركي(٢٠٠٥)،اسباب فشل الوحدة العربية،عمان:مركز دراسات الشرق الاوسط.الطبعة الاولى.
٣٢. الحمد،جواد(٢٠٠٠)،مستقبل القضية الكردية،عمان:مركز دراسات الشرق الاوسط.
٣٣. الحمد،جواد(٢٠١٠)،امريكا واسرائيل تحالف استراتيجي وازمات تكتيكية،عمان:مركز دراسات الشرق الاوسط.
٣٤. الخضيري،محمد احمد(٢٠٠٠)،مقدمة في فكر واقتصاد وادارة عصر اللادولة،القاهرة:مجموعة النبيل العربية.
٣٥. الخطاب،رجاء حسنين(د.ت).العراق بين ١٩٢١-١٩٢٧،دراسة في تطور العلاقات العراقية البريطانية،بغداد.
٣٦. الخطيب،عبد الرحمن عمر(٢٠١٥)،لماذا افرغوا مفهوم الخلافة،الشبكة العنكبوتية.اطلاع ١٠/٢٤.
٣٧. خلف الله،محمد احمد(١٩٨٨)،القومية العربية والاسلام،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.
٣٨. الخليل،معمر فوزي(١٤٢٤)،تسلسل تاريخي لاهم احداث احتلال العراق،موسوعة المسلم،اطلاع ٢٢/تشرين اول.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٩. الدرر السينية(١٤٣٦ه)،معنى القومية.الفصل الرابع.المطلب الخامس،بيروت:دار صادر.
٤٠. درويش،مهاب(٢٠٠٩)،تاريخ واثار النوبة،مصر:مكتبة الاسكندرية.
٤١. ربيع،محمد محمود؛مقلد،اسماعيل صبري(١٩٩٤)،موسوعة العلوم السياسية،الكويت:جامعة الكويت.
٤٢. رضوان،ابو الفتوح(١٩٨٣)،القومية العربية،دمشق:دار الفكر.
٤٣. رفعت،احمد محمد(١٩٩٨)،الارهاب الدولي،لبنان:مركز الدراسات العربي الاوروبي.
٤٤. الرمضاني،مازن اسماعيل(١٩٩١)،دراسة نظرية،بغداد:دار الحكمة.
٤٥. الريس،رياض(١٩٩١)،العرب وجيرانهم، الاقليات القومية في الوطن العربي،الرياض :الريس للكتب والنشر.الطبعة الثانية.
٤٦. الزبيدي،حسن لطيف(٢٠١٢)،الدولة القطرية العربية.
٤٧. الزبيدي،وليد(٢٠١٣)،النفوذ الاستراتيجي الايراني في العراق،الشبكة العنكبوتية.٢٤آب.
٤٨. الزرو،نواف(٢٠١١)،٩١ عاما على سان ريمو،على الشبكة العنكبوتية.٥ شباط.
٤٩. زكي،نورس(١٩٩٤)،عصر النهضة العربية،بيروت:دار النهار.
٥٠. السفري،عيسى(١٩٣٧)،فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية،يافا.(د.ت).
٥١. السقاف،علوي عبدالله(٢٠١٥)،الاسلام والقومية العربية.الدرر السينية.٢٥ تشرين الثاني،على الشبكة العنكبوتية.
٥٢. السماك،محمد(٢٠١٢)،قصة وعد بلفور،الشبكة العنكبوتية.اطلاع ٢٣/ايلول.
٥٣. السمان،نبيل(١٩٩٦)،ال سعود،امريكا،الاحتلال،عمان:جمعية المطابع التعاونية.
٥٤. الشايجي، حميد(٢٠٠٨)، القومية العربية، الدار البيضاء، مطبعة الغريبي.
٥٥. شبيرا،ابرام(٢٠١٦)،الاشوريون وجنون الاستعراب،الشبكة العنكبوتية.اطلاع٣/٣.
٥٦. الشهابي مصطفى(١٩٩٨)،القومية العربية تاريخها وقوامها،القاهرة:دار الفكر.
٥٧. صلاح،عيسى(١٩١٧)،صك المؤامرة.فلسطين.
٥٨. طعيمة،صابر(١٩٨٦)،الاباضية عقيدة ومذهب،بيروت:دار الجيل.
٥٩. عبد الدايم،محمد رضا(١٩٨٦)،القومية والقوميون، بيروت:دار النهار.
٦٠. عبد الرحمن،اسامة(١٩٩٩)،المازق العربي الراهن.هل الى خلاص من سبيل،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.
٦١. عبد الرحيم،اكرام(٢٠٠٢)،التحديات المستقبلية للتكتل الاقتصادي العربي،التحديات والتكتلات الاقليمية البديلة،القاهرة:مكتبة مدبولي.
٦٢. عبد الفتاح،لؤي؛حمزاوي،زين العابدين(٢٠١١)،اساسيات في تقنيات ومناهج البحث.
٦٣. عبد الله داوود(٢٠٠٢)،وعد بلفور ودوره في نشوب الصراع، بيروت:مركز الابحاث الفلسفية.
٦٤. عبد الناصر جمال(١٩٦٩)،الميثاق وتقريره،القاهرة:دار الشعب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٥. عبد الناصر،جمال(١٩٥٤)،فلسفة الثورة،القاهرة:الدار القومية للطباعة والنشر.
٦٦. العبود،سليم(١٩٩٩)،البعد القومي في العمل العربي،بيروت:مركز دراسات الوحدة.
٦٧. عبود،محمد(٢٠١٥)،الاطماع الايرانية في الخليج العربي،الشبكة العنكبوتية.اطلاع ٣/٢٥.
٦٨. العزاوي،حافظ عواد(٢٠١٣)،النفوذ الاستراتيجي الايراني في العراق واثره على المحيط العربي والاقليمي،بغداد:دار المعرفه.
٦٩. عفلق،ميشيل(١٩٥٧)،القومية العربية والنظرية القومية،القاهرة.
٧٠. عفلق،ميشيل(١٩٦٣)،نضال البعث في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية،بيروت:دار الطليعة.
٧١. عفلق،ميشيل(١٩٦٣)،في سبيل البعث،بيروت:دار الطليعة.الطبعة الثانية.
٧٢. عمارة،محمد(٢٠٠٥)،معنى القومية،القاهرة:دار الفكر.
٧٣. العماوي،عبدالرحمن(٢٠١٣)،اقوال الائمة العالية في حكم الدروز والتيامنة،دمشق:دار بلاد الشام.
٧٤. عوض،الويس(١٩٧٨)،معنى القومية في سعد الدين ابراهيم(تحرير) عروبة مصر،حوار السبعينات،القاهرة:مركز الدراسات السياسية الاستراتيجية بالاهرام.
٧٥. العيسوي،ابراهيم(١٩٨٩)،قياس التبعية في الوطن العربي،مشروع المستقبلات العربية البديلة،اليات التبعية في الوطن العربي،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.
٧٦. فرهاد،ابراهيم(١٩٩٦)،الطائفية السياسية في العالم العربي،القاهرة:مكتبة مدبولي.
٧٧. القرضاوي،يوسف(١٩٩٦)،الاقليات الدينية والحل الاسلامي،القاهرة:مكتبة وهبه.الطبعة الاولى.
٧٨. القصبي،عبد الغفار(٢٠٠٤)،مناهج البحث العلمي في على السياسة،القاهرة:مكتبة الاداب.
٧٩. القضاه،امين(١٩٨٩)،تاريخ العرب والمسلمين،دار عماد.
٨٠. القطب،سليمان(١٩٧٨)،العرب والغرب،بيروت:دار صادر.
٨١. كامل،محمد ليلة(١٩٦٢)،المجتمع العربي،دار الفكر العربي.
٨٢. الكرزون، بسام(٢٠١٦)،مشروع توطين اليهود في العراق، الشبكة العنكبوتية، إطلاع ٧شباط.
٨٣. الكسبي،احمد محمد(١٩٩٥)،مبادئ العلوم السياسية.
٨٤. كوثراني،وجيه(١٩٧٨)،الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي،بيروت:معهد الانماء العربي.
٨٥. اللاوندي،سعيد(٢٠٠٦)،سايكس بيكو جديد في الشرق الاوسط.ملامح اولية لوفاق دولي جديد،القاهرة:نهضة مصر.
٨٦. لوران،اريلو(٢٠٠٣)،حرب البوش،الكويت:دار الخيال.
٨٧. ماضي،محمد احمد(١٩٨٦)،التاريخ العربي،بيروت:دار المنار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٨. مجموعة باحثين(٢٠١٣) ،المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية ،عمان، دار أمية للبحوث والدراسات.
٨٩. محافظة،علي(١٩٨٥)،موقف فرنسا والمانيا وايطاليا من الوحدة العربية من ١٩١٩-١٩٥٤،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.
٩٠. محفوظ،طه(٢٠٠٤)،الواقع العربي والتيارات الاسلامية،دمشق:دار الفكر.
٩١. محمد،حمد الجاسم(٢٠١٣)،الدور البريطاني في الشرق الاوسط،بغداد:مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية.
٩٢. مخادمة،ذياب(٢٠٠٤)،مجلس التعاون العربي،الشبكة العنكبوتية.الجزيرة.اطلاع.٣تشرين الاول.
٩٣. مردان،وجدي(٢٠٠٤)،تركمان العراق من هم وما هي مطالبهم،الشبكة العنكبوتية.اطلاع٢٤ شباط.
٩٤. مردان،وجدي(٢٠١٦)،اصل التركمان في العراق،كركوك:الموسوعة التركمانية.
٩٥. مرسي،مصطفى عبد العزيز(١٩٩٥)،العرب في مفترق طرق بين ضرورات تجديد المشروع القومي ومحاذير المشروع الشرق اوسطي،القاهرة:مكتبة الشروق.
٩٦. مطر،سليم(٢٠٠٩)،موسوعة اللغات العراقية،بغداد:دار الكلمة الحرة.الطبعة الاولى.
٩٧. المعروف،زهير(٢٠١٠)،ولاية الموصل الجزء الاكبر من كردستان،الشبكة العنكبوتية.٧شباط.
٩٨. المناصرة،عز الدين(١٩٩٩)،المسالة الامازيغية في الجزائر والمغرب.اشكالية التعددية القومية،الاردن:دار الشرق.الطبعة الاولى.
٩٩. منير،غسان(٢٠٠٢)،معالم ومؤشرا الهوية الوطنية،بيروت:دار النهضة.
١٠٠. ميخايل،ويليام(٢٠٠١)،بحثا عن الوطن القومي الاشوري،شيكاغو،حزب بين نهرين الديمقراطي،الطبعة الاولى.
١٠١. ناصيف،حقي يوسف(١٩٨٨)،النظرية في العلاقات الدولية،القاهرة:دار الكتاب العربي.
١٠٢. الهاشمي،رضا جواد(١٩٧٨)، العرب في ضوء المصادر السماوية.
١٠٣. الهرمزي،ارشد(٢٠٠٣)،التركمان والوطن العربي،كركوك:مؤسسة نشر كركوك.الطبعة الثانية.
١٠٤. هزاع،سويلم(٢٠٠٥)،القومية والوطنية،الاسكندرية:دار الفكر.
١٠٥. الهزايمة، محمد عوض(٢٠٠١)،النظم الإسلامية، عمان، دار الحامد.
١٠٦. الهزايمة،محمد عوض(٢٠٠٧)،قضايا دولية،تركة قرن مضة وحمولة قرن آتي،دار الحامد.الطبعة الاولى.
١٠٧. الهزايمة،محمد عوض(٢٠١١)،حاضر العالم الاسلامي،عمان:دار الحامد.
١٠٨. الهزايمة،محمد عوض(٢٠١٥)،الفكر العربي بين الاصالة والتغريب،عمان:دار الحامد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠٩. هلال،احمد(٢٠١٥)،هوية الدولة القطرية العربية،بيروت:دار النهر.
١١٠. ياسين،عبد السلام(١٩٩٥)،الاسلام والقومية العلمانية،عمان:دار البشير.

الدوريات والصحف والمجلات:

١. ادريس،محمد سعيد(٢٠١٥)،احياء القومية العربية ضرورية،صحيفة العرب الصادرة بتاريخ ٩/٢٩.
٢. افيشين،كوفارا(٢٠١٥)،من هم الاكراد،مجلة افيشين الالكترونية.الاطلاع ٣نوفمبر.
٣. الانصاري،مصطفى(٢٠١٤)،الوحدة العربية اسسها القوميون وحطمها الاسلاميون،الحياة السعودية.٣٠ كانون اول.
٤. البنداوي،احمد مري(٢٠١٦)،مشكلة الموصل العراقية، صحيفة بلادي الصادرة في ٢٣ شباط.
٥. جريدة الشرق الأوسط(٢٠٠٥)، ١٥إبريل، العدد٩٦٣٥.
٦. جريدة العرب تايمز، ١١كانون الأول(١٩٩٢).
٧. جورج،سمير واخرون(٢٠٠٣)،البترول ثروت العراق ونقمتها،مجلة اخر ساعة.العدد٢٥٧١.
٨. حرفوش، إلياس(١٩٨٨)،الرهان العربي على إيران، مجلة المجلة، العدد٤٥١.
٩. حنبداري،ادريس(٢٠١٢)،اشكالية العلاقة بين العروبة والاسلام،الحوار المتمدن،العدد ٣٦٨٩.٥ تشرين الثاني.
١٠. خشيم،مصطفى(١٩٩٢)،ازمة الخليج بين الارادة الشعبية ومصالح الحكومة،مجلة الوحدة،العدد٨٨.
١١. زغلول،علي(١٩٧٨)،نشأت القومية بين الواقع والمأمول،مجلة الشراع اللبنانية،السنة السابعة،العدد(٣٨).
١٢. السائحي،محمد(٢٠٠٣)،قرن من الحروب والارهاب في سبيل النفط،القدس العربي،العدد٤٣٢٩.
١٣. سعيد،امير.(٢٠٠٣)،فماذا عن اسرائيل الكبرى،مجلة البيان،العدد١٨٦.
١٤. السماك، محمد زاهر السعيد(١٩٨٦)، قياس التبعية الإقتصادية للوطن العربي وتأثيراتها الجيوبوليتيكية المحتملة، مجلة المستقبل العربي، السنة٩، العدد٩١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
١٥. سمير،زاهر(٢٠٠٤)،الاطماع الاستعمارية في الوطن العربي،مجلة الوحدة،الرباط،السنة الرابعة،العدد١٣.
١٦. صالح،سامي محمد(٢٠٠٣)، المسلمون والعالم،اجتياح النجمة والصليب لربوع العراق الخصيب،مجلة البيان،العدد١٨٧.
١٧. صحيفة بلادي للاعلام(٢٠١٣)،الصحافة التركية والعوامل المؤثرة في العلاقات العربية التركية،اطلاع ٢/٢٠،العدد٩٦٨.
١٨. صحيفة ليبراسيون الفرنسية،مجلة المجتمع الكويتية(٢٠٠٢).
١٩. عبد الدايم،عبدالله(١٩٨٨)،موقف الصهيونية وحركة القومية العربية،مجلة الشؤون العربية،العدد٢٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٠. عبيدات،حسن(٢٠١٣)،معنى القومية،صحيفة الدستور الصادرة في ٤ نسيسان.
٢١. عداس،سامي(١٩٨٥)،القومية العربية الى اين؟ ،مجلة الشراع اللبنانية،السنة السابعة.العدد(٣٧).
٢٢. العيسى،احمد بن محمد(٢٠١٦)،الهوية الوطنية.صحيفة الرياض اليومية السعودية،الصادرة بتاريخ ٢٥ شباط.
٢٣. غرايبة،رحيل محمد(٢٠١٥)،في الهوية الوطنية،صحيفة الدستور الصادرة في ٢٤ تموز.
٢٤. الفانك،فهد(١٩٩٢)،الابعاد الاقتصادية لازمة الخليج.مجلة الوحدة.العدد٨٨.
٢٥. القرشي،مصطفى(٢٠١٢)،الاطماع الايرانية في المنطقة العربية، عقيدة فارسية متجذرة،الحوار المتمدن.العدد٣٨٢٨.
٢٦. كامل،عبد العزيز(٢٠٠٣)،ملحمة بغداد،مجلة البيان،العدد١٨٦.
٢٧. المحرر(٢٠١٥)، من هم الآشوريون، صحيفة النهار البيروتية الصادرة بتاريخ٢٦ شباط.
٢٨. المحرر(٢٠١٥)،فجر القومية العربية،موسوعة مقاتل من الصحراء، الاصدار ١٧.
٢٩. المعشر، مروان(٢٠١٥)، مقال في جريدة الغد الأردنية، يوم١٢آب.
٣٠. مؤسسة الدراسات الفلسطينية(٢٠٠٣)،فلسطين تاريخها وقضيتها،بيروت،مؤسسة الدراسات.
٣١. نويهض،وليد(١٩٩٢)،اشكالية الدولة العربية المعاصرة،الانفصال عن المجتمع،الاجتهاد.السنة الرابعة.العدد١٤.
٣٢. الهاشمي، رضا جواد(١٩٧٨)، العرب في ضوء المصادر السماوية، مجلة كلية الآداب، بغداد، عدد٢٢.
٣٣. الهزايمة، محمد عوض(٢٠٠٤) ،القومية العربية مجلة الوحدة (الرباط) السنة٩ العدد٢٢.
٣٤. وطفة،علي(٢٠٠٢)،اشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة،مجلة المستقبل العربي.بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. العدد ٢٨٢.

المؤتمرات والندوات والمحاضرات:

١. البياتي، صبري مصطفى(١٩٩٧)، العروبة قراءة في قنوات مفتوحة، ورقة مقدمة لمؤتمر الخطاب العربي المعاصر، المنعقد في رحاب جامعة فيلادلفيا(١٠-١٢ أيار).

٢. خفاجي،عصام(١٩٩٩)،ملاحظات حول العولمة والدولة القومية،ورقة قدمت الى ندوة العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي،مهداة الى سمير امين ،تحرير عبد الباسط عبد المعطي،القاهرة:مكتبة مدبولي.

٣. الرشيدي،احمد(٢٠٠٠)،العولمة ومبدأ السيادة الوطنية في العولمة قضايا ومفاهيم سلسلة محاضرات الموسم الثقافي،العام الجامعي ١٩٩٩-٢٠٠٠،كلية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاقتصاد والعلوم الاسلامية،اشراف وتحرير د.حسن نافعة و د.سيف عبد الفتاح.جامعة القاهرة.
٤. زهرة،السيد(٢٠١٥)،الدولة الوطنية العربية، عوامل التفكك والوحدة،ورقة مقدمة لندوة عاصفة الفكر،ابو ظبي في الفترة الواقعة بين ٣-٤ نيسان.
٥. الشايب،جعفر(٢٠٠٤)،مداخلة حول اشكالية الطرح السياسي للاسلامي،ندوة التغييروالاصلاح،قطر-الدوحة.
٦. الشهابي،الامير مصطفى(١٩٦١)،القومية العربية،تاريخها وقوامها ومراميها،القاهرة:محاضرات في معهد الدراسات العربية العالمية.

٧. غريب،حسن خليل(٢٠٠٨)،الاختلاف حول الهوية الثقافية والهوية القومية،ازمة سياسية تعيق حركة التحرر العربي،مؤتمر اشكالية الهوية في ظل العولمة والمنعقد في عمان من ٢٥-٢٧ نيسان.
٨. الكيلاني،هيثم(٢٠٠١)،الاستقلال الوطني والقومي من منظور المشروع الحضاري،ورقة قدمت الى نحو مشروع حضاري نهضوي عربي،بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة:بيروت.
٩. مارتو، ميشيل(١٩٨٧) ،قياس المديونية الخارجية،ورقة قدمت الى منتدى الفكر العربي،ندوة المديونية والارصدة العربية في الخارج،عمان-الاردن.
١٠. نيكولاي،هوفهانيسيان(٢٠٠٧)،العلاقات التاريخية الارمنية العربية،محاضرة القيت في مركز الدراسات الالمانية في جامعة القاهرة،العدد ١٨،شباط، فبراير.
١١. ياسين،السيد(١٩٩٨)،في مفهوم العولمة،ورقة قدمت الى العربوالعولمة،بحوث ومناقشات الندوة الفكرة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية،تحرير اسامة امين الخولي،بيروت المركز.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرسائل والابحاث:

١. ابراهيم،سعد الدين(١٩٨٤)،مصادر الشرعية في انظمة الحكم العربية، ورقة قدمت الى ازمة الديمقراطية في الوطن العربي،بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.
٢. سلامة،غسان(١٩٨٧)،نحو عقد اجتماعي عربي جديد،بحث في الشرعية الدستورية،سلسلة الثقافة القومية،رقم ١٠.بيروت:مركز دراسات الوحدة.
٣. الشويري، يوسف(٢٠٠٢)، القومية العربية، الأمة والدولة في الوطن العربي، (في رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية العلوم السياسية.
٤. العساف،فايز(٢٠١٠)،الاقليات واثرها في استقرار الدولة القومية،اكراد عراق نموذجاً،(رسالة ماجستير غير منشورة).
٥. العساف، فايز(٢٠١٠)، القوميات في الوطن العربي، العراق نموذجا، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الشرق الأوسط، قسم العلوم السياسية.
٦. الهزايمة،محمد عوض(١٩٩٤)،الايديولوجيا والسياسة الخارجية.اطروحة دكتوراة غير منشورة.جامعة تونس.كلية الحقوق والعلوم السياسية.

English references:

Mclaurin,Ronald,pe,(ed),the political role of minority groups in the middle east,NY:praeger,1979.

Norton,A Kaplan,System and process in international politics,NY,john willey and sons inc 1957.

Saad eddin Ibrahim"crises,eliyeo and democratization in the arab world"middle east journal,vol.47,no2(spring1993)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: المواقع الإلكترونية

١. البشري، طارق(١٩٨٥)، بين الاسلام والعروبة ،القسم الاول ،دار القلم على الشبكة العنكبوتية:

https//archive,org/download/tareq2014/15tareq,pdf

٢. الدجاني، احمد صدقي(٢٠٠٠)،الدولة القطرية العربية قوى الهيمنة الغربية رسمت الحدود:

www.onislam.net

٣. آيات ،طاهر(٢٠١٥)، اسم المقاتل ،اطلاع ٢٣/كانون الثاني:

www.almrsal.com

٤. عويس، عبدالحليم(٢٠١٥)، ١٧كانون الثاني، المستأمنون والآداب الشرعية على الشبكة العنكبوتية:

www.aluKah.net/sharia/o/813270.

٥. موقع وكالة وفا للأنباء والمعلومات الفلسطينية على الشبكة العنكبوتية**:**

http://www.wafa info.ps/atemplate,aspx?j=5113

٦. مقال ايات ،طاهر(٢٠١٥/٤/١٤)،على الشبكة العنكبوتية:

www.almrsal.com

٧. مقال عيسى، نتاشا، (٢٠نوفمبر٢٠١٤)،على الشبكة العنكبوتيةmawdoo3.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The Impact of Arab Nationalism on the Arab Nation-State

Prepared by: Al-Odeibat, Ahmad Hassan, Master's Thesis

ID NOM: 1420600007
Supervised by Professor Dr. Mohammad Awad Al-Hazaimeh

This thesis aimed to investigating the impact of Arab nationalism on the Arab nation state (Iraq).The study was based on the hypothesis that there is a correlation between national attitudes and the stability of the nation state or the lack there of. The main question of the study revolved around: What is the impact of Arab nationalism on an Arab nation state? To achieve the goals of the study and to verify the validity of its hypothesis and to answer the primary question raised by the study, the study relied primarily on the content analysis approach, and we will use the historical approach. which are all approaches used in scientific research. The current study has shown that the hypothesis was correct and valid in addition to the following results:

Nationalism is a way of thinking originally stemmed from the western ways of thinking which was then transferred to the Arab world by those who studied in the West. Therefore, it originated outside the Arab world. The Arab state nation cannot survive merrily on its own resources. Thus, it can survive only through the support and assistance of those countries that originally established it because it represents a political being that achieve the goals of big nations in the region. National thought was faced by a very strong opposition inside the Arab world especially by Islamic thought, which considers nationalism as a violation of Islamic religion and that it does not go along with its teachings.

Iraq, as a state Arab nation could not make a balance between Arab nationalism and its components and the requirements of ethnic minority groups that live in Iraq.

Regional countries (Iran and Turkey) viewed the call for Arab nationalism as a way to limit their authority and power in the Arab region. Therefore, Iraq was met with tremendous opposition.

Powerful countries including the United States of America and the United Kingdom did not support the establishment of a state that is based on national attitudes because that would negatively impact their best interest in the region. All powers collaborated against Iraq to end the Iraqi regime in an effort to keep the Arab region divided and weak so that they can take advantage of its natural resources and to turn it

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

into a consumers' market for their products The study concluded with a number of recommendations including:

It is extremely important not to marginalize the role of ethnic minority groups in the Arab world so that they would not become supportive of foreign powers if they attempt to oppose Arab countries. There is a great need to take unilateral attitudes in which everyone participates to achieve unity.

Finally, there is a need to put forward a comprehensive Arab scheme which is primarily based on economic unity as a common Arab market in order to eventually reach a complete unity similar to that of the European Union.

Key words: Nationalism, Impacts, State nation

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com